

المعتصر من المختصر من مشكل الآثار

الجزء الأول

لخصه القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي
من مختصر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي
المتوفي سنة أربع وسبعين وأربعماية
من كتاب مشكل الآثار للطحاوي المتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثماية

الناشر

مكتبة سعد الدين - دمشق

مكتبة التنقي - القاهرة

عالم الكتب - بيروت

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت

أحمد الله حمد يليق بجلال ذاته وجمال صفاته ، وأشكره شكرا على
 • تواتر نعمه وبركاته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدد كلمات
 الله وآياته ، وأشهد أن محمدا سيدها وعبيده أكرم مخلوقاته ، وأشرف أولاد آدم
 وذرياته المبعوث بمبشرات الحق وإنذاراته ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى
 آله وصحبه تكميلا لصلواته ، وعلى التابعين من الأئمة والمجتهدين والحفظة
 المستحقين لصلواته .

١. (وبعد) فقد قال استاذي وشيخي متعني الله والمسلمين بحياته ، الشيخ
 الامام العلامة المتقن المحقق جمال الدين مفتي المسلمين مفيد الطالبين ابو المحاسن
 يوسف بن العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام العلامة صلاح الدين ابي
 البركات موسى الحنفى عامله الله بلطفه الحلى واخفى لما طالعت كتاب
 (مشكل الآثار) للامام الحافظ ابي جعفر احمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الازدى
 المعروف بالطحاوى سقى الله ثراه سجال الرحمة والرضوان وجدته مطولا
 ١٥ ورأيت هتى قاصرة وهوى كثيرة والكتاب يحتوى على معان حسنة عزيزة
 وفوائد غزيرة ، ويشتمل على فنون من الفقه وضروب من العلم دعاه

الى

الى ذلك ما ذكر في خطبة كتابه حيث قال اني نظرت في الآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسانيد المقبولة التي نقلها ذوو الثبوت فيها والامانة عليها وحسن الاداء لها فوجدت فيها اشياء مما سقطت معرفتها والعلم بما فيها عن اكثر الناس قال فلبى الى تأملها وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها ومن استخراج الاحكام التي فيها ومن نفي الاحالات عنها وأن اجعل ذلك ابوابا ذكر في كل باب منها ما يهيب الله لي من ذلك فيها حتى ابين ما قدرت عليه منها كذلك ملتصقا ثواب الله عز وجل عليه.

- ولقد اثابه الله على ذلك ثوابا جزيلًا وكان تطويل كتابه بكثرة
تطريقه الاحاديث وتدقيق الكلام فيه حرصا على التناهي في البيان على غير
ترتيب ونظام لم يتوخ فيه ضم باب الى شكله ولا الحاق نوع بجنسه فتجد احاديث ١٠
الوضوء فيه متفرقة من اول الديوان الى آخره وكذلك احاديث الصلاة
والصيام وسائر الشرائع والاحكام ، تكاد ان لا تجد فيه حديثين متصلين من
نوع واحد فصارت بذلك فوائد وطائفة منتشرة متشعبة فيه يعسر استخراجها
منه ان اراد طالب ان يقف على معنى بعينه لم يجد ما يستدل به على موضعه الا بعد
تصفح جميع الكتاب وان ذهب ذاهب الى تحصيل بعض انواعه افتقر في ذلك ١٥
الى تحفظ جميع الابواب ، فقصدت جمع فوائد والتعامل فرائده في مختصر
وبقيت مترددا في جمعه بين الاقدام والاحجام لصعوبة مدركه على مثلي مع
قلة بضاعتي وكثرة محالطتي الى ان ظفرت بمختصر الامام الفقيه الحافظ
القاظمي ابي الوليد البايع المالكي رضي الله عنه اختصر (كتاب مشكل الآثار)
اختصارا بديعاضهم كل نوع فيه الى نوعه ، والحق كل شكل منه بشكاه ، ورتبه ترتيبا ٢٠
حسنا حذف اسانيد الاحاديث وتطريقها واختصر كثيرا من الفاظه من غير أن يخل
بشيء من معانيه وفقهه يسهل على الطالب تحفظه ، ويتيسر عليه فهمه وتفحصه
فشكرت الله على ذلك وتحققت ان الله تعالى من على باجابة دعائي ، ويسر على
ما عسر على كثير من امثالي ، فشمرت عن ساعد الاجتهاد ، وتيقنت بأن هذا الشيء يراد

وعزمت ان اتقى خلاصته ، واخلص نقاوته ، غير ملتزم بحكاية الفاظه باعيانها ، ولا منظم لدرها كما هي وجمالها ، ذا كرا المعانيه اجمع بنصف الفاظه ، واجيا لثابرة الطالب عليه والفاظه مبتدئا بذكر الاحاديث المتضمنة لمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باسمائه وصفاته ، ثم بمعجزاته وسنه ووفاته ، ثم الشرائع والاحكام كتابا كتابتم ما كان منها من تفسير القرآن واسباب النزول على ترتيب المختصر .
 من غير عدول عن ذلك في شيء وفي اثناء الكلام اشير الى اعتراضات القاضى واستدراكاته ، والى اجوبة بعضها مع ايراد جميع ما زاد فيه من الموطأ وتحصل في جميع الديوان تسع مائة حديث وثلاثة وثلاثون حديثا سوى ما سبق فيه على سبيل الاحتجاج للقول المختار والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، وسميته المختصر من المختصر سائلا ربى الكريم ان ينفعني والطالبين بما منح لنا ويستعملني واياهم بما علمنا وكفانا والمسلمين شر انفسنا وشر كل ذى شر هو آخذ بنصائبه ان ربى على صراط مستقيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

كتاب اسماء

النبي صلى الله عليه وسلم

وخصائصه ومعجزاته وسنه وواقته ، وفيه اربعة عشر حديثا .

ما جاء في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم

روى عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لى خمسة اسماء انا احمد ، وانا محمد ، وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وانا العاقب ، وهو الذى ليس بعده احد ، وروى عنه زيادة ، خاتم ، وروى ابو موسى الاشعري قال انا محمد ، واحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والمقفى بمعنى العاقب ونبي التوبة لان الله تعالى تاب به على من تاب من عباده ونبي الملحمة لانه سبب

القتال

القتال فكل هذه الاسماء مشتقة من صفاته وسمى رؤفا رحيمًا اتراعا من قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم) الآية فدل ذلك انه يجوز أن يسمى بصفاته كلها سوى الحمد كما سمي بأحمد وانه لا تقتصر اسماؤه على ما ذكرنا وهذا لان الاسماء انما هي اعلام لاشياء يراد بها التفريق بينها وابانة بعضها من بعض وهي على نوعين نوع يسمى الشيء به لا معنى فيه كالحجر والجبل ونوع يسمى به معنى فيه من صفاته كحمد من الحمد والماسي فان الله محابه سيئات من اتبعه وخاتما لانه خاتم النبيين فكل ما سمي به من اسماء مشعرة بصفات تعظيم وكمال فهو لاحق بهذه الاسماء المنصوصات من غير حجر ولا توقف على توقف والاقتصار بذكر بعض اسماؤه ليس بدليل على القصر بان ليس له اسماء غيرها .

ما جاء في خصائصه صلى الله عليه وسلم

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت ربي مسألة وددت اني لم اكن سألته قلت اي ربي قد كانت قبلي انبياء منهم من سخرت له الريح ثم ذكر سليمان ، ومنهم من كان يحيى الموتى ثم ذكر عيسى ، ومنهم ، يذكروا ما اعطوا ، قال ألم اجدك يتيمًا قايما ، قلت بلى اي رب ، قال ألم اجدك ضالا فهديت ، قلت بلى اي رب ، قال ألم اجدك عاثلا فاغنيت ، قلت بلى اي رب ، قال ألم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى اي رب ، فيه ما يدل انه سأل ربه ما يبين به من الانبياء قبله من جنس ما اوتوا فلما اعلم انه اوتي ما هو فوق ذلك مما ذكرنا ومن رفع ذكره معه في الاذان والتشهد ود أنه لم يكن سأل ما سأل اذ وقفه الله على ذلك .

ثم روى عنه ما يحيط به علما انه لم يقله الا بعد ذلك جوابا لمن سأل عنه يا رسول الله ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان ؟ فضحك ثم قال فلعل لصاحبكم عند الله تعالى افضل من ملك سليمان لم يبعث نبيا الا اعطاه دعوة ، فمنهم من اتخذها

دنيا فأعطىها ومنهم من دعا على قومه اذ عصوا فأهلكوا بها وان الله تعالى اعطاني
دعوة فاخبتها عند ربي شفاعاة لأمتي يوم القيامة فعلمنا انه اعطى منزلة فوق
منزلة من قبله من الانبياء اجمعين ، ثم زاده الله تعالى بان بعثه الى الناس
جميعا بخلاف غيره من الانبياء وانزل عليه (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا) وقال اعطيت جسمي لعطفتي جعلت لي الارض مسجدا وطهورا
ونصرت بالرعب واحت لي القنائم وارسلت الى الالبض والاحمر واعطيت الشفاعاة
وعن ابي هريرة مرفوعا فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ، وختم بي
النبيون ، والاربعة المتقدمة ، ففي هذا ما قد دل على فضله على جميع الانبياء
وقوله فيمارى عنه صلى الله عليه وسلم لا تخير وفي على موسى ، الحديث ، وفيما روى
عنه عليه السلام لا ينبغي لاحد أن يقول انا خير من يونس بن متى - رواه على بن
ابى طالب وزاد فيه قد سبى الله في الظلمات ، يحتمل انه قال قبل علمه بتفضيل الله
تعالى اياه على جميع خلقه وكذا جوابه لمن قال له يا خير البرية فقال ذاك ابي ابراهيم
يحتمل ان يكون قبل ان يتخذه الله خليا فلما جعله خليا عاد بالخلة من الله بمنزلة
ابراهيم في الخلة وهى المحبة التى لا محبة فوقها وزاد عليه بذكره فيما لا يذكر فيه
ابراهيم فى التاذين والاقامة واعطائه فى الآخرة المقام المحمود الذى لم يعطه
غيره كما روى عن كعب انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
القيامة فأكون انا وامتى على تل فيكسوفى ربي حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول
ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وهو المقام الذى اشفع فيه لامتى ، وعن
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذ ابراهيم خليا وان
صاحبكم خليل الله ثم قرأ (عسى ان يبعثك ربك) الآية ، فالمقام المحمود ما اختصه
الله تعالى به فى الآخرة حتى يغبطه به الأولون والآخرون ، ففي هذا كله دليل ان
ما قاله فى ابراهيم وموسى ويونس انما كان ذلك قبل اعطائه اياه والذي يروى
عن ابي سعيد من قوله صلى الله عليه وسلم لا تخير واين انبياء الله سبحانه محمول
على التفضيل بأرأنا من غير توقيف فاما ما بينه لنا فقد اطلقه لنا .

ما جاء في معجزاته صلى الله عليه وسلم

- روى عن علي وابن مسعود وحذيفة وابن عمر وابن عباس وأنس تحقيقهم انشقاق القمر رأى عين روايات مختلفة، منهم من قال انشق ونحن معه صلى الله عليه وسلم، ومنهم من زاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا، ومنهم من قال فقالت قريش سحر سحر كم به ابن ابى كبشة، ومنهم من قال انشق القمر ٥ فاقطعت فرقة منه خلف الجبل فقال اشهدوا وهم القدوة والحجة لا يخرج عن قولهم الا جاهل خاسر، وزعم من ادعى التأويل وترك الاقتداء انه لم ينشق وانما ينشق يوم القيامة وان قوله تعالى (وانشق القمر) صلته (يوم يدع الداع الى شيء نكر) وانه لم يروه الا ابن مسعود وخبر الواحد فيما سبيله الاشتهار فيه مافيه وهذا من الزاعم جهل بمشاركة الخمسة الاعلام الذين روينا عنهم وكفى ١٠ بالجهل عارا وكيف يجعل يوم يدع الداع) صلة وظرفا لقوله (انشق القمر) وقد انقطع الكلام عند قوله (فتول عنهم) اى اعرض عنهم واستوقف من (يوم يدع الداع) وهو ظرف لقوله تعالى بعده (يخرجون من الاجداث) كذا قوله تعالى (ان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) دليل على انشقاقه في الدنيا لأن الآيات انما تكون قبل يوم القيامة لقوله تعالى (وما ترسل ١٥ بالآيات الا تحويها) نعوذ بالله من خلاف الصحابة والخروج عن مذاهبيهم فان ذلك كالاستكبار ومن يستكبر عن مذاهبيهم كان حريا ان يمنعه الله فهم كتابه كما قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون) الآية ثم في قول قريش سحر سحر كم به ابن ابى كبشة نسبته صلى الله عليه وسلم الى ابى كبشة جد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امه واسمه وجز بن غالب من خزاعة اول من عبد الشعري العبور ٢٠ وكانت العزب تظن ان احدا لا يعلم شيئا الا يعرق بنزعه شبهه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالت قريش نزع ابو كبشة لانه خالف الناس في عبادة الشعري فكانوا ينسبونه اليه لذلك وكان وجز سيدا في خزاعة لم ينسبوه

صلى الله عليه وسلم تعبيره ولكن اراد وان يشبهوه به في الخلاف لما كان الناس عليه . وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين « سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة عيسى ويحيى » فأخبر بشبابهما وهما طفلان اى سيكونان شابين ولا يكون ذلك الا باعلام الله تعالى وفيه انهما يخرجان من الدنيا شابين وكان كذلك وقال صلى الله عليه وسلم « وضع منبرى على ترعة من ترعات الجنة » اى بين ابوابها « وما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » - وروى « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وان تواتم منبرى وراسب في الجنة » - فيها ما يدل على ان قبره ومنبره خارجان عن الروضة وان منبره في موضع من الجنة غير الروضة ولكن المنبر لما كانت بركة جلوسه فيه وقيامه عليه بلغ هذه المنزلة بقبره وقد تضمن بدنه وصار له مثوى اولى بان يكون في روضة ارفع منها واخرى وفي الجنة روضات كثيرة فقد يكون قبره في روضة ارفع منها وفي هذا الحديث علم من اعلام النبوة لان الله تعالى اختصه بان اعلمه ما اخفى عن سواه من الارض التى يموت فيها حتى اعلم بذلك امته ثم قوله « ما بين قبرى ومنبرى روضة » اخبار عن امر محقق مشاهد له لا عن امر سيصير كذلك فاندفع بذلك ما يقال لا يلزم منه علم موضع قبره ولان قوله « ما بين بيتى ومنبرى » في رواية وفي رواية « بين قبرى ومنبرى » يدل على ان بيته قبره فافهم .

وفى يروى عن ابن مسعود كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا من معه فضل ماء » فأتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء يخرج من بين اصابعه ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله فشربنا منه - قال عبدا لله وكنا نسمع تسبيح الطعام ونحن نأكل وكنا نعد الآيات بركة واتم تعد ونها تحويفا يعنى كنا نخاف بها فتزداد ايمانا وعلا فيكون ذلك بركة واتم تعد ونها تحويفا ولا تعملون معها عملا يكون لكم بركة فعنى قوله (وما نرسل بالآيات الا تحويفا) اى تحويفا لكم بها لئلا تردوا ايماننا وعملنا فيصير ذلك لكم بركة .

وفيا بروى عن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضل

الى جذع اذ كان المسجد على عريش وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال

انصارى يا رسول الله هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة حتى

يراك الناس وتسمعهم خطبتك ؟ فصنع له ثلاث درجات وهن اللواتى على المنبر

فلما صنع وضع فى الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد ان

يقوم على المنبر مر اليه فلما جاز الجذع حن الجذع او خار حتى تصدع وانشق

فزل الرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فسه بيده حتى سكن

ورجع الى المنبر وكان اذا صلى صلى اليه فلما هدم المسجد وغير اخذ ابي الجذع

وكان عنده فى بيته حتى بل واكلته الارضة وعاد رفاتا ، وذكر من رواية ابن

عباس وانس وجابر وجماعة بطرق بمعان متفقة والفاظ متقاربة فى بعضها انه

خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد من خواره تحزنا على رسول الله صلى الله

عليه وسلم فزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزمه وهو يخور فسكت ثم

قال والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة فامر به نبي الله

صلى الله عليه وسلم فدفن ، وفى بعضها انزعوها واجملوها تحت المنبر فزعوها

ودفنها تحت المنبر ، ولا تمارض فيما بين الاحاديث لانه يحتمل انه اخذه

أبي بعد ما دفن اكراماله فلم يمنع من ذلك ، وما احديثه الله تعالى فى الجذع

عما لم يكن موهوما علم من اعلام النبوة وتنبيه للناس على فضيلة مكانه وعلو مكانته .

ومنه ما كان فى حراء لما تحرك وهو عليه واصحابه وقوله اسكن حراء

فانما عليك نبي او صديق او شهيد .

وفيا بروى عن اسماء بنت عميس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر

بالصهباء ثم ارسل عليا فى حاجته فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم

العصر فوضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر على فلم يحركه حتى غابت الشمس

فقال اللهم ان عبدك عليا احتسب بنفسه على نبيه فرد عليه شرها قالت اسماء

فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض ثم قام على قنوصا وصلى

العصر ثم غابت وذلك بالصبياء .

ولا يعارض هذا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه لم تحبس الشمس على أحد الا يوشع لأن حبسها عند الغروب غير الرد بعد الغروب ، ولا ما روى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ترد الشمس منذ ردت على يوشع بن نون ليا لي سار الى بيت المقدس لأن معناه مازدت الى يومئذ . وليس في ذلك ما يدفع ان يكون ردت على على رضي الله عنه بعد ذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وهذا من اجل علامات النبوة وفيه ما يدل على التغليب في فوت العصر فوق الله عليا ذلك بدعائه النبي صلى الله عليه وسلم لطاعته وكرامته لديه ، وفيه لعل المقدار الخليل والرتبة الرفيعة ، وفيه اباحة النوم بعد العصر وان كان مكروها عند بعض بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من نام بعد العصر فاغتصص عقله فلا يلوم الا نفسه لأن هذا منقطع وحديث اسماء متصل ، ويمكن التوفيق بان نفس النوم بعد العصر مذموم واما نوم النبي صلى الله عليه وسلم كان لاجل وحى يوحى اليه وليس غيره كمثلته فيه والذي يؤيد الكراهة قول عمرو ابن العاص النوم منه خرق او منه خلق ومنه حق - يعنى الضحى والقائلة وعند حضور الصلوات ولأن بعد العصر يكون انتشار الجن وفي الرقعة يكون الغفلة وعن عثمان الصبحة تمنع الرزق وعن ابن الزبير ان الارض تعج الى ربها من نومة العلماء بالضحى مخافة الغفلة عليهم فندب اجتتاب ما فيه الخوف والله اعلم .

في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

روى عن ميسرة قلت يا نبي الله متى كتبت نبيا ؟ قال وآدم بين الروح والجسد ، فيه استعمال بين لواحد ولا يكون بين في اللغة الا لاثنتين لكن الواحد ٢٠ لما وصف بوصفين دخل بذلك في معنى الاثنتين كقوله تعالى (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) وكان آدم جسدا مجردا ثم صار ذارا روح فكان متصفا بوصفين مختلفين فلما زبذلك ادخال بين في وصفه ، والصحيح الذى عليه

المحول ان الجسد غير الروح يوجد احدهما بدون الآخر فاستعمال بين طابقي
محزه وكذا المرء وقلبه متغايران على كل حال سواء اريد بالقلب الجارحة
المخصوصة او غيرها وشرح حال القلب يطول .

قال ابو جعفر رحمه الله وان كان كتب حينئذ نبيا فقد كان كتبه الله
نبيا قبل ذلك في اللوح المحفوظ ثم عاد اكتبه اياه في الوقت المذكور كما قال
(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) الآية .

قلت اعادة اكتبه اياه صلى الله عليه وسلم رفع لشانه وتنويه لقدره
بخلاف سائر الانبياء .

ما جاء في سنده صلى الله عليه وسلم

روى عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة في
مرضه الذي مات فيه مما سارها به واخبرت به عائشة بعد وفاته قالت اخبرني انه
اخبرها انه لم يكن نبي كان بعد نبي الاعاش نصف عمر الذي كان قبله واخبرني ان
عيسى عاش عشرين ومائة ولا ارا في الاذاهبا على ستين - وعن زيد بن ارقم
بعناه وفي هذا ما يصحح قول من قال من الصحابة انه توفي على راس ستين
خلا فالن قال منهم ثلاثا وستين ولما قال نحسا وستين والله اعلم .

كتاب الوضوء

وفيه عشرون حديثا

في فضل الوضوء

فيما روى عن عثمان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس توضأ فأحسن
الوضوء ثم قال من توضأ مثل وضوئي هذا ثم اتي المسجد فركع ركعتين غفر الله
له ما تقدم من ذنبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغتروا ، يعني تغتربوا
على رجاء ان تفعلوا كذلك ليغفر لكم فانه يجوز ان لا توفقوا او تحقرموا .

في غسل اليدين ابتداء

روى من قوله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ احدكم من نومه فليغسل

يده قبل ان يدخلها في الاء فان احدكم لا يدري ان بات يده او فم بات يده ،
 وفي رواية فليسل يده مرتين او ثلاثا ، وفي بعضها فليسل يده ثلاثا ، والمعنى
 انهم كانوا يكتفون بالاحجار فكان يحتمل وقوع يدهم في النجاسة لاسيما ان
 عرقوا وغرقوا في نومهم فأمر وبغسل اليد احتياطا ليتيقنوا بطهارتها وان كانت
 الطهارة الثابتة باقية حتى يتحقق انتقالها الى ضدها بدليل ما روى في الذي يخيل
 اليه وهو في الصلاة انه يجد شيئا من قوله صلى الله عليه وسلم لا ينصرف حتى يجد
 ريحا او يسمع صوتا ، فلماذا قلنا غسلها مندوب لاه اجب ومعارضة قين الاشجعي
 لابي هريرة قوله اذا اتينا مهراسكم هذا بالليل كيف نصنع ؟ فقال اعوذ بالله
 من شرك يا قين هكذا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، لذهوله عن معنى النذب الى
 الوجوب فانه اذا لم يقدر كان معذورا في ادخال يده في المهراس وكان على يقينه
 الاول من طهارة يده حتى يعلم يقينا نجاسة يده فلا يدخل الاء مطلقا وبهذا
 ينتهي التضاد عن هذه الآثار ونعوذ بالله من حملها على ما يوجب تنا فيها وتضادها .

في اسمباغ الوضوء .

روى عن لقيط بن صبرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : واسبغ
 ١٥ الوضوء واخلل بين الاصابع ، يستدل به على وجوب تحريك الخاتم في الوضوء
 لسعة ما بين الاصابع وضيق ما بين الخاتم والاصبع ولقول عمر رضى الله عنه
 لم تختم كيف يتم وضوءك وهذا عليك فنزعه فألقاه ، وذهب بعض الى عدم
 وجوبه منهم ما لك رحمه الله وفيما روى عن لقيط قال صلى الله عليه وسلم له وباع
 في الاستنشاق الا ان تكون صائما ، والامر بالمبالغة في حال الافطار دون الصيام
 يدل على عدم وجوبه اذ الصوم لا يدفع الوجوب ونهيه عنها في الصوم يدل على
 ٢٠ فساد بدخول الماء حلقه ولو كان خطأ ثم في قول الله تعالى (اذا قمتم الى
 الصلوة) الآية وفي حديث لقيط الامر بالتخليل والمبالغة في الاستنشاق قالت
 طائفة من اهل العلم ان ذلك اصابة الفضل في مباشرة الافعال المأمور بها من
 الوضوء والتيمم فان ولي ذلك غيره من نفسه او انعكس في ماء حتى مر على جميع
 اعضائه

اعضائه المأمور بفعلها اجزأه منهم ابو حنيفة واصحابه وقالت طائفة منهم ان ذلك لا يجوز به حتى يمر المتولى ذلك بنفسه من نفسه منهم مالك والقول الاول اولى بتأويل الآية لانهم لا يختلفون ان مقطوع اليد من مرقبيه عليه ان يولى غيره من نفسه ليكون بذلك كفاعله بيديه فدل ذلك على ان الفرض انما هو في فعل ذلك في نفسه اما بنفسه او بفعل غيره ولو كان الفرض في ذلك فعله اياه بيديه .
 لكان قد سقط الفرض الذي كان عليه ان يفعله بها ولم يكن عليه سواء من فعل غيره ذلك به اذ ليس في الآية ذلك ولا في السنة التي ذكرنا آتفا .

قال افاضى والعلوم من مذهب مالك خلاف ما نقل عنه ولا غير انه لا يجوز عنده ان يفعل به من غير علمه لعدم النية منه حينئذ واما الاتقياس في الماء دون امرار اليد لا يجوز عند مالك في المشهور عنه ولو قيل ان من ولى ذلك من نفسه غيره من غير ضرورة لا يجوز به لانه نوع استنكاف عن عبادة الله وتهاون بها لكان قولاً حسناً .

في الوضوء من النوم

روى عن ابن عباس رأيت رسول الله عليه وآله وسلم صلى ركعتي الفجر ثم نام وهو ساجد او جالس حتى غط او نفع ثم قام الى الصلاة فقلت ١٥ يا رسول الله انك قد نمت فقال انما يجب الوضوء على من نام مضطجعا فانه اذا فعل ذلك استرخت مفاصله ، وروى عنه انه بات عند ميمونة خالته فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتوضأ من شنة معلقة قال فوصف وضوءه وجعل يقلله بيده ثم قام ابن عباس فصنع مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جئت فقممت عن شامه فاخلفني فجعلني عن يمينه فصلى ثم اضطجع فنام حتى نفع ٢٠ ثم اتي بلال فاذهبه بالصبح فصلى ولم يتوضأ .

لاتضاد بين القول والفعل لان المقصود في الحديث الاول اعلام

ابن عباس بما يحتاج الى علمه من حكم النوم في نفسه وسائر الناس فعجل له ما به الحاجة الى معرفته وأخر حكم نوم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث

الثاني وبينه بفعله بحضوره يعلم ان حكمه في ذلك مبائن لحكم امته فاجتمع له بقوله وفعله جواب ما سأل عنه من حكم النوم في نفسه وغيره وانما افرق حكمه وحكم امته فيه لقوله ان عيني تمانان ولا ينسام قلبي ، والوضوء لا يجب الا من نوم فيه استرخاء المفاصل واذا لم ينم قلبه لم تسترخ مفاصله ولعل القول والفعل كانا في ليلة واحدة ، وروى عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العين وكاء السه فن نام فليتوضأ ، فجعل يقظة العين مثل الوكاء للقرية فاذا نامت العين استرخى ذلك الوكاء فكان منه الحدث ، وروى انما العينان وكاء السه فاذا نامت العينان استطلق الوكاء ، كنى بهذا اللفظ عن الحدث وخروج الريح وهذا من احسن الكتابات والطفها فعرف ان الطهارة لا يتقصها منه الا ما كان معه استرخاء المفاصل دل عليه قوله السلام اذا انفس احدكم في صلاته فليز قد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو نائم لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه ، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم عند رؤيته حبلا ممدودا بين ساريتين في المسجد ما هذا الحبل ؟ فقالوا افلا تلتصق فاذ اخشيت ان تغلب اخذت به فقال فلتصل ما عقلت فاذا اغلبت فلتنم فيها صحة الصلاة مع مخالطة النوم لغير المسترخي ، وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم آخر صلاة العشاء ذات ليلة حتى نام القوم ثم استيقظوا فجاء عمر فقال يا رسول الله الصلاة الصلاة قال فصلوا ، ولم يذكر انهم توضؤا ، وكان ابن عمر ينام قاعدا ولا يتوضأ واذا نام مضطجعا توضأ ، على هذا كان الصحابة في زمانه وبعده وعلى هذا يحمل قول ابي هريرة من استحق نوما فقد وجب عليه الوضوء ذمما للتعارض والثاني .

غسل الذكر من المذى

روى ان عليا امر عمارا ليسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المذى فقال يغسل مذاكيره ويتوضأ فالأمر بغسل الذكر ليتخلص المذى وينقطع كالأمر بنضح ضرع الهدى بالماء لئلا يسيل اللبن وليس بواجب دل عليه

ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم متواترا من قوله فيه الوضوء ، فأخبر بالواجب وفيه ما ينفي ان يكون فيه واجب سواء .

فى المسح على الخفين

وروى عن ابن عباس قال مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- ٥ الخفين فسئل المائدة او بعدها فقال والله ما مسح بعد المائدة ولأن المسح على ظهر غير بالقلادة أحب الى من ان مسح عليها ، ولا تعلق لانه فيه لانه صح قبل نزول المائدة وليس فيه نهى عن ذلك بعد النزول ونفى ابن عباس محمول على عدم رؤيته بنفسه واختياره بترك المسح فى خاصته لانه من قوم قد اختصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الناس بثلاث ، اسباغ الوضوء ، ومنع اكل الصدقة ، ومنع انزاع الحمار على الفرس ، فيكون المسح عنده لغيره من الناس باقيا .
- ١٠ على حكمه كما كان وله ايضا غير أن لزوم ما اختصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى به من غيره يدل على هذا ما روى عنه انه سئل عن المسح على الخفين فقال للسافر ثلاثة ايام وللبايعين وللمقيم يوم وليلة ، والذي يصحح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على خفيه بعد نزول المائدة ان جريرا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على خفيه فقالوا بعد نزول المائدة فقال ١٥ انما اسلمت بعد نزولها وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الا بعد ما نزلت .

وما روى من اسلامه قبل وفاته بأربعين يوما لا يكاد يصح لأن بعته

- ٢٠ صلى الله عليه وسلم اياه لتخريب ذى الخلصة وكان بيتا فى ختم يسمى الكعبة الجمانية معه مائة وخمسون فارسا من احمس ودعاء له بقوله اللهم اجعله هاديا مهديا ، وضر به بيده على صدره ليثبت على الخليل ثم انطلقه اليها وتحرى بها وتر كها كما أنها جعل اجرب مشهور يدل على قدم اسلامه وكذا قوله صلى الله عليه وسلم له فى حجة الوداع استنصت الناس ثم قال : لا ترجعوا بعدي كفارا

يضرب بعضهم رقاب بعض ، كان في ذي الحجة وهو مسلم ثم عاش الى اثنتي عشرة ليلة من ربيع الاول يدل عليه .

في التيمم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطين احد قبلي ، ارسلت الى الناس عامة وكان من قبلي انما ارسل الى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر ملئ منار عبا ، واحلت لي الغنائم وكان من قبلي يعظمون اكلها كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا اين ما ادركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك انما كانوا يصابون في كناشهم ويعهم ، والخامسة هي مستاقى قيل لي سل فان من قبلك قد سأل فأحرقت مستاقى الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله .

واستدل بهذا على ان ما كان من الارض مسجدا كان منها طهورا ومن ذهب اليه ابو حنيفة وخواف فيه وحمل على الاقسام على ان المراد بعضها مسجدا وبعضها طهورا ومن خالفه ابو يوسف واحتج بحديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت لنا الارض مسجدا وجعلت لنا تربتها طهورا ، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، واعطيت الآيات من آخسودة البقرة من تحت العرش لم يعط منه احد قبلي ولا يعطى منه احد بعدى .

وروي أن عمرو بن العاص حين امر على جيش فيهم عمر بن الخطاب احتلم في ليلة باردة فتوضأ لما أشفق على نفسه الهلاك وأم أصحابه فلما قد مواشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امنا جنبا فأعرض عنه وقال لعمر وأصليت جنبا فقال نعم اصابني احتلام في ليلة باردة لم يمر على وجهي مثلها قط فخيرت نفسي بين ان اغتسل فأموت او اقبل رخصة الله فقبلت رخصته وعلمت ان الله

أرحم بي فتوضأت ثم صليت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنت ما أحب
أنك تركت شيئاً صنعت لو كنت في القوم لصنعت كما صنعت .

ذهب بعض إلى جواز استعمال الوضوء مكان التيمم للجنب بل هو
أولى له منهم أحمد بن صالح وهو فاسد لأن الله تعالى جعل التيمم بدلاً من الغسل
كما جعله بدلاً من الوضوء فلا يجزئ في ذلك الوضوء ويحتمل أن قضية عمرو
كانت قبل نزول آية التيمم حين كان الفرض على عدم الماء الصلاة بلا طهارة
دل عليه عدم إنكاره صلى الله عليه وسلم على أسيد بن حضير ومن معه لما صلوا
بغير وضوء في مسيرهم طالين لقلادة عائشة في منزل نزله فحضرت الصلاة
وليس لهم ماء وذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت آية التيمم .

في العرق

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عند أم سليم وكان كثير
العرق فاعتدت له نطعاً يقيل عليه فتجعله في قارورة فقال ما هذا يا أم سليم؟ فقالت
عرقك يا رسول الله اجعله في طيبى فضحك النبي صلى الله عليه وسلم على ما كان
منها ولم ينكر عليها علم بذلك طهارة العرق لطهارة اللحم وكذا كل ما كوله
طاهر عرقه وما لا يؤكل لحمه لتحريم أو إكراهه لعرقه حكم لحمه .

سور الدواب والسباع

روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الماء وما
ينوبه من السباع؟ فقال إذا بلغ الماء قلتين فلا يسبح - وفي رواية وما
ينوبه من السباع والدواب فيه ما يدل على أن ما دون القلتين يحمله ولا يعارضه
ما روى عنه صلى الله عليه وسلم لما في بطونها وما بقي فهو لنا ظهور جواباً لمن
قال يا رسول الله تردها يعني الحياض التي بين مكة والمدينة السباع والكلاب
والخمر لأن مداره على عبد الرحمن بن زيد وحديثه عند أهل الحديث في نهية
الضعف يؤيده ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ظهور

الآثاء اذا وانغ فيه الكلب ان يغسل سبع مرات الاولى بتراب - وروى في الهرة
غسل مرة او مرتين شك فيه قره .

فهذا اخبار بنجاسة سور الكلب والهر ولا يضره توقيف ابن سيرين
هذا الحديث على ابي هريرة لعلمه ان كل حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعدم اشتباه امره على الناس ولا يعارض هذا بما روى عن عائشة كنت
اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثاء الواحد وقد اصابته الهر
منه قبل ذلك لأن راويه حارثة بن ابي الرجال وهو متكلم فيه ولا بما روى عن
ام داود بن صالح بن دينار أن مولاة لعائشة ارسلتها بهريسة وهي تصلى
فاصابته هرة منها فلما انصرفت عائشة قالت للنساء كنن فلو تقين موضع فم الهرة
فدورتها عائشة ثم اكلت من حيث اكلت الهرة ثم قالت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انها ليست بنجس انما هي من الطوائف عليكم وقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بفضله لان ام داود هذه ليست ممن
يؤخذ عنها ولان قوله ليست بنجس يحتمل انه اراد في كونها في البيوت وفي
مما سنها الثياب لافي طهارة سورها وكان ابن عمر يجعل سور الهر كسور الكلب،
وعن ابي هريرة يغسل الآثاء من الهر كما يغسل من الكلب، اراد
تمثيله في وجوب الغسل لافي العدد اذا التشبيه لا يعمم كقوله تعالى (الا ام
امثالكم) ولان لجمه حرام فالقياس حرمه سورة .

في الارواث

قد استدلل من رأى ارواث ما يؤكل لحمه طاهرا بالحديث المشهور
الذي رواه ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يصل عند البيت فقال ملا
قريش ايكم ياخذ هذا الفرت بدمه فيضعه على ظهره اذا سجد فانبعث اشقاها
فاخذ فرت جزور نحر ووضع على ظهره وهو ساجد فجاءت فاطمة تسمى
فاخذته من ظهره فلما فرغ من صلاته دعا عليهم ثلاث مرات وسمى رجالا

قلبوا

قلبوا كلهم في قلب بدر قتلى .

- وعن ابن مسعود انه صلى وعلى بطنه فرث ودم فلم يعد الصلاة منهم مالك والثوري وزفر والحسين بن صالح وخالقهم ابو حنيفة واصحابه رضى الله عنهم بما روى زكريا وشعبة عنه ان الذي اتى على ظهره صلى الله عليه وسلم في صلاته سلا جزور وهو وعاء الولد مما لا فرث فيه ولادم كسائر لحما ورواية الاثنين اولى من رواية على بن صالح ولانه اذا تعارض وجب الرجوع الى النظر عند عدم دليل فوته والاصل المتفق عليه ان دماء الانعام كدماء بنى آدم غير راجعة الى حكم لحومها فوجب ان يكون ارواثها كذلك لا يرجع فيها الى حكم لحومها بل يكون كغائط بنى آدم ويحتمل عدم اعادة ابن مسعود صلاته لقلة مقدار النجس ولا يقال فقد كان سلاها جزء ميتة لان ذبائحهم غير مذكاة لانهم وثنون فيجوز صلاة حاملي نجاسة من ميتة وغيرها لانه كان في اول الاسلام قبل تحريم ذبائحهم .

في الاستحاضة

- روى عن حنة ابنة جحش انها استحاضت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى استحضت حيضة منكورة ١٠ شديدة فقال لها احشى كرسفا فقالت انه اشد من ذلك انى ائيج نجا قال تلجمى وتحيضى فى كل شهر فى علم الله ستة ايام او سبعة ثم اغتسلى غسلا وصومى وصلى ثلاثا وعشرين أو اربعا وعشرين أو أخرى الظهر و قد مى العصر و اغتسلى لها غسلا وأخرى المغرب و قد مى العشاء و اغتسلى لها غسلا وهذا احب الامرين الى .
- المعنى فى هذا انه امرها ان تتحيض فى علم الله ما اكثر ظنها انها فيه ٢٠ حائض بالتحري منها اذ لك لانه رد الخيار فيه اليها من غير تحريمها كما امر من دخل عليه شك فى صلاته ان يتحرى اغلب ذلك فى قلبه فيعمل عليه وهذا انما يكون عند نسيانها ايامها التى كانت تحيض فيها فأمرت بالتحري كمن شك فى صلاته ولم يعلم كم صلى .

وقوله ستة ايام اوسبعة ايام شك من الراوى وانما امرها النبي صلى الله عليه وسلم بأحد العددين الذى اخبرت انه كان عدد ايامها وذهب عنها موضعها من الشهر لانه خيرها فى احدهما .

وقوله فأخرى الظهر وقلبي العصر فهو على الرخصة لها من الجمع بين الصلاتين لانه لا يأتى عليها وقت صلاة الا احتمل ان تكون فيه حائضا او طاهرا . يجب عليها الغسل او مستحاضة يجب عليها الوضوء فكان عليها ان تغتسل لو وقت كل صلاة حتى يخرج عن العهدة ييقن فلها عجزت عن ذلك جعل لها ان تجمع بين الصلاتين بغسل واحد بتأخير الأولى منها الى وقت الاخرة وتغتسل للصبح غسلا وهذا احسن ما تقدر عليه فى صلاتها وانما امرت ان تصلحها فى وقت الاخرة منها دون الاولى منها للمنيين .

الاول انها لو صلتهما فى وقت الاولى منها لصالت الآخرة قبل وقتها والثانى انها اذا صلت بالغسل عند دخول الآخرة فقد صلتهما طهارة محققة الى آخر الوقت ثم مجموع ما قيل فى المسئلة اربعة اقوال . الغسل لكل صلاة ، وثلاث مرات فى اليوم ، ومرة فى كل يوم ، ومرة واحدة فى كل شهر والاول اشق ثم وثم والأجر على قدر المشقة ، وروى عن عائشة ان فاطمة بنت ابى حبيش كانت تستحاض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دم الحيض اسود يعرف فإذا كان ذلك فامسكى عن الصلاة وإذا كان الآخر فتوضئ وصل ، فيه اعتبار دم الحيض بلونه وهو حديث لم يروه عن عروة عن عائشة الا محمد بن المثنى وقد انكر ذلك عليه ارواية من خالفه فى ذلك وان اوقفه على عروة بن الزبير وكل من روى هذه القصة اتى بها خالية عن لون الدم ويؤيده النظر الصحيح على سائر الاحداث فان الوانها غير معتبرة كالتغوط والبول وانما الاحكام لها فى انفسها لا لوانها .

واهل العلم فى دم العرق على مذهبين - ليس يحدث عند اهل المدينة وحدث عند غيرهم وليس احد منهم اعتبر لونه فـكان مثل ذلك النظر

في دم الحيض يكون حكمه حكم نفسه لا حكم لونه وروى عن سليمان بن يسار عن أم سلمة أن امرأة كانت تهراق الدماء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتت لها أم سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظر إلى عدد الأيام والأيام التي كانت تحيضن من الشهر قبل أن يصيبها الذي أصابها ثم لتدع الصلاة ثم لتغتسل ولتستنفر (١) بثوب ثم لتصل .

- في قوله صلى الله عليه وسلم لتنظر إلى عدد الأيام والأيام ما يدل على أن الحيض ليال وأيام وهو ثلاثة أيام لا أقل منها وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه فإن عورض بفساد الأسناد بتوسط مجهول بين سليمان وأم سلمة فقد وجدنا من حديث ابن عمر وأبي هريرة مسند ما يدل على أقل الحيض وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر النساء تصدقن واكثرن الاستغفار فاني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن ما لنا يا رسول الله؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال إما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا من نقصان العقل وتمكث ليالي ما تصلى وتفطر رمضان فهذا نقصان الدين - واللفظ لابن عمر وفي حديث أبي هريرة تمكث احداكن الثلاث والاربع لا تصلى قال الطحاوي ولا نعلم شيئا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقدار قليل الحيض غير ما ذكرناه فوجب القول به وترك خلافه .

في آتيان الحائض

- روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال ليتصدق بدینار أو بنصف دينار - هذا حديث مضطرب أوقفه بعضهم على ابن عباس ورفع بعضهم وقال بعضهم فأن لم يجد بنصف دينار وقال بعضهم أن كان في الدم العبيط فدينار وإن كان في الصفرة فبنصف دينار .

وروى عن عمرو وكانت له امرأة تكره الجماع فكان اذا ارادها اعتلت بالحيض فوقع عليها ظانا كذبها فاذا هي حائض فسال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فامرهم ان يتصدق بخمسين دينارا - ثم الصدقة التي امر بها قيل انها قرينة الى الله تعالى كالصدقة عند كسوف الشمس ويحتمل انها كفارة والقربة اولى لان الكفارات المأمور بها قد خلط فيها الصوم بغيره بخزاء الصيد وفدية الأذى او جعل بدلا منها ككفارة اليمين والظهار والقتل والفطرى ومضان عامدا وهذه ليست كذلك .

في ترك الجمعة

روى عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة في غير عذر فليصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار - فيه ان من تركها بعذر لاشيء عليه وانها صدقة لا كفارة لانها تجب بفعل ما يوجبها بعذر وبغير عذر لان الفرق بينهما في الاثم لافي الكفارات ، قلت ، فعلى هذا يلزم ان تكون الصدقة في باب الحيض كفارة لان عمر امرها مع كونه معذورا فانهم .

في وجوب غسل المرأة اذا احتلمت

روى ان جبرا من احوار اليهود قال ارسل الله صلى الله عليه وسلم اسألك عن الولد قال ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة اذ كر باذن الله واذا علا مني المرأة مني الرجل آنت باذن الله فقال اليهودي صدقت وانت نبي ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتني عن الذي سألتني عنه ومالي علم بشيء منه حتى اتاني الله عز وجل به .
وروى ان ام سليم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل على المرأة ترى زوجها في المنام يقع عليها غسل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اذا رأت بلا فقلت وتفضل ذلك المرأة فقال ترب (١) جبينك وانى يكون شبه الخوالة الا من ذلك اى النطفتين سبقت الى الرحم غلبت الى الشبه لا تعارضين

الحديثين لأن في الأول الاذكار والاثبات بعلو احد المائتين الاخر وفي الثاني
 الشبه بسبق احد المائتين الاخر الى الرحم فلكل حديث معنى وكذا لا يعارض
 الاول حديث حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الملك على
 النطفة بعد ما تستقر في الرحم اربعين ليلة فيقول يا رب ماذا أشقى ام سعيد؟
 فيقول الله فيكتبان فيقول ذكر ام انثى؟ فيقول الله فيكتبان رزقه وعمله ومصيبته
 ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وروى عنه ايضا انه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة اثنتان واربعون ليلة بعث
 الله عز وجل اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظمها ثم قال
 يا رب اذكر ام انثى فيقضى ربك عز وجل ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب
 اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضى ربك ما شاء
 ويكتب الملك ثم يخرج بالصحيفة في يده فلا يزيد على امر ولا ينقص لأن
 الحديث الاول انما هو على المنى قبل ان يكون نطفة عما قدر الله فيه ان يكون
 ذكرا وانثى مع علو احد المائتين ثم في حديث حذيفة شق السمع والبصر بعد
 تلك المدة وسؤال الملك مستعلما عما تقدم من الله فيه اذكر ام انثى ليكتب في
 الصحيفة وقد تقدم علم الله قبل ذلك فلا تعارض ثم الحديث الثاني لحذيفة اذا
 مر بالنطفة اثنتان واربعون ليلة وقع كالتفسير لما ابهم في قوله في الاول بعد
 ما يستقر في الرحم اربعين فانهم .

كتاب الصلاة

وفيه ثمانية وتسعون حديثا

٣٠

في تفضيل المساجد

روى عن ابي ذر أنه قال يا رسول الله اى مسجد وضع في الارض قبل
 قال المسجد الحرام قال قلت ثم اى قال ثم المسجد الاقصى قال قلت كم بينهما
 قال اربعون سنة واينما ادركتك الصلاة فصل فهو مسجد لا يشك ان بانى المسجد

الحرام ابراهيم كما لا يشك ان ياتي المسجد الاقصى داود وابنه سليمان من بعده وكان بين ابراهيم وبينهما من المدد ما يتجاوز عن الاربعين بامثالها ولكن الوضع غير البناء والسؤال عن مدة ما كان بين وضعهما لا عن مدة ما بين بناءهما فيحتمل ان يكون واضع المسجد الاقصى بعض الانبياء قبل داود وسليمان ثم بناء داود وابنه في اوقت الذي بناه فيه وكذلك يجب ان يحمل تاويل مثله عليه قال علي رضي الله عنه اذا حدثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فظنوا برسول الله اهناه واتقاه واهداه وبالله التوفيق .

في فضل المكتوبة في المساجد

روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لصلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ، وروى عن عمر صلاة في المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد الا مسجد الرسول فانما فضله عليه مائة صلاة ، وهذا مما لا يعرف رايا وعن ابن الزبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في ذلك افضل من مائة صلاة في هذا . ١٥

وروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فيما سواه - كما انه يعني مسجده صلى الله عليه وسلم فمقلنا بهذا ان افضل المساجد الثلاثة المسجد الحرام لان الصلاة فيه كما في الف صلوة وفي مسجد المدينة كالف ثم طلبنا لنقف على فضل الصلاة في المسجد الاقصى فلم نجد ما يدل على فضل له على غيره من المساجد سوى الثلاثة المذكورة في هذه الآثار غير ما روى عن ابي ذر سأت رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة في مسجديك افضل ام الصلاة في بيت المقدس فقال صلاة في مسجدي مثل اربع

صلوات في مسجد بيت المقدس ولنعم المصلى هو ارض المحشر وارض المنشر ،
فيه ما يدل على ان الصلاة فيه كما تقي صلاة وخمسين صلاة في غيره ، وروى
ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجد بيت المقدس خمسين
صلاة ، ففيه ان الصلاة في مسجد المدينة كصلاتين في مسجد القدس ، وروى
ميمونة مولاته صلى الله عليه وسلم انها قالت افتنا في بيت المقدس فقال ارض
المحشر والمنشر اتوه فصلوا فيه فان الصلاة فيه كألف صلاة في غيره ، ففيه ان
فضله كفضل مسجد المدينة فوقتنا بذلك على ان الله تعالى من على عباده زيادة
منة بتفضيل الصلاة في مسجد القدس درجة فدرجة الى ان ساواه في الفضيلة
بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفي اعمال المطى اليه واعطاء الثواب عليه .

في فضل النافلة في البيت

روى زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصلاة
صلاتكم في بيوتكم الا المكتوبة ، ففيه ان صلاة النافلة في البيوت افضل من
صلاتها في المساجد الثلاثة فيكون التفضيل السابق للصلاة في المساجد الثلاثة
في القرائن لا غير ويعلم به فقه من قال لو نذر أن يصلي لله صلاة في المسجد
الحرام او مسجد المدينة او مسجدا لأقصى فصلاها في بيته انها تجزيه لانه صلاها
في موضع صلاته اياها فيه افضل من صلاته اياها في الموضع الذي عينه واوجبه
على نفسه وهو مذهب ابي حنيفة وعنده قول ابي يوسف فيه مضطرب .

في مسجد قباء

روى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء ما شيا
وراكبا وروى عنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي شيئا من المساجد
الا مسجد قباء . وكان ابن عمر يفعل ، ففيه انه كان من عادته صلى الله عليه وسلم
ذلك لانه لم يقل انه اتى وفيه تحضيض اصحابه على اتيانه وروى ذلك عنهم كما
ذكر في حديث نافع عن ابن عمر قال كان سالم مولى ابي حذيفة يؤم المهاجرين

الأولين واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم ابوبكر وعمر وابوسلمة وزيد بن عامر وكان سالم اكثرهم قرآنا، وفيه ما يخالف رواية المعمرور بن سويد انه كان مع عمر رضى الله عنه بطريق مكة فرأى ناسا يذهبون مذهبها فسأل عنهم قالوا يأتون مسجدا صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هلك من كان قبلكم باشباه هذا يتبعون آثار نبيهم فاتخذوها كنائس ويصلي من ادركته الصلاة في شئ من المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل فيها والا فلا يتعمدها الا ان يقال يحمل كلام عمر على موضع صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الصلاة ادركته فيه لا فضيلة فيه والناس قصدوه لتعظيمه وتفضيله على غيره من المواضع فيؤول الى اتباع من كان قبلهم من الأمم فيما فعلوه فاذ لك نهاهم بخلاف مسجد قباء فان له فضيلة كما سيجيء وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مسجد قباء فصلى فسمعت به الانصار لحاء وافلسوا عليه فاشار عليهم بيده ردا لسلامهم وعنه نرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء ليصلي فيه فسمعت الانصار الحديث، ولا يقال ان صلاة المرء في بيته افضل الا المكتوبة فكيف كان يترك الافضل ويتجشم المسافة الى ما هو دونه لانه يحتمل ان ذلك لما وجب عليه صلى الله عليه وسلم ان لا يجلس فيه حتى يصلي فيه قبل الجلوس كما امر الناس بتحية المسجد لا لما سواه واما التطوع في بيته فافضل من الصلاة في قباء لانه لا فضلها على الصلاة في مسجده وهو فوق مسجد قباء في الفضل كانت اخرى ان تكون في البيوت افضل منها في قباء وان كان لمسجد قباء ايضا فضيلة يؤتى من اجلها دل عليها ما ذكر الله تعالى في شأنه وشان المسجد الذي زعم الذين بنوه انهم بنوه ليكون كئله وشتان ما بينهما ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياتيه لمواصلة الانصار والاجتماع لهم فيه للصلاة فريضة ولانافلة لان الفريضة في مسجده والنافلة في بيته افضل وما روى انه كان ياتي مسجد قباء ليصلي فيه فهو كلام قاله الراوى لعله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ياتيه ليجلس فيه الا صلى فيه قبل الجلوس، قال القاضي ولو قيل

ان للصلاة فيه فضلا على ما سوى المساجد الثلاثة لمن لم يكن من اهل هذه الثلاثة
ولمن كان متتابا لا يبيت له لكان صوابا والله اعلم .

وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من بني خندرة ورجلا من بني عوف
امتريا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال العوفي هو مسجدنا بقاء وقال
الخدري هو هذا المسجد مسجدا - ولله صلى الله عليه وسلم قاتيا النبي صلى الله
عليه وسلم فسألاه فقال هو هذا المسجد مسجدا رسول الله وفي ذلك خير كثير .
وعن عروة هو مسجد بقاء الذي اسس على التقوى لبنيا نرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا به .

- روى عن عائشة اول من حمل حجر قبلة مسجد بقاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم حمل أبو بكر آخر ثم حمل عمر ثم حمل عثمان فقلت يا رسول الله
الا ترى هؤلاء يتبعونك فقال اما انهم امراء الخلافة بعدي، ويؤيده ما ذكر عن
سعيد بن جبيرة أن بني عمرو بن عوف ابتنوا مسجد بقاء وصلى فيه الرسول صلى الله
عليه وسلم فحسد هم بنو غنم بن عوف وبنوا مسجد الضرار وقصدوا بذلك
التفريق بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في بقاء فيغتص بهم وارضدوه
لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الراهب الذي سماه الرسول صلى الله عليه
وسلم اقساق وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي فيه كما صلى في
مسجد بني عمهم فنزلت الآية فأمر جماعة بهم وحشي قاتل حمزة بتخريبه وتحريقه
وجعل مكانه كناسة يلقي فيه الخيف، وما روى بحديث متصل من رواية جابر
وانس وغيرهما انه لما نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال النبي صلى الله عليه
وسلم يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم خيرا في الطهور فما طهروكم؟ قالوا
نوضا للصلاة ونغتسل للجنازة ونستنجي بالماء قال هو ذاك فعليكوه فدل انه
مسجد بقاء دون مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لان الرجال هم الانصار دون
من سواهم، واقائل ان يقول مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان معمورا
بالمهاجرين والانصار ومن سواهم فالتخصيص بالانصار تحكم، وحديث سعيد بن

جبر منقطع لا يقاوم حديث ابى سعيد الخدرى والله اعلم .

فى بناء المسجد

عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو كفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة او بنى له مثله فى الجنة وروى ابى له
 ٥ اوسع منه فى الجنة .

ومن روى بنى له مسجدا فى الجنة يعود بالتأويل الصحيح الى
 مارواه الجماعة وذلك ان المساجد انما تبنى بيوتات ثم تعود مساجد بالصلاة فيها
 واذا اثاب الله الباني مثل ما بناه والذي بناه بيت حتى يصلى فيه فيصير مسجدا
 كذلك يبنى له مثله بيتا والجنة ليست بدار صلاة ولا عمل فيبقى ما بناه الله له فيها
 ١٠ بمثل اسم المسجد الذي بناه قبل ان يصلى فيه وقوله كفحص قطاة على التقليل
 لاعلى التحقيق كقوله فى العقيقة ولو بغصفور وفى ازانة بيعوها ولو بضعفرو وفى
 السارق يسرق البيضة وقوله بنى له مثله المراد مماثلته فى التسمية لا غير كقوله
 تعالى، ام امثالك .

فى مسجد الدار

عن عائشة رضى الله عنها قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ١٥ بالمساجد أن تبنى فى الدور وان تنظف وتطيب، لاجبة فيه لمن ذهب الى
 جعل مسجد الدار الذى يغلق بابها عليه ويحال بينه وبين الناس فى حال ما وان
 كان اذن للناس بالصلاة فيه زائلا ملك مالكه عنه كسائر المساجد والحق
 انه لا يصير مسجد ابدا لك القدر وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه لانه يحتمل
 ٢٠ انها ارادت المواضع التى فيها الدور لا الدور التى يغلق عليها الابواب ويكون
 المسجد فى خلال الدور وافتيتها لاق داخل شئ منها فيما يغلق عليه ابوابها
 لان ما جمع الدار من المواضع يسمى بمجملته دار الان السكنى فيها لا تنهى الابه
 قال تعالى (تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام) (فاصبحوا فى ديارهم جاين) (سارىكم
 دار الفاسقين) فدل ان البلدة تسمى دارا وتسمى ديارا ومنه خير دور

الانصار رد اربى النجار - الحديث ، واذا احتمل هذا التأويل سقط الاحتجاج به ووجب ان لا يعطى له حكم المساجد في رفع الملك عنه ودخول غير ارباب الدور فيه الا باذن جديده وان يجرى التوارث فيه والله علم .

في الاذان

- روى معاوية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤذنين اطول الناس اعناقاً يوم القيامة ، معناه ان الناس تطاول اعناقهم الى ثواب اعمالهم يوم الجزاء وبينهم تفاضل والمؤذنون لكثرة مرجوهم اطول اعناقاً من سائرهم (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً) كما تخضع اعناق اهل المعاصي يومئذ (فظلت اعناقهم لها خاضعين) قال القاضي ويحتمل ان يكون مجازاً عن زيادة امنهم يوم انزع الاكبر بحيث يشتهر امرهم في الامن فلا يخفى ١٠ على احد لا شهارة عملهم في الدنيا ومنه فلان يمشي بين الناس طويل العنق اذا لم يخف على نفسه في زمان يستريب الناس فيه بالخوف على انفسهم من الظلمة ، قلت الاول لكونه اقرب الى الحقيقة احسن .

في الأجرة على الاذان

- روى عثمان بن ابي العاص قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ مؤذناً لا يأخذ على اذانه اجراً ، ليس فيه دلالة على جواز اخذ الاجرة على الاذان بل لعقد بل فيه جواز اخذ اجر يكون كالثبوة والتنويل على الافعال التي يحمد فاعلوها ايد وموا عليها ويقوى باعتمهم عليها منه قوله تعالى (قل ما اسئلكم عليه من اجر) وقال (ما سألتم من اجر فهو لكم) مع ان من لا يقبل ذلك افضل ممن يقبله لعلمه بالسبب الذي من اجله اعطى فأمر عثمان ان يتخذ افضل ٢٠ المؤذنين واعلاهم رتبة في ثواب الآخرة بترك التعوض من الدنيا الدنية على الامور الدنيوية ، ثم القياس ايضا يمنع من استحقاق الاجر على الاذان بالعقد لان مستأجره لا يملك بمقابلة الاجر الذي يئذه منافع الاجير ملكاً خاصاً يبين به

دونه وهو شرط في كل عقد اجارة قضية للمعاوضة فينبغي ان لا تجوز الاجارة عليه، قال القاضي شرط صحة الاجارة ان يكون المعقود عليه من الافعال المباحة للاجير فان الواجب والحرام لا يعقد عليه شرعا والاذان مباح او مندوب وليس تملك المستأجر منفعة الاجير شرطاً للاجماع على جواز الاستئجار على بناء المساجد .

قلت يملك المستأجر بناء المسجد اولا ثم يصير مسجداً على ملكه اذ وقف ما لا يملك غير صحيح كالاتفاق وكفالك فارقا تسمية المستأجر بانيا للمسجد ولا يسمى مؤذنا وان وجد التسبب فيها .

في الصلاة خير من النوم

روى ابو محذورة ان النبي صلى الله عليه وسلم عليه في الاذان الاول من الصبح الصلاة خير من النوم ، وروى عنه كنت غلاما صبيتا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قل الصلاة خير من النوم ، ففيه تحقيق للصلاة خير من النوم في الصبح وروى مثله عن انس وعن ابن عمر وروى عن حفص ان جده سعد المؤذن كان يؤذن لاهل قباء في عهده صلى الله عليه وسلم حتى نقله عمر في خلافته فاذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وانه سمع من اهله ان بلالا اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذنه بصلاة الفجر بعدما اذن فقبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم فادى باعلى صوته الصلاة خير من النوم فاقرت في تأذين الفجر ثم لم يزل الامر على ذلك ، فيحتمل ان اكان من بلال متقدما لما في حديث ابي محذورة فصار من سنة الاذان ثم علم النبي صلى الله عليه وسلم ايا محذورة الاذان واختلف الفقهاء فيه فمنهم على تركه واضطرب فيه قول الشافعي وحجته في تركه انه لم يكن فيما علم ابا محذورة وقد ذكرنا ذلك عن ابي محذورة غير انه لم يوجد في رواية الشافعي له عن رواه عنه من اصحاب ابن جريج ولكن فقهاء الحجاز والعراق على ما روينا اولامن الاستعمال في اذان الصبح .

في الصلاة في الرجال

خطب ابن عباس في يوم الجمعة فلما اذن المؤذن فبلغ حتى على الفلاح قال ناد الصلاة في الرجال فنظر بعضهم الى بعض قال فقد فعله من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى كرهت ان اخرجكم ، فلم بهذا ان هذا مما يجب ادخاله في الاذان عند الحاجة اليه ، وروى نافع عن ابن عمر أنه وجد بردا شديدا في سفر فامر المؤذن ان يؤذن معه بأن صلوا في رجالكم فأتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر مثل ذلك اذا كان مثل هذا .

في امانة المؤذن

عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم ثبت الأئمة واغفر للمؤذنين او ارشد اللهم الأئمة واغفر للمؤذنين ، على ما روى عنه من ذلك يعني مؤتمن على الاوقات الخمسة فيعتمده الناس في صلاتهم وفطرهم وفي اورادهم التي وظفوها والا امام ضامن لان صلاة المقتدين مضمنة بصلاته صحة وفساد او سهوا حتى لو صلى محدثا او جنبا او باد يا عورته متعمدا وهم متطهرون مستترون تفسد صلاتهم بالاتفاق والقياس انه اذا كان ذلك كذلك في العمد يكون في السهو مثله كما في حكم نفسه ١٥ يستوى سهوه وعمده في فساد صلاته .

قلت فعلى هذا الامام ضامن يعني تضمن صلاته صلاة المقتدى والكلام سيقى بيان فضيلة الامامة وفضيلة الاذان وتأويل القاضي يتحمل الاثم عنهم فيما اذا صلى على غير طهارة او اخل بشيء من القرائن حتى افسدها وهم لا يعلمون فيكون ما اخذوا به دونهم على حكم الضمان انحراج للكلام عن المدح الى الذم ٢٠ وتقيد لا طلاقه بحالة تاديرة من احواله من غير حاجة مع ان المؤذن المؤتمن اذا قصدا ضلال الناس عن الوقت وفساد عباداتهم الموقفة عليهم يتحمل الاثم

عنهم ايضا فلا وجه لتخصيص الضمان بالامام حيثئذ ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالتثبيت والارشاد للائمة وبالمغفرة للمؤذنين مما يصحح التأويل الاول يؤيده ما روى عن عقبة بن عامر الجهني قال صلى الله عليه وسلم من ام الناس فأتم الصلاة واصاب الوقت فله ولهم وان انتقص من ذلك شيء فعليه ولا عليهم. وما روى عن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام جنة فان اتم فلکم وله وان نقص فعليه التقصير ولكم التمام فان تحمل الامام اثم الجماعة اذا قصر يفهم منه صريحا فكان في حمل الامام ضامن عليه ايضا تكرار والتاسيس اولى من التاكيد، ثم في هذا الحديث ان الاقامة الى الامام دون المؤذن فكان عليه بالتقصير عن وقتها الاثم خاصة كما كان الاثم على المؤذن بالتقصير في طلب وقت الاذان وروى ذلك عن علي رضي الله عنه انه قال المؤذن املك بالاذان والامام املك بالاقامة .

في التنافس على الاذان

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام ضامن والمؤذن مؤمن فارشد اللهم الأئمة واغفر للمؤذنين، فقالوا يا رسول الله تركتنا تنافس على الاذان قال كلا ان بعدكم زمانا يكون مؤذنوهم سفلتهم، ففيه انه سيكون زمان يترك اشراف الناس فيه الاذان وينتدب اليه من دونهم في النسب فتعلو بذلك مراتبهم وهذا مثل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ان الله يرفع به اقواما ويضع بتركه آخرين وروى ان عمر لما استعمل نافع ابن الحارث على مكة فتلقاه بعسفاً فساء له عن استخلفه فقال استخلفت عليهم ابن ابري مولى لنا فقال استخلفت عليهم مولى قال انه قارى لكتاب الله عالم بالفرائض قاض فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين واني لأرجو أن يكون ممن رفع بالقرآن فكذلك يحتمل ان يرفع بالاذان من لم يكن رفيعا .

في حضور الجماعة

- روى عن عتيان بن مالك قلت يا رسول الله اني ضرير وان السيول تحول بيني وبين المسجد فهل لي من عذر؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل تسمع النداء؟ فقال نعم فقال ما اجد لك عذرا اذا سمعت النداء، رواه الشافعي عن ابن عيينة عن ابن شهاب عن مجاهد عن عتيان، قال انشأ فيهم فيه فيما نرى والدليل عليه ان مالكا اخبرنا عن ابن شهاب عن مجاهد بن الربيع ان عتيان كان يؤم قومه وهو اعمى وانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها تكون الظلمة والطر والسيل وانا رجل ضرير البصر فصل يا رسول الله في بيتي في مكان اتخذه مصلى بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين تحب ان اصلي؟ فأشار الى مكان من البيت فصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . اختلف اهل العلم في وجوب حضور الجماعة على الضرير كوجوبها على الصحيح - فطائفة جعلوه كمن لا يعرف الطريق فلم يعذر بجهله اياه عن التخلّف وعذره طائفة والقولان مرويان عن ابي حنيفة - والصحيح وجوب الحضور عنده والى ذلك كان يذهب محمد ولا يحكي فيه خلافا وقد خاطب ابن ام مكتوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا (لايستوى القاعدون من المؤمنين) قبل انزال (غير اولى الضرر) بأن قال له ١٥ لو استطع الجهاد لجاهدت فلم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقل له انك اعمى ولا فرض على الاعمى فدل على ان ما يستطيعه الاعمى يكون فيه كالابصير وحكم وجوب الحج عليه اذا وجد اليه سبيلا وقائدا موصلا كذلك .

في التنفل قبل المغرب

- روى عن عبد الله بن مغفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذا نين صلاة، بين كل اذا نين صلاة، بين كل اذا نين صلاة لمن شاء، ليس فيه دلالة ان بين اذان المغرب واقامتها صلاة لان المذكور بين كل اذا نين لا بين كل اذان واقامة ولا شك ان بين اذان الفجر واذان الظهر صلاة وهي ركعتا الفجر وما يتطوع به بعد طلوع الشمس بعد حلقها وكذا بين اذان الظهر وبين اذان العصر ٢٠

صلاة لمن شاء وبين اذان العصر واذان المغرب صلاة قبل صلاة العصر وكذا بين المغرب والعشاء فهذا ظاهر الحديث ومن ادعى غيره فعليه بانه - وحديث عبد الله المزني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا قبل صلاة المغرب ركعتين ثم قال صلوا قبل صلاة المغرب ركعتين ، قد اختلف في اسناده ومثله لانه قال في الثالثة لمن شاء كراهة ان يحسبها الناس سنة وروى عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عند كل اذان ركعتين ما خلا صلاة المغرب ، فان كان الحد يثان واحدا يكون الثاني مبينا انها ما سوى صلاة المغرب وان كانا متغايرين يكون ناسخا لأن الأمر والنهي اذا اجتمعا كان النهي اولي وما روى عن انس كذا نصلي الركعتين قبل المغرب في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يرانا لا يامرنا ولا ينهانا ، يحتمل انه كان تم نسخ وكذا ما روى عن عمر بن عامر عن انس كان اذا نودي بالمغرب قام لباب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستدرون السواري يصلون الركعتين ، فانه يحتمل ان هؤلاء لم يعلموا النسخ الذي عليه بريدة ولا يستبعد عدم العلم عن هؤلاء الجلة كما خفي على ابن مسعود رضي الله عنه مع جلالته نسخ التطبيق وكان يفعله الى ان مات وخفي على علي رضي الله عنه اباحة لحوم الاضاحي بعد ثلاث على ما روى عنه انه خطب به لما صلى بالناس وعثمان محصور نهاهم ان يأكلوا من الاضاحي فوق ثلاث ، ومثله كثير يجزى ما جئنا به عن بقيته - وعن قتادة قلت لسعيد بن المسيب ان اباسعيد الحدري كان يصلي الركعتين قبل المغرب قال كان ينهي عنها ولم ادرك احدا من الصحابة يصلها غير سعد بن مالك ، فقيه ان من لم يكن يصلها هو اكثر الصحابة عددا وقد روى عن ابراهيم انه قال الركعتان قبل المغرب بدعة لم يصلها النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابوبكر ولا عمر روى ذلك محمد بن ابي حنيفة عن حماد عنه قال محمد وبه نأخذ وموضع ابراهيم من العلم موضعه وخبرته بالصحابة خبرته وكان العمل بعد ذلك في المساجد الثلاثة على تركها وفقهاء الامصار على ذلك .

في وقت القيام الى الصلاة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى ترونى ، فيه نهى للناس عن الدخول في الصلاة قبل امامهم فكان قيامهم قبل حضوره فضلا لاجابة بهم اليه فنهوا عن ذلك وقال ابو خالد الدالانى انا نا على رضى الله عنه وقد اقيمت الصلاة ونحن قيام نتظره فقال ما لى اراكم سامدين . والسمود اللهوفهوا ان يكونوا لاهين .

في وقت تكبير الامام

روى عن بلال قال اشترطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يسبقنى بآمين ، فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاته بعد دخوله فيها طائفة من الفاتحة قبل فراغ بلال من اذانه ، وفيه دليل صحة ما ذهب اليه ابو حنيفة . رضى الله عنه من شروع الامام اذا بلغ المؤذن قد قامت الصلاة ومثله روى عن عمر ، ومثله عن قيس بن ابي حازم على كثرة من بقى من الصحابة وذهب اكثر العلماء الى انه لا يكبر حتى يفرغ المؤذن من اقامته محتجين بحديث انس ، اقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اقيمت الصلاة فقال اقيموا اصفوكم وتراصوا انى لأراكم من وراء ظهري ، وبحديث البراء اذا اقيمت الصلاة مسح صدورنا وقال راصوا المناكب بالمناكب والأقدام بالأقدام فان الله يحب في الصلاة ، ما يحب في القتال كأنهم بنيان مرصوص ، غير أنه يحتمل ان يكون ذلك منه صلى الله عليه وسلم ليفعلوا ما امرهم به والذي كان عليه قبل ذلك وبعده ما ذكرنا في حديث بلال والاحسن في هذا ان يكون الامر واسعافيه .

في التوقييد

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا افتتح الصلاة قال (وجهت وجهي) الآية (قل ان صلاتي) الى قوله (وانا اول المسلمين) يعنى اول المسلمين من القرن الذي بعث فيهم وكذا قول موسى (تبت اليك وانا اول المؤمنين) ، اى

مؤمني زمانه الذين آمنوا به اذ كان قبلها انبياء ومؤمنون وروى عنه بعد ما ذكرنا انه كان يقول اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لأحسن الاخلاق لا يهدي لأحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت ابيك وسعديك والخير كله بيدك والشر ليس اليك انا بك و اليك تباركت وتعاليت استغفرك و اتوب اليك قوله الشر ليس اليك اى انه غير مقصود به اليك انما يقصد الله تعالى بالخير وان كان الكل من عند الله فييسر اهل السعادة للخير ليثبتهم عليه واهل الشقاوة للشرفيعا قههم عليه الا أن يعفو عنهم فيما عدا الشرك .

في رفع اليدين

- ١٠ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك اذا أراد أن يركع ويصنعه اذا رفع من الركوع ولا يرفع يديه في شيء من الصلاة وهو قاعد واذا قام من السجدة تين رفع يديه كذلك وكبر - قال الطحاوي لا نعلم احدا روى هذا الحديث غير عبد الرحمن بن أبي الزناد فلا يخلو أن مجيئه بهذه الزيادة غلط او عن حقيقة فان كان الاول فلاحجة في الغلط وان كان عن حقيقة فانا قد وجدنا عليا فيما كان عليه يخالف ذلك روى عن عاصم بن كليب عن ابيه ان عليا كان يرفع يديه في اول تكبيرة الصلاة ثم لا يرفع بعد ، ولا يفعل على رضى الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم خلافة الابعديام الحجة عنده على نسخ ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وعن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع في اول تكبيرة ثم لا يعود - وقيل لابراهيم حديث واثل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه اذا ركع واذا رفع من الركوع فقال ان كان واثل رآه مرة يفعل ذلك فقد رآه عبد الله خمسين مرة لا يفعل ذلك ، واحتمل هذا عن ابراهيم وان كان لم يسم من بينه وبين عبد الله لقوله للاعمش اذا قلت لك قال عبد الله لم اقل ذلك

- حتى حدثني به عنه جماعة وإذا قلت حدثني فلان عن عبد الله فهو الذي حدثني .
- وروى ابن شهاب عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك وقال، سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، وكان لا يفعل ذلك في السجود رواه عنه مالك وسفيان واليه ذهب الشافعي وروى ابن شهاب عن عبد الله (١) .
- ابن عمر فزاد فيه الرفع عند القيام من الركعتين فمن حاج من لا يرفع يديه إلا في التكبيرة الأولى بحدثني مالك وسفيان عن الزهري فهو محجوج بما في حديث عبيد الله بن عمر عنه من الرفع بعد القيام من القعود إذ يلزمه في ترك ما رواه عبيد الله ما يلزم خصمه في ترك ما رواه مالك وسفيان إذ ليس عبيد الله بدون مالك ولا سفيان مع أنه وجد الحديث من رواية نافع عن ابن عمر . ١٠
- موافقا لما رواه عبيد الله وزائدة عليه الرفع في غيرها وهو ما رواه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وركوع وسجود وقيام وقعود بين السجدين ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ولا يقال فقد رواه أيوب عن نافع عن ابن عمر فلم يذكر فيه الرفع إلا عند الافتتاح وعند الركوع وعند الرفع لأن تقصير الراوي عن بعض ما رواه العدل لا يلتفت إليه وروى عن أيوب قال رأيت طاووسا ونافعا يرفعان أيديهما بين السجدين وروى عن أيوب أنه كان يفعله ففعل نافع يدل على صحة الرواية عنه وتمسك أيوب بذلك دال على أن الأمر قد كان عنده فيه كذلك عن نافع فقصر عن ذكره فمن لا يرفع غير تكبيرة الافتتاح أعذر في ذلك إذ كان قد روى عن مجاهد أنه قال صليت خلف ابن عمر فلم يكن يرفع يديه إلا في التكبيرة الأولى . ٢٠
- فكان رد الأمر إلى ابن عمر أولى بهؤلاء المختلفين لأنه لم يكن يترك بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما قد كان يفعله إلا لما يوجب له ذلك من نسخ ولا يقال إن طاووسا روى عن ابن عمر خلافاً لأن تصحيح الروايات هو الأولى فيكون طاووس رأى ابن عمر يرفع ثم قامت الحجة عنده بما يوجب نسخ ذلك فتركه

وصار الى مارآه مجاهد عليه فالأولى بنا حمل الآثار على هذا المعنى لاسيما وقد روى الاسود قال رأيت عمر بن الخطاب يرفع يديه في اول تكبيرة ثم لا يعود ورأيت ابراهيم والشعبي يفعلان كذلك - وعن ابى بكر بن عياش انه قال ما رأيت قبيها قط يرفع يديه في غير التكبيرة الاولى واذا كان عمر وعلى وابن مسعود وموضعهم من الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعهم على ذلك ثم ابن عمر بعدهم على مثله لم يكن شئ مما روى في القبول اولى مما روه عنه ، عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يليه المهاجرون والانصار ليحفظوا عنه وكان يقول صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولوا الأحلام والنهى .

وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه كان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر للصلاة جعل يديه حذاء منكبيه واذا ركع فعل مثل ذلك واذا رفع للسجود فعل مثل ذلك واذا قام من الركعتين فعل مثل ذلك ، وعن مالك بن الحويرث انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه في صلاته اذا ركع واذا دفع راسه من الركوع واذا رفع راسه من سجوده حتى يحاذى بهما فروع اذنيه ، ففى هذا ما قد شد ما رواه عبيد الله عن الزهرى وعن نافع .

١٥ في قراءة الفاتحة

روت عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ؛ يقال لمن كان ناقصا في مدة حمله خداج ونجدج ثم وجدنا النبى صلى الله عليه وسلم قد سمي صلاة اخرى خداجا على ما روى المطالب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الصلاة مثني مثني وتشهد في كل ركعتين وتبأس وتمسكن وتقع بيدك وتقول اللهم ٢٠ اللهم فن لم يفعل ذلك فهي خداج ، وعن الفضل بن عباس مثله ، وتقع بيدك اى ترفعها الى ربك مستقبلا ببطونها وجهك وتقول يا رب يا رب ، ففى الحد يشين ذكر الخداج وهو النقص فذهب بعض الى ان من صلى بغير فاتحة

- الكتاب في كل ركعة انها لم تجزئ وجعلوا النقص ابطالا وخالفهم في ذلك ابو حنيفة واصحابه وغيرهم وذهبوا الى ان الخداج لا يذهب به الشيء الذي تسمى به لأن النقص لا يوجب الاعدام ولكنها مع نقصانها موجودة اذ ليس كل من نقصت صلاته لمعنى تركه منها يجب به فسادها كترك اتمام ركوعها ومجودها فلا يستبعد أن تنقص الصلاة بترك الفاتحة ولا تفسد وقد وجدنا
- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قد دل على ذلك وهو ما روى ابن عباس لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض موته وهو في بيت عائشة قال ادع لي عليا فقات ألا ندعوك ابا بكر؟ قال ادعوه قالت حفصة ألا ندعوك عمر؟ قال ادعوه قالت ام الفضل ألا ندعوك العباس عمك؟ قال ادعوه فلما حضر وارفع راسه ثم قال ليصل بالناس ابو بكر فتقدم ابو بكر فصلى بالناس
- ووجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه خفة فخرج بها دى بين رجلين فلما احس ابو بكر ذهب يتأخر فأشار اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكانك فاستتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القراءة من حيث انتهى ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس يأتم به ابو بكر ويأتم الناس بآبي بكر، ففيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل وقد قرأ ابو بكر
- الفاتحة وبعضها ولم يعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاتحة ولا شيئا منها فدل ان الفاتحة بتركها او ترك بعضها لا تفسد به الصلاة فلا يكون قراءتها شرطا للجواز والحاصل من الحديثين انه لا ينبغي ترك الفاتحة ولا تفسد الصلاة بتركها ثم الشارطون لا يفرقون بين الامام والمأموم ومن دخل في صلاة الامام وهو راكع فكبر لدخوله فيها ثم كبر لركوعه فركع ولم يقرأ الفاتحة
- خوفا لقوت الركعة يعتد بتلك الركعة وجازت الصلاة بدونها ولا يقال انها سقطت للضرورة لان الضرورة لا تسقط فريضة الا ترى انه لو ركع ولم يقم قبل الركوع قومة لم تجز صلاته وان اضطر الى ذلك لان القومة قبل الركوع فرض وان قلت لا يقال كيف يظن بالرسول صلى الله عليه وآله

وسلم ترك قراءة الفاتحة مع انه موجب للنقص لأن قراءة أبي بكر في تلك الركعة منعت نقصها والله اعلم .

في مقدار القراءة فيها

عن قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين من الظهر والعصر بفاتحة الكتاب وسورة يطيل في الاولى ويسمعنا الآية وكان يقرأ في الركعتين الآخرين بفاتحة الكتاب، وقال في حديث آخر وكان يطيل اول ركعة من الظهر والعتمة، فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطيل القراءة في الأولى من الظهر على القراءة في الثانية منها واختلف فيه فذهب بعضهم منهم محمد الى ما في هذا الحديث وبعضهم الى التسوية بين القراءة في الركعتين الأوليين في الصلاة كلها الا في الصبح فانها تطال على القراءة في الثانية اتفاقاً، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه اجتمع ثلاثون من الصحابة وقاسوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخافت فيه بقدر ثلاثين آية في الركعتين الأوليين من الظهر وفي أخرىها على النصف من ذلك وفي العصر في الأوليين نصف او اى الظهر وفي أخرىها قدر نصف أخرى الظهر وما اختلف منهم رجالان ففيه التسوية بين الأوليين ظهر او عصراً وهو الأولى عندنا لان الرابعة تنقسم قسمين اوليين وأخرين فكما استوى القراءة في الآخرين فكذلك ينبغي ان تستوى في الأوليين يؤيد ذلك ما كان من سعد بن أبي وقاص وقد شكاه عليه اهل الكوفة امورا من جهلها انه لا يحسن يصلي جواباً لعمر في قوله، فاما انا فأمد في الأوليين واحذف في الآخرين وما آلو ما اقتديت برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر ذلك الظن بك .

فأخبر انه كان يطيل في الأوليين ويحذف في الآخرين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعقول ان الآخرين اذا استوتوا في الحذف تكون الأوليان استوتوا في المد وفيما رويناه بأن القراءة في أخرى العصر قدر نصف أخرى الظهر

دليل على ان في الآخرين من المعصر والظهر زيادة على فاتحة الكتاب التي هي سبع آيات لا غير لان نصف الخمسة عشر سبع آيات ونصف يقرأ في كل من اخريي الظهر ونصف هذا النصف في كل من اخريي المعصر مع الاختلاف الظاهريين اهل العلم في الركعتين الآخرين من هاتين الصلاتين فبعضهم يقول ان شاء المصلي زاد فيها على الفاتحة بما معناه دعاء وان شاء سبع فيها ولم يقرأ فيها بشيء من القرآن منهم ابو حنيفة والثوري واصحابها ومنهم من يقول لا بد من قراءة الفاتحة فيها من غير زيادة عليها وهم فقهاء الحجاز، وروى عن علي رضي الله عنه انه كان يقرأ في الأوليين من الظهر والعصر بالفاتحة وسورة ولا يقرأ في الآخرين بشيء، وعن جابر انه كان يقرأ في الآخرين بالفاتحة .

وعن عائشة مثله وتقول انما هو دعاء يعني كانت تقرأها على انها ١٠ دعاء لاقراءة قرآن كما في سواها ،

وعن ابي عبدالله الصنابحي صليت المغرب خلف ابي بكر في خلافته فلما قام الى الركعة الثالثة دنوت منه حتى ان ثيابي لتكاد تمس ثيابه فسمعتة قرأ بأم القرآن (ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) الآية .

وروى عن مكحول والله ما كانت قراءة لكنها كانت دعاء، فدل على ١٠ صحة ما قيل ان القراءة في الآخرين انما هي دعاء وتسبيح لا كالقراءة في الأوليين ومثل هذا القول لا يقال استنباطا بالرأى بل توفيقا محضا فلا يصح خلافه، وروى عن ابراهيم النخعي انه قال التسبيح احب الى في الركعتين الآخرين وكذلك كان الثوري واما ابو حنيفة واصحابه فيذهبون الى ان القراءة فيها احب اليهم من التسبيح فيها .

٢٠

في تطويل الاركان

روى المسعود عن الحكم قلت لابن ابي ليلى ما رأيت اطول قيا ما من ابي عبيدة في الصلاة فقال سمعت البراء بن عازب يقول كان ركوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه رأسه من الركوع ومجوده ورفعه رأسه من

السجود سواء احتج جعفر الهاشمي به على أن القيام في الركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والجلوس والرفع منه والجلوس بين السجدين بمنزلة سواء في التطويل، ولا حجة له فيه إذ قد يحتمل أن ركوعه ورفعه رأسه منه وسجوده ورفعه رأسه منه سواء على أن ما بعد الركوع من الرفع منه إلى آخر السجدين يفي بالقيام والركوع ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من أم الناس فليخفف بهم الصلاة فإن فيهم الكبير والضعيف وذو الحاجة .

وقد روى الحديث عن الحكم من هو أثبت من المسعودي وهو شعبة ابن الحجاج فقال كان أبو عبيدة يطيل الركوع وإذا رفع أطال القيام فدرسا يقول اللهم ربنا لك الحمد ملاء السموات وملاء الأرض وملاء ما شئت من شيء بعد، فذكرت ذلك لابن أبي ليلى فحدثني عن البراء أن ركوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه إذا رفع رأسه من الركوع وسجوده وما بين السجدين كان قريبا من السواء فعرفنا بذلك أن إطالة أبي عبيدة القيام إنما كان مقدارا ما يقول فيه الكلام الذي ذكره وكان ما سواه من الركوع والسجود والجلوس بين السجدين هذا المقدار سوى جلوس التشهد فإنه مقدار التشهد الذي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وكانت الأئمة من الصحابة على التخفيف اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو رجاء العطاردي للزبير مالى أراكم يا أصحاب عهد من أخف الناس صلاة؟ قال نبادر الوسواس يعني وسوسة الشيطان حتى لا يدرهم فيها .

في معرفة المقبول من الصلاة

روى عن عمار بن ياسر أنه صلى صلاة فخفف فيها ف قيل له لقد صليت وخففت فيها قال هل انتقصت شيئا من حدودها؟ قيل لا، قال عمار بادرت وسواس الشيطان أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن العبد ليتصرف من صلاته وما كتب له منها الا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها أو سدسها أو خمسها أو ربعها أو ثلثها أو نصفها، المعنى فيه أن المصلئ إذا حافظ على أركان صلاته وسننها وآدابها

وآدابها وخشوعه فيها واقباله عليها بترك التشاغل عنها بسواها يؤتيه الله تعالى على ذلك خيرا كثيرا ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ٩ وإذا قصر تقصيرا يوجب نقصانها لا إبطالها يوجب تنقيص أجره وانحطاط قدره عما كان لوكملها يؤيد ما ذكرناه ، لاصلاة لا بحضور القلب .

في السجود

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سجد احدكم فلا يركع كما يركع البعير ولكن يضع يديه ثم ركبته .

لا يقال ان مانه في اوله قد أمر به في آخره اذ يركع البعير أيضا بيديه اولاً ثم برجليه لان المنهى هو الخرورج على الركبتين اولاً وركبتا ابن آدم في رجليه لا غير بخلاف كل ذى اربع فان في يديه ركبتين أيضا والمأمور به أن يخر ١٠ على يديه اولاً ثم ركبته لثلاثا يشابه البعير في وضع الركبتين اولاً اذ البرك هو الخرورج على الركبتين فبان بحمد الله ان لا احالة كما ظنه بعض ثم فيما روى عن حكيم ابن حزام من قوله بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا أخرج إلا قائماً اختلاف .

فمنهم من قال معناه ان يكون سجوده لا خرورجاً من قيام خوفاً من ١٥ الله تعالى فانه لا ينظر الى صلاة من لا يقيم صلبه من الركوع .
ومنهم من قال انه اخباراً بأنه بايع على ان لا يموت الا وهو قائم على ايمانه واسلامه بالعزم والثبات عليه من قواه (الا ما دمت عليه قائماً) .
ومنهم من قال انه بايعه صلى الله عليه وسلم على الموت ولا يبايع على الموت غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يتوهم منه زوال الحالة التي ٢٠ لأجلها عقدت البيعة معه عليها بخلاف غيره .

في اقامة الصلب من الركوع

روى ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا صلاة لمن لم يقيم صلبه في الركوع والسجود، يريد به نفي الكمال لا نفي الجواز مع ان فيه تضييع حفظ نفسه بتقصيره عن اتيانه بها على اعلى مراتبها وحرمان نفسه عن ثوابها كقولنا صلى الله عليه وسلم، لا ايمان لمن لا امانة له، ولا دين لمن لا عهد له، وهو من باب التعليل ومثله، لا وضوء لمن لم يسم .

وما روى لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه اذا رفع رأسه من الركوع والسجود يحتمل انه لا تجزىه الأجزاء الذي هو اعلى مراتب الاجزاء وهو اولى ما حمل عليه توفيقا بين معاني الروايات وهو مذهب الامام ابي حنيفة ومحمد فانهما قالوا لاساء وتجزيه صلاته وقال ابو يوسف لا تجزيه وعليه اعادتها والقياس قولها لان السجود الذي هو اعلى اركانها فيه ذكر ولا قراءة فيه ومن رفع رأسه من السجود يرجع الى جلوس ليس من صلب صلاته حتى ان من سها عنه لا تبطل صلاته اتفاقا بخلاف الجلوس بعد السجدين فانه مختلف في وجوبه فلما كان الجلوس الاول بين السجدين من السنن لا من صلبها كان مثل ذلك القيام الذي يخرج من الركوع اليه من السنن لا من صلبها اذ الركوع ايضا ركن فيه ذكر وليس فيه قراءة .

فيما يقال في السجود

١٠

روى عن حذيفة انه قال انبئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل تطوعا فقال الله اكبر ذوالملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم قرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه فكان الذي يقول في ركوعه، سبحان ربّي العظيم، ثم رفع رأسه فقام قدر ما ركع فكان الذي يقول لربّي الحمد، اربّي الحمد، ثم سجد فكان نحواً من قيامه يقول، سبحان ربّي الأعلى، وبين السجدين نحواً من سجوده، رب اغفر لي، رب اغفر لي، فصلى اربع ركعات قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام، ففيه انه كان يقول بين السجدين رب اغفر لي مكرراً في كل ركعة ولا يعلم من احد من الصحابة

فعل ذلك غير على رضى الله عنه فانه كان يفعله وكذا لا يعلم من التابعين ومن بعدهم من يذهب الى ذلك غير بعض من يتحلل الحديث ولا شك في حسنه بل فيه احياء سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده القياس فان الصلاة مشتملة على افعال كل فعل لا يخلو عن قراءة فيه او ذكر كالتكبير في الدخول فيها ثم القيام وفيه الاستفتاح والقراءة ثم الركوع وفيه التسبيح ثم الرفع منه . وفيه التسميع والتحميد ثم السجود وفيه التسبيح ثم الرفع منه وقدر وينا فيه سؤال المغفرة مرتين ثم الجلوس وفيه التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء فكان القياس ان يكون حكم القعدة بين السجدين حكم غيرهما من افعال الصلاة ويكون فيها ذكر .

١٠ فيما يقال في الركوع

عن ثابت كان انس ينعت لنا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان اذا رفع رأسه من الركوع قام حتى تقول قد نسي وكان يقعد بين السجدين حتى تقول قد اوهم ، قال الطحاوى والله اعلم انه كان يقول اذا رفع من الركوع ، اللهم ربنا لك الحمد ملأ السموات وملأ الارض وملأ ما شئت من شيء بعد ، على ما روى عن علي وابن ابي اوفى وغيرهما .
لا يقال ان قوله حتى تقول قد اوهم يوهم ان العادة جرت على خلافه لانه يحتمل انه كان يفعله مرة ويتركه مرة ويحتمل انه كان يمد صوته كما كان يستعمله بعد سلامه من وتره ، سبحان الملك القدوس ، يطول صوته بالثلاثة من ذلك فيختلف ما يمكنه ذلك فيها من الزمان حتى يظن اصحابه في ذلك ما كانوا يظنون .

٢٠

وقد روى عن ابي سعيد الخدرى ما روى عن علي وابن ابي اوفى وابن عباس آثقا وزاد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم ، فيكون يقول هذا مرة يتركه مرات فلذلك

حصل الظن وروى عن ابي جحيفة قال ذكرت الحدود عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل جسد فلان في الابل وقيل في الخيل فسكت فلما قام يصلي ورفع رأسه من الركوع قال اللهم ربنا ولك الحمد ملأ السموات وملأ الارض وملأ ما شئت لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجحدم منك الجدم. وروى عنه انه كان يقول بين السجدة تين رب اغفر لي رب اغفر لي فقد يكون يطيل ذلك في بعضها حتى يتجاوز ما جرت عليه عادته حتى يظن انه قد أوهم والله اعلم.

في الركوع دون الصف

عن ابي بكرة قال جئت ورسول الله صلى الله عليه وسلم راكع وقد حفز في النفس فركعت دون الصف ثم مشيت الى الصف فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ايكم الذي ركع دون الصف؟ قال ابو بكرة انا، قال زادك الله حرصا ولا تئم، فالنهي محمول على السعي الى الصلاة وقد حفزه النفس وقيل مصروف الى الركوع دون الصف حتى يأخذ مقامه منه يؤيده ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اتي احدكم الصلاة فلا يركع دون الصف حتى يأخذ مكانه من الصف، والمعنيان مما يجوز ارادتهما بالنهي.

لا يقال قد صح عن زيد بن ثابت انه دخل المسجد والناس ركوع فكبر وركع ثم دب وهو راكع حتى وصل الصف، وروى عنه انه كان يركع على عتبة المسجد ووجهه الى القبلة ثم يمشي معترضا على شقه الايمن ثم يعتد بها ان وصل الى الصف او لم يصل ولا يظن بمثله الاقدام على النهي، لانا نقول، المكروه فعل ذلك لاواحد لا للجعة لأن الواحد بذلك كالمصلي وحده في صف وهو فاسد عند بعض وجائز مكروه على الصحيح ويؤيد ما روى عن ابن مسعود ركوعه دون الصف مع غيره. قال طارقي كنا مع

ابن مسعود جلوسا فبلغه خبر الإقامة فقام وقفا فدخلنا المسجد والناس في الركوع فكبر وركع ومشى وفعلنا مثل ما فعل فيحتمل ان زيدا فعل ما فعل وقد كان معه غيره فكان بذلك جماعة ويجب الحمل على هذا رنعا للاختلاف بين فعل زيد وبين ما روى من النهي بقوله لا تعد ولا يعارض قوله ايكم الذي ركع دون الصف ما روى عن انس قال اقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اقيمت الصلاة قبل ان يكبر فقال اقيموا صفوفكم وتراصوا في لأراكم من وراء ظهري ولا ما روى عنه انه جاء رجل بعد قيام الرسول صلى الله عليه وسلم فأسرع المشى فانتهى الى الصف وقد حفزه النفس فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فراغه منها من المتكلم او من ائقائل الكلمات؟ فسكت القوم فقال مثلها قال من هو؟ فانه لم يقل ١٠. باسا او قال إلاخيرا فقال الرجل جئت يا رسول الله فأسرعت المشى فانهيت الى الصف وقد حفزني النفس فقلت الذي قلت قال لقد رأيت اثنى عشر مديكا يتدرونها أيهم يرفعها ثم قال اذا جاء احدكم الصلاة فليمش على هيئته فليصل ما ادركه وليقض ما سبقه وان كان فيه استعمال من الغير ما كان خلفه لأن الرؤية قد تكون بالعلم كما تكون بالعين قال تعالى (فقد رأيتموه وانتم تنظرون) ١٥. اى علمتموه لان الموت لا يعاين بالعين وقوله تعالى حكاية عن شعيب (انى اراكم بخير) اى اعلمكم لانه كان اعلمى فمثله قوله صلى الله عليه وسلم ، انى لأراكم من وراء ظهري اعلم ما انتم عليه في صلاتكم من خشوعكم فيها بما يليق به الله تعالى في قلبه من ذلك ويعلمه به فلا معارضة في شئ من ذلك والحمد لله .

قلت وفيه نظر لان التعارض لا يندفع حيث لا لزوم بين قوله ، ايكم الذى ركع ، وبين قوله ، انى لأعلم من وراء ظهري ، اذا استعمال المعلوم محال كاستعمال المرتضى ايضا ولا يندفع بما يقال قد لا يعلم اذا لم يعلمه الله تعالى ويكون عاما مخصوصا اى اعلم من وراء ظهري الا في حال عدم اعلام الله تعالى بالحكمة ارادها لان الكلام سيق لتنبه المخاطبين على لزوم الادب فلولم يكن

انى لأراكم على عمومه لا يفيد فائدته وايضالا وجه الى العدول الى المجاز فان
تخصيص التعميم يرد فيه ايضا وتم جوابا لان الاراءه ايضا تتعلق بإرادة
الله تعالى فقد لا يريد الحكمة اقتضته والحق ان الاستفهام في قوله، ايكم الذى
ركع، وفي قوله، من القائل، ليس على حقيقته بل هو انكار للفعل المستفهم عنه
بدليل قوله لا تعد وقوله، فليحش على هيئته، وبدليل سكوت القائل عن الجواب
خوفا من محذور غضبه ولهذا اقال صلى الله عليه وسلم فانه لم يقل باسا توطينا
لقلوبهم وتثبيتا لحاشيتهم لعلمه بانهم خافوه ولهذا ابشروه بقبول مقوله ايضا
فلا تعارض حينا لان رؤيته او علمه بحالهم متحققة دائما وما استفهم ليعلم بل جرى
على جميل عادته المستمرة في عدم خطاب الخاطي بما يكره مواجهة وان كان
يعلمه حقيقة وكان يخاطبهم على العموم لئلا ينجعل صاحبه لا لانه كان غير عالم
بحاله والله اعلم .

في جلسة الاستراحة

روى عن ابي قلابة عن مالك بن الحويرث انه كان يقول لاصحابه
ألا اراكم كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذلك لفي غير
صلاة فقام فأمكن القيام ثم ركع فأمكنه ثم رفع راسه وانصب قائما هنيئة
ثم سجد ثم رفع راسه فتمكن في الجلوس ثم انتظر هنيئة ثم سجد - قال ابو قلابة
ورأيت شيخنا عمرو بن سلمة يصنع شيئا لا اراكم تصنعونه كان اذا رفع راسه
من السجدة الثانية من الركعة الأولى والثالثة التي لا يقعد فيها استوى قاعدا
ثم قام ، وفيما روى عنه ايضا قال اخبرني مالك بن الحويرث انه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم اذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوى قاعدا .

هذه مسألة اختلف فيها فطائفة تأمر المصلى بهذه الجلسة منهم الشافعي
ومن سواهم من الكوفيين وفقهاء الحجاز لا يعرفون هذه الجلسة ولا يأمرهم
بها وروى عن عباس بن سهل وكان في مجلس فيه ابوه وهو صحابي وابوه هيريرة

وابو حميد وابو أسيد الساعدي والانصار ثذ اكر وافية الصلاة فقال ابو حميد أنا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعت ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا فأرنا فقام فصل وهم ينظرون فكبر ورفع يده اول التكبيرة ثم ذكر حد يثا طويلا ذكر فيه انه لما رفع رأسه من السجدة الثانية من الركعة الأولى قام ولم يتورك .

- نكان في هذا الحديث ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم القعود بعد رفع رأسه من السجدة الآخرة من الركعة الأولى وقد روى هذا الحديث جماعة كثيرة وروى رفاعه بن رافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك قال بينا رجل كابدوى دخل في المسجد فصل فأخف الصلاة ثم انصرف فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال وعليك فارجع فصل فانك لم تصل ١٠ ففعل ذلك مرتين او ثلاثا فقال له الرجل فأردني وعلمني فانما انا بشر أصيب واخطيء قال اجل اذا همت الى الصلاة فتوضأ كما امرك الله ثم تشهد ثم كبر فان كان معك قرآن فاقرا وإلا فاحمد الله تعالى وكبره وهله ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع فاعتدل قائما ثم اسجد فاعتدل ساجدا ثم اجلس فاطمئن جالسا ثم اسجد فاعتدل ساجدا ثم قم فاذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك فكان في هذا الحديث ١٥ ايضا امره صلى الله عليه وسلم الرجل بعد فراغه من هذه السجدة بالقيام بلا قعود امره قبله به .

- وحديث مالك يحتمل ان يكون ما ذكر فيه مما رأى النبي صلى الله عليه وسلم كان فعله لعله كانت به صلى الله عليه وسلم حينئذ لأن ذلك من سنة صلاته يدل عليه قلة مقام مالك عنده فانه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ٢٠ اناس ونحن شبيبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رجيا رفيقا فلما ظن ان قد اشبهنا أهلنا واشتقنا سألنا عن تركنا بعدنا فأخبرنا فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى اهليكم فأقيموا عندهم وعلوهم ومروهم وانظروا ايضا يوجب عدم الجلوس لأن من شأن الصلاة التكبير والتحميد عند كل خفض

ورفع وانتقال من حال الى حال فلو كان بينهما جلوس لاحتاج ان يكبر عند قيامه من ذلك كما يكبر عند قيامه من القعدة الأولى واذا انتفى التكبير انتفى الجلوس هذا مع ما قد شهد له من الآثار التي لروايتها من العدد ما ليس لن روى ما يخالف ذلك .

فيمن ركع أو سجد قبل امامه

روى محمد بن ابي سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبادروني الى الركوع والسجود فاني قد بدنت واني مهما سبقكم به اذا ركعت تدركوني به اذا ركعت فيه ان المأموم اذا سبقه الامام بشئ من الركوع انه يقضيه في حال قيامه خلف الامام .

ومثل ذلك ما روى عن ابي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم فلكم بتلك وعن عمر رضي الله عنه اذا رفع احدكم رأسه والامام ساجد فليسجد فاذا رفع الامام رأسه فليمكث قدر ما رفع - وعن ابن مسعود لا تبادروا اثمتكم بالركوع والسجود واذا رفع احدكم رأسه قبل الامام فليضع رأسه ثم يمكث بقدر ما رفع قبله، ويلزم المأموم اذا ترك من القيام شيئاً ان يؤمر بقضائه على هذا مع انه لا يؤمر فيما اذا ركع قبل الامام فأدركه الامام بالركوع ان يرفع رأسه ليقضى ما فاتته من القيام مع الامام وكذا اذا لم يدركه الامام فرجع الى القيام لا يؤمر ان يثبت بعد ركوع الامام بمقدار ما فاتته من القيام وكذا ان رفع رأسه قبل الامام فرجع ثم رفع الامام رأسه ومكث في الركوع لا يؤمر بقضاء ما فاتته من القيام الذي بعد الركوع ولكن افرق واضح بين القيام والركوع وان كان كل منهما أدركنا الأثر من ادرك امامه في الركوع يكبر ويركع معه وليس عليه قضاء ما سبقه الامام من القيام ولو فاتته الركوع مع الامام لا يعتد بما بقي من تلك الركعة من السجود والقعود وعليه قضاء الركعة بكاملها فاذا كان

فوات القيام بتمامه لا يضربا في الركعة ويكتفى بالركوع الذي بعده عنه كذلك فوت بعض القيام مع الامام ما سبقه الامام بالركوع او بتشاغله بقضاء ما سبقه به الامام من ركوعه لا يجب عليه قضاؤه ويجزئه ركوعه مع الامام الذي ركعه معه او بعده وكان ذلك بخلاف الركوع الذي لا يكون مدركا للركعة الابدراكه اياه مع الامام .

قال القاضى هذا الفرق غير صحيح اذ ليس من فاته القيام بكامله يجزئه منه الركوع لانه لا يكون مدركا لتلك الركعة حتى يدرك ان يقوم فيها ولو قدر ما يوقع فيه تكبير الاحرام ثم يدرك يتمكن من الركوع مع الامام بل الفرق هو أن الركوع شرع فيه التطويل وكذا السجود فأمر أن يقضى ما فاته منه مع الامام والقيام بعد الركوع لم يشرع فيه التطويل فلم يؤمر بقضاء ما فاته . وكذلك لا يؤمر بقضاء ما فاته من الجلوس بين السجدين .

قلت لا اثر لشرعية التطويل في إيجاب القضاء انما القضاء يبنى على الوجوب والقيام بعد الركوع واجب فيجب قضاؤه والجلوس بين السجدين ليست بواجبة فلا يجب قضاؤها ويلزمه ايضا القيام قبل الركوع فانه ركن شرع فيه تطويل ولا يلزمه قضاؤه فلا اثر للتطويل فيه وانما هو تطويل من ١٥ القاضى رحمه الله وافرق ما ذكره الطحاوى آنفا .

في ادراك ركعة منها

روى ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادرك ركعة من الصلاة فقد ادرك الصلاة وفضلها الظاهر أن فضلها زائد لتدرك اكثر الرواة اياه ولان معنى ادراكها ادراك فضلها اذ لو كان ادراكا لنفس الصلاة لم يجب عليه قضاء بقيتها وقد جعل كثير من العلماء المدرك لهذا القدر مدركا لها في وجوب قضاء ما فاته منها على مثل صلاة الامام فيقضى في الجملة اذا ادرك ركعة منها ركعة أخرى ومن ادركه من وقتها كالمغنى عليه يفتى

والخائض تطهر والكافر يسلم يكون به مدر كالوجوب عليه بخلاف مادون هذا المقدار وهم اهل الحجاز .

وخالفهم العراقيون واوجبوا بادراك تكبيرة الإحرام فافوتها من وقت الصلاة واستدلوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم العبد المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم عمد إلى المسجد لم يرفع رجله اليمنى إلا كتب له بها حسنة ولم يضع رجله اليسرى إلا حط عنه بها خطيئة حتى يبلغ المسجد فليقرب أولي يمد فان أدرك الصلاة في الجماعة مع القوم غفر له ما تقدم من ذنبه وان أدرك منها بعضا وسبق ببعض فقتضى ما فاتة فأحسن ركوعه وسجوده كان كذلك وان جاء والقوم قعود كان كذلك .

ومن قاله ابو حنيفة وابو يوسف غير أن عمدا خالفهما في الجمعة ووافق الحجازيين فيها والمذكور هو وجه النصفة .

ولا يقال يحتمل ان يكون الحديث الذي احتج به العراقيون منسوخا لانه اذا لم يعلم التاريخ فالأولى ان يجعل ناسخا للحديث الآخر لان فيه زيادة فضل وإذا تفضل الله تعالى على عباده بثواب على عمل لم ينقصهم منه إلا بذنب محيط كما قال (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات) ولأننا اذا جعلنا هذا الحديث متأخرا يتأخر العمل بالحديثين وإذا جعلناه سابقا يلزم إهماله والعمل بالدليلين وأبو وجه أولى من الإهمال ثم لو خيلنا والقياس لكان الواجب في الخائض وشبهها عدم الوجوب عليهم إلا بادراك وقت مقدار صلاة كاملة كما يجب عليهم من الصيام إلا ما أدركوا وقته بكامله وهو قول زفر غير أن ما دل على خلافه من الحديث أولى عندنا .

في التشهد

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نقول في الصلاة قبل ان يفرض التشهد : السلام على الله السلام على خير نيل وميكائيل ، قال رسول الله صلى الله عليه

- عليه وسلم لا تقولوا هكذا فان الله هو السلام ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات ، الى آخره لم يقل احد من رواته فلما فرض التشهد غير ابن عيينة والفرض يحتمل ان يكون المصطلح وهو الذى يكون جاحده كافرا قال الله تعالى بعد ذكره الركاة (فريضة من الله) الآية وقد يكون بمعنى التقدير كقوله تعالى (سورة انزلناها وفرضاها) اى حددنا فيها الحلال والحرام .
- وقد يكون فرض الاختيار كقول ابن عمر فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر ، كالوجوب على الاختيار فى قوله ، غسل الجمعة واجب على كل محتلم ، وقد يكون الفرض بمعنى الاعطاء قال الله تعالى (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) اى ان الذى اعطاك القرآن لرادك الى مكة وعلى هذا يكون التشهد عطية من الله تعالى لهذه الأمة فيه شهادتهم له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة ليثيبهم عليه بما شاء ان يثيبهم اياه عليه ولأن التشهد فى الصلاة ذكر فيها كالا ستفتاح وتسبيحات الركوع والسجود وهذه الأذكار وان تفاضلت فى انفسها ليست بمفرضة فكان التشهد مثلها .

- ودروى عن ابن مسعود قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد وكفى بين كفيه كما علمنى السورة من القرآن ، التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وهوين ظهر انينا فلما قبض قلنا السلام على النبي .

- من قوله بين ظهر انينا الى على النبي منكر لا يصح . لانه يوجب ان يكون التشهد بعد موته عليه السلام على خلاف ما كان فى حياته وذلك مخالف لما عليه العامة ولما فى الآثار المروية الصحيحة وقد كان ابو بكر وعمر يعلمان الناس التشهد فى خلافتهم على ما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم من قولهم السلام عليك ايها النبي . وانما جاء الغلط من مجاهد وابنه له وقد قال ابو عبيد ان ما اجل الله به رسوله ان يسلم عليه بعد وفاته كما كان يسلم عليه فى حياته وهذا من جملة

خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد استنبط جوازه مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخرج الى المقبرة ويقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، فانه اذا اجاز ذلك في اهل المقبرة كان في النبي صلى الله عليه وسلم اجوز وهذا حسن قال انقاضي لكن قول ابي عبيد احسن لانه عليه السلام سلم على اهل القبور بحضرتهم وقد جاء ان الارواح قد تكون بأفنية القبور .

في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابي مسعود الانصاري اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس فقال له بشير بن سعد امرنا الله تعالى ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسئله ثم قال ١٠
تواوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم .

وروى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه) الآية جاء رجل فقال يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة ؟ ١٥
قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، ثم روى عن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال تواوا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد .

ولم يوجد في غير هذا الحديث « وعلى ازواجه وذريته » الا ما روى عن طاوس عن ابي بكر رضي الله عنه بزيادة « وعلى اهل بيته » ايضا و متمسك اهل المدينة حديث ابي مسعود و اهل الكوفة حديث كعب بن عجرة ولم يتعلقوا بما سواهما وسائر اهل العلم على هذين الاثرين باستعمالهم في صلاتهم وفيما سواها على الاختيار بحيث ٢٠

لا تقصد الصلاة بترك ذلك غير الشافعي فإنه ذهب إلى أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الفرائض بحيث لا تجزى صلاة إلا بها وإن وضعها بعد التشهد الذي يتلوها السلام وذهب في كفيته إلى حديث أبي مسعود الأنصاري لكن كان يلزمه على أصله الأخذ بحديث أبي حميد للزيادة التي فيه على أزواجه وذريته وأهل بيته في الصلاة عليه كما ذهب إلى حديث ابن عباس في التشهد للزيادة والباركات فيه على ما في غيره من الآثار المروية في التشهد ثم في بعض الآثار على إبراهيم وفي بعضها على آل إبراهيم لا يوجب الاختلاف لأن ذكر آل آل يدخل فيه من هم آله ومنه (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) لأن آله لما استحقوا العذاب باتباعه كان هو أشد استحقاقا لذلك بدعائه إياهم إليه وبإمامته إياهم فيه .

١٠

وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا نقول خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصلاة إذا جلسنا: السلام على الله وعلى عباده السلام على جبرئيل وميكائيل السلام على فلان وفلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله هو السلام فلا تقولوا هكذا ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك، إلى، عباد الله الصالحين، فإنه إذا قالها قالت كل عبد صالح في السماء والأرض - أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم ليخترأ طيب الكلام أو ما أحب .

وروى عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمدا لله ولم يصل على النبي فقال صلى الله عليه وسلم عجبل هذا ثم دعاه فقال له أو أغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه .
ثم يصلي على النبي ثم يدعو بما شاء .

٢٠

ففي حديثي ابن مسعود وفضالة ما ينهني قول من قال إنه لا بد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأعادة الصلاة بعد وقوفه على ترك الصلاة عليه بل فوض الأمر إلى مشيئة المصل

ولو كانت صلاته غير مجزية بدون الصلاة عليه لأمر بالعادة كما أمر المصل
الصلاة الناقصة في حديث رفاعة بن رافع إذ قال له : ارجع فصل فلنك لم تصل
مرتين أو ثلاثا الحديث .

ولاحظة لمن أوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد
الآخر بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) لأن ذلك يدل
على وجوب الصلاة قولا مطلقا في الصلاة وغيرها مثل قوله (واذكروا الله
ذكرًا كثيرا وسبحوه) الآية فلو ترك رجل في صلاته التسبيح لم يفسد صلاته
بذلك وإن كان فيه ترك فضيلة فكذا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في
الصلاة بتركها يكون المصلي تاركا لحظ في الفضيلة وكذا لا دليل فيه لمن أوجبها
في التشهد الذي يتلوه السلام بقوله تعالى (وسلموا تسليما) لأنه يحتمل أن يكون
المراد به التسليم له صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيهِ في الصلاة وغيرها كما في
قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك) إلى قوله (ويسلموا تسليما)
إذ لا خلاف من المخالف في تأويل هذه الآية والله أعلم .

في النهي عن الإقعاء

روى انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
التورك والإقعاء في الصلاة .

اختلف في الإقعاء المنهى عنه فذهب أبو حنيفة وجماعة إلى أنه جلوس
الرجل على عقبه في صلاته لأعلى البيت محتجين بما روى عن علي رضي الله عنه
أنه أحب لك ما أحب لنفسه وأكره لك ما أكره لها لا تقع على عقبك في الصلاة
وبما روى عن أبي هريرة قال نها في رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ألقى في
صلاقي إقعاء الذئب على العقبين ، يعني عقبى نفسه لأن الذئب ليس له عقبان .
وقال أهل الحديث هو أن يضع الرجل يديه في صلاته على الأرض
ناصبا فخذه لما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينما راع رعى

بالحرارة انتهز الذئب شاة لخال الراعى بين الذئب والشاة فألقى الذئب على ذنبه فقال للراعى ألا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله تعالى الى؟ فقال الراعى لعجب من ذئب يقمى على ذنبه يكلمنى كلام الانس فقال الذئب للراعى ألا احذرك بأعجب منى؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فساق الراعى غنمه حتى أتى المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فقال للراعى اخبر الناس بما رأيت فقام الراعى فحدث الناس بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى الا ان من اشراط الساعة كلام السباع الانس والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس وتكلم الرجل ١٠ شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذ بهما احدث بعده اهله .

ولما روى عبد الرحمن بن شبل قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب واقتراس السبع وان يوطن الرجل المسكان في المسجد كما يوطن البعير ، وكل واحد من التفسيرين يجوز أن يكون محمل النهى فلا ينبغى للمصلى ان يفعل واحدا منهما ولا تضاد بين الحديثين ولا تدافع . ١٥

فان قيل روى عن العبادلة انهم كانوا يقومون في صلاتهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم يراهم ولا ينهونهم عن ذلك ، فالجواب ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حجة الله على خلقه ويحتمل ان يكون هؤلاء العبادلة لم يبلغهم هذا النهى ولو بلغهم لما خالفوه ولا خرجوا عنه . ٢٠

في العقص

روى عن علي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احب لك ما احب لنفسى وأكره لك ما اكره لنفسى لا تصل وانت عاقص شعرك فانه كقتل الشيطان - هذا مما لا ينبغى ان يفعله المصلى في صلاته بل يرسل

شعره حتى يسجد بسجوده وكذلك يفعل في ثيابه .

وأما ما روى عن سعيد المقبري انه رأى ابا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحمل ضفيرة الحسن بن علي المغرورة في ثقاه وهو يصلي وقال له لا تقضب لما التفت اليه الحسن منفضبا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك كقول الشيطان اى مقعده ، فهو مدفوع لأن ابا رافع مات في زمن علي وكان علي وصيا له وعلى ولده و وفاة المقبري في سنة خمس وعشرين ومائة وبينه وبين وفاة علي خمس وثمانون سنة وموت ابي رافع قبل ذلك بما شاء الله فهذا يدفع ان يكون رآه والله اعلم .

في مس الحصى

روى ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يحرك الحصى فان الرحمة تواجهه . ١٠

وروى عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألت عن مس الحصى فقال واحدة اودع .

فيه جواز المرة الواحدة عند الحاجة وقد ورد ان كنت لابدا فاعلا فمرة واحدة وجاء في حديث آخر لأن يمسك احدكم يده عن الحصى خير له من ان يكون له مائة ناقة كلها سود الحدق فان غلب احدكم الشيطان فمرة واحدة وينبغي للصلى ان يسوي الحصى قبل دخوله فيها حتى يستغنى بذلك فلا يحتاج اليه في صلاته ولا يشتغل قلبه به وان فاتته حتى دخل في صلاته واحتاج الى ذلك يمسح مرة حتى ينقطع شغل قلبه فانه ايسر من تماديه على مغالبة شيطانه . ١٥

في التنحنج والتسبيح

عن علي بن ابي طالب قال كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخلان فكنت اذا دخلت عليه وهو يصلي تنحنج . ٢٠

قد روى هذا الحديث علي خلاف هذا قال علي رضي الله عنه كانت لي

ساعة من السحرا دخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان في صلاة سبىح وهذا اولى لأن الآثار التي روتها العامة فيما ينوب الرجال في الصلاة مما يستعملونه فيه هو التسبيح ومالك سوى بين الرجال والنساء فيه ومن سبىح في صلاته جوابا تقصد صلاته عند أبي حنيفة ومحمد خلا فالأبى يوسف - والحق ان التصفيق للنساء فيما ينوبهن اتباعا للأثر وأن لا فرق بين التسبيح ابتداء وجوابا في انه لا يقطع الصلاة كما لا فرق في الكلام انه قاطع ابتداء او جوابا .

في وجوب الجواب على المصلى

روى ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابى بن كعب وهو يصلى فالتفت ولم يجبه وخفف صلاته ثم انصرف فقال السلام عليك يا رسول الله فقال مامنعك ان تجيبني اذ دعوتك؟ قال يا رسول الله كنت في الصلاة قال أفلم تجدني اوحى الله الى ان (استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم) قال بلى يا رسول الله ولا اعود إن شاء الله ولا يستنكر أن تجب اجابة الأم اذا دعتة وهو يصلى لانه يستطيع ترك صلاته واجابة امه لما عليه ان يجيبها والعود الى صلاته لان الصلاة لها قضاء وبر الام اذا فات لا يقدر قضاؤه اعتبار ابو جوب اجابة النبي صلى الله عليه وسلم واحراز الفضيلة بالخروج من الصلاة والعود اليها ودل على ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جريج الراهب حين نادته امه وهو يصلى فقال اللهم امي وصلاقي وكان ذلك منهما ثلاث مرات فدعت عليه بان لا يموت حتى ينظر في وجه المياميس وكانت تأوى الى صومعته رابعة رعى الغنم فولدت فقيل لها من هذا؟ فقالت من جريج - الحديث فعوقب ٢٠ بترك اجابة امه لما دعتة وتمادى في صلاته ولا يعاقب الا بترك الواجب .

في المرور بين يدي المصلى

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المار بين يدي المصلى

ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه - المراد به اربعين سنة والله اعلم لانه قد روى عنه من رواية ابي هريرة انه قال لو يعلم الذي يمر معترضا بين يدي اخيه وهويناجي ربه لكان ان يقف مكانه مائة عام خيرا له من الخطوة التي خطا - وهذا متأخر لان فيه زيادة في الوعيد وهو لطف بالعاصي ليمتنع عن اقتراب سببه والذي يروى عن المطلب بن ابي وداعة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مما يلي باب بني سهم والناس يمرون بين يديه ليس بينه وبين القبلة شيء .

ويروى عنه ليس بينه وبين الطواف سترة لا يعارض ما روى من النهي عن المرور ونهى المصل عن الامتناع من الدفع لان حديث المطلب انما هو في الصلاة الى الكعبة مع المعاينة والنهي عن المرور فيمن يتحرى الصلاة الى الكعبة اذا غاب عنها ويحتمل في المعاينة ما لا يحتمل في المعاينة فان الناس اذا تحاقوا الكعبة وصلوا جماعة لا بد ان تستقبل وجوه بعضهم بعضا ولا كراهة فيه بخلاف من غاب وصلى مستقبلا وجوه الرجال فانه يكره فكما التمس لهم الصلاة مع استقبال الوجوه اتسع لهم بين يديه المرور تخصيصا للكعبة بهذا الحكم لان الغاب استيلاء شرفها على القلوب بحيث يذهل عن الالتفات الى غيرها فليس الخبر كالعيان .

في وقت العشاء

عن النعمان بن بشير قال انا اعلم بوقت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم للعشاء الآخرة كان يصليها اسقوط القمر ليلة الثالث فيه انه كان يؤخر العشاء عن اول وقتها التماسا لوقت الفضل من وقتها كما كان يصلي غيرها في افضل اوقاتها وكان يصلي الظهر في ايام الشتاء معجلالها وفي الصيف مؤخرها والمغرب دائما معجلا واما صلاة الصبح والعصر فكان يختلف في الساعتين اللتين كان يصليهما فيها مثل ذلك الساعة التي كان يصلي فيها العشاء الآخرة لانه

ساعة الفضل من وقتها وسقوط القمر ثلاث يكون بمضى ساعتين ونصف سبع ساعة من الليل .

في تسميتها العتمة

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم انما هي العشاء ولكنهم يعمتون عن ابلهم • فيه ان اسم هذه الصلاة العشاء وان الذين يسمونها العتمة هم الأعراب وما روى معاذ قال النبي صلى الله عليه وسلم اعتموا بهذه الصلاة فانكم قد فضلت بها على سائر الأمم ولم تصلها امة قبلكم .

ليس فيه تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم اياها بالعتمة وانما فيه امرهم بالاعتام بها اى بالتأخير لها كما يقال امسيت بالعصر ليس المساء اسم لها ولكن اخبار منك انك امسيت بها واسمها غير مشتق من المساء بها وحديث ابى هريرة مرفوعا لو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حوبا .
قد رواه ابن مسعود بخلافه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صلاة أثقل على المنافقين من صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيها من الفضل لأتوهما ولو حوبا .

وتصحیح الحديثين ان الذى تعرفه العرب فى اسمها العتمة لا غير وتسميتها فى حديث ابى هريرة بناء على ما عهده العرب والفتة ثم سماها الله تعالى بالعشاء فى قوله (ومن بعد صلاة العشاء) فعلم ان ما حكاه ابن مسعود فى اسمها متأخرا حكاه ابو هريرة وسبب تسميتها بالعشاء انها تصلى بعد أن تعشى الابصار بالظلام الطارى عليها كما سميت الصبح لانها تصلى عند الاصبح والفجر لانها تصلى بقرب الفجر والظهر لانها تصلى فى الظهيرة والعصر لانها تصلى عند الاعصار وهو التأخير ومنه قولهم عصر فى حقى اذا أخره عن وقت ادائه والمغرب لانها تصلى عند الغروب وما روى من قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العصرين

دخل الجنة .

وقوله عليه السلام لفضالة حافظ على العصرين قلت وما العصران ؟ قال صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها فالمراد بهما الفجر والعصر من باب التغليب فاتنقلت اسماء الصلوات الخمس لآوقاتها التي تصلى فيها وارتفع التضاد والاختلاف بحمد الله ومنه .

في الوتر

روى عن عمرو بن العاص قال اخبرني رجل من الصحابة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى قد زادكم صلاة فصلوها ما بين العشاء الآخرة الى صلاة الصبح الوتر الوتر - ألا وانه ابو بصرة الغفاري قال ابو ذر يا ابا بصرة انت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زادكم صلاة فصلوها فيما بين العشاء الى طلوع الفجر الوتر الوتر ؟ فقال ابو بصرة نعم قال انت سمعته ؟ قال نعم قال انت سمعته ؟ قال نعم .

قوله صلاة الصبح يحتمل نفس الصلاة فيجوز اداء الوتر بعد طلوع الفجر قبل صلاتها وقد روى عن علي الوتر ما بين الصلاتين ويحتمل ان يكون وقت صلاة الصبح الذي يعقب صلاة العشاء ويفسره الحديث الآخر الذي استفسره ابو ذر من ابي بصرة .

وقال خارجة بن حذافة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قد أمركم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم ما بين صلاة العشاء الى طلوع الفجر الوتر الوتر .

روى ابن عمر مرفوعا اذا طلع الفجر فقد ذهب كل صلاة الليل والوتر اوتروا قبل الفجر وحديث ابي بكر وعمر في الوتر مشهور قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر اخذت بالحزم حين قال اوتر من اول الليل وقال لعمر اخذت بالقوة حين قال اوتر آخره .

وعن ابن مسعود الوتر ما بين صلاة العشاء الى الفجر وروى عنه سئل هل بعد الأذان وتر؟ فقال نعم وبعد الإقامة - وفي هذا ما دل على انه مطلق عنده في الزمان كله واهل العلم في ذلك على قولين فأبو حنيفة واصحابه على انه يقضى مطلقا كسائر الفوائت .

- وقال مالك والشافعي انه يصلى فيما بين صلاة العشاء وصلاة الصبح .
ولا يصلى بعد ذلك والحق انه اذا يصلى بعد خروج الليل فيما قرب منه وجب ان يصلى فيما بعد منه لأن الصلوات منها ما لا تقضى بعد خروج وقتها في قرب ولا بعد كالجمعة ومنها ما تقضى بعد ذهاب وقتها في قرب وبعد وهي المكتوبات فينبغي ان يكون الوتر كذلك .

في القنوت

- روى عن عبد الله بن مسعود قال بت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنظر كيف يقنت في وتره فقنت قبل الركوع ثم بعثت ام عبد فقلت لها يتي مع نسائه فانظري كيف يقنت فأنتني فاخبرتني انه قنت قبل الركوع . قد كان ابن مسعود على ذلك كذلك روى علقمة عنه وروى جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم كان يقنت في الوتر قبل الركوع .

- منهم ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث ركعات لا يسلم فيهن حتى ينصرف يقرأ فيها سورة الأعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص ويقنت قبل الركوع وبعد الانصراف يقول سبحان الملك القدوس مرتين يرفع صوته ويجهر بالثالثة .

- ومنهم عبد الله بن عباس في حديثه عن مبيته عند خالته ميمونة والقياس .
يشهد لهذا القول لأن القنوت زائد فيه على غيرها من الصلاة كالتكبير الذي هو زائد في صلاة العيد على غيرها وانه قبل الركوع وكان على وابن مسعود يقتنان قبل الركوع وبكبر ان قبل القنوت ولا يعلم هذا الاثويفا وروى طارق قال صليت خلف عمر صلاة الصبح فلما فرغ من القراءة في الثانية كبر ثم قنت ثم كبر

فرحك والذي روى من فعل هؤلاء الثلاثة الأعلام اولى بالأخذ مما روى عائشة علمني الحسن بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من القراءة في الثالثة من الوتر قال قبل أن يركع، اللهم اهْدني فيمن هديت الحديث لأن من حفظ شيئاً كان اولى بمن قصر عنه .

في سنة الفجر

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تركوا ركعتي الفجر وإن طردتكم الحيل ، وعن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح ، وعنه مرفوعاً ، ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ، وينبغي أن يصليهما في البيت لمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاحهما في المسجد روى عبد الله بن بحينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نرج لصلاة وابن القشب يصلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكبه وقال يا ابن القشب تريد أن تصلي الصبح أربعاً ومرتين .
- عن عائشة رضي الله عنها نرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقيمت الصبح فرأى ناساً يصلون ركعتي الفجر فقال أصلاتان معا ؟
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة وأوقفه بعضهم وفيما تقدم من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يصلوا ركعتي الفجر في المسجد ما يفني عنه لأنه إذا منع عن صلاحتهما في المسجد قبل أن تقام الصلاة فالمنع من ذلك بعد الإقامة أو كد فالواجب علينا امثال ما أمرنا به من صلاة ركعتي الفجر في منازلنا قبل أن نأتي المسجد ما لم تدع إلى ذلك ضرورة
- روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس صلى بعد أن يلا لها ركعتي الفجر ثم صلى صلاة الفجر في موطن واحد .

فدل على إباحة صلاحتهما في الموطن الذي يصلي فيه الفرض عند مثل

هذه الضرورة - وروى ان سعيد بن العاص طلب ابا موسى وحذيفة وابن مسعود قبل ان يصلى الغداة فسألهم كيف نصلى صلاة العيد فأجابه عبد الله عما أجابه ثم خرجوا من عنده وقد اقيمت الصلاة بفلس عبد الله الى اسطوانة من المسجد فصلى الركعتين ثم دخل في الصلاة .

- وذلك والله اعلم انه دعاهم من الليل وامتد بهم الامر الى وقت لم يكونوا يظنون به فدعته الضرورة الى ان صلاها في المسجد خشية الفوات وعن ابي الدرداء انه قال اني لاجيء الى القوم وهم في الصلاة فاصلى الركعتين ثم انضم الى الصفوف .

وذلك عندنا على ضرورة دعتة اليه والآثار بمنعها في المسجد ستجىء

- في باب التنفل بعد الجمعة وما روى الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن ابيه .
 عن جده قيس بن قهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ولم يكن صلى ركعتي الفجر فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فركع ركعتي الفجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم ينكر ذلك عليه فهو من الاحاديث التي لا يحتج بمثله لعله في رواته ذكرت مفصلة في المطول .
 وروى عن ابي هريرة رضى الله عنه بما مرنا احسن من هذا انه قال .
 كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فاتته ركعتا الفجر صلاهما اذا طلعت الشمس وروى عن ابن عمر والقاسم بن محمد انهما كانا يفعلان ذلك .

في صلاة القاعد

- روى عن عمران بن حصين انه قال كان به باسور فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائماً فان لم تقدر فقعاً فان لم تقدر فعلى جنب .

وفيما روى عنه انه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعدا فقال من صلى قائماً فهو افضل ومن صلى قاعداً فله نصف اجر القائم

ومن صلى نائماً فله نصف اجر القاعد .

لا اختلاف بين الحديثين لأن الاول في الفرائض والثاني في النوافل
ثم المتطوع اذا صلى قاعداً مع قدرته على القيام له نصف اجر القائم ولو لم يكن
له قدرة على القيام يكتب ثوابها وهو قاعد كما كان يصليها وهو قائم وقوله
ومن صلى نائماً يعني يقدر على الصلاة قاعداً ولا يقدر على السجود لان الذي
يقدر على السجود فليس له ان يصلي نائماً على جنبه فنعقلنا بذلك انه النائم القادر
على ان يصلي قاعداً يومى بالركوع والسجود فصلى نائماً يومى بهما اختياراً منه
لذلك فاستحق بذلك نصف اجر القاعد وهو ربع اجر القائم .

في هيئة القعود

روى عن مجاهد عن مولى السائب عن السائب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم غير متربع .

فيه ما يدل على نقص صلاة القاعد متربعا عن قاعد غير متربع
ولا يحتاج بمثله لأن مولى السائب مجهول والراوى له عن مجاهد ابراهيم بن
مهاجر وليس بالقوى وكذا ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه لأن اجلس
على رصيفين احب الى من ان اربع في الصلاة .

لا حجة فيه لانه يحتمل ان يكون المراد التربع في القعود للشهد
وهو منهي عنه وقد روى عن عائشة رضى عنها باسناد صحيح قالت رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم صلى متربعا .

فكان هذا الحديث اولى من حديث مولى السائب وروى الحسن

عن امه انها رأت ام سلمة تصلى متربعة من رمد كان بها

وعن ابراهيم بن ابي عتبة انه رأى ام الدرداء تصلى متربعة .

ويؤيده النظر وهو تحصيل الفرق بين القعود الذى هو بدل من
القيام وقعود الشهد كما فرق بين الايماء للركوع وبين الايماء للسجود وفيها

ذكرنا

ذكرنا صحة قول أبي حنيفة وصاحبيه في أمرهم العاجز عن القيام في الصلاة ان يتربع بدلا من قيامه خلاف ما يقوله زفر بالتسوية بينهما .

فيمن نام عن حزبه

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نام عن حزبه او عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ، لما تفضل الله تعالى بنسخ فرض قيام الليل تخفيفا محضا بقوله تعالى (علم ان لن تحصوه فتاب عليكم) لم يحلهم من الحض على قيامه واخذ الحظ منه بقوله (فاقرؤا ما تيسر منه) ندبا فانه قال (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) .

فاذا كان في حقه نافلة كان لأتمته اخرى ان يكون نافلة ثم زاد في التفضل بأن وسع الأمر عليهم في نيل ثوابه واستنجاز وعده المأمور اذا انقطع عنهم عن ذلك مرض او سفر او عائق واقام طائفة من النهار مقام طائفة من الليل وجعل القراءة فيها كالقراءة فيها والقيام فيها كالقيام فيها رحمة منه لهم واشفاقا عليهم .

في الأوقات المكروهة

روى زر عن عبد الله قال كنا ننهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعروبها ونصف النهار .

وروى عن عتبة بن عامر قال ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاها ان نصلي فيها او نقبر فيها موتا فاحين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل وحين تنصب الشمس للغروب حتى تغرب وخرج الآثار بذلك من طرق كثيرة بالفاظ مختلفة ومعان متفقة في بعضها فان الشمس تطلع بين قرني الشيطان وهي ساعة صلاة الكفار فندع الصلاة حتى ترتفع ويذهب شعاعها .

وفي بعضها حتى ترتفع قيد ربيع ، لا خلاف ان التطوع كله قد دخل في النهي المذكور في هذه الآثار غير أن مالكاً رحمه الله ذهب إلى ان الصلاة غير منهي عنها عند قيام الشمس لأنها كما تقوم تميل من غير أن يتخللها زمان يتهيأ فيه صلاة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحجة ولم يمهله إلا عن يمكن وقد وجدناها تقوم وتكون شبه المضطربة مدة ما ثم تزول وأبويوسف والشافعي استثنيا يوم الجمعة عند قيام الظهيرة واحتجوا في ذلك بآثار فيها استثناء يوم الجمعة من النهي لم نجد لها صحة ولا رويت عن ثبت ممن يؤخذ عنهم العلم وإنما هي آثار منقطعة لا أساس لها وما كان مثل هذا لم يجز الاحتجاج به وقد احتج لها بعض بأنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإبراد بصلاة الظهر في الحروب لم يأمر بذلك في يوم الجمعة علم أن يوم الجمعة مخصوص بمعنى لم يوجد في سائر الأيام ورد بأن الإبراد بعد الزوال والوقت المنهي عن الصلاة فيه عند قيام الشمس وهما مختلفان لكل منهما حكم غير حكم صاحبه .

واختلف أهل العلم في قضاء المكتوبات في هذه الساعات قليل لا يجوز فيها شيء من المكتوبات العصر اليوم الذي يصلي فيه وهو قول أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله لأن آخر وقت العصر غروب الشمس فأخرجوها من عموم النهي في ذلك الوقت والقياس أن يكون آخر وقتها تغير الشمس لأن كل وقت سوى ذلك الوقت يجوز أن تصلي فيه القرائن يجرى أن تصلي فيه النوافل وما لا فلا وهذا قول أبي بكر الصديق روى عن ابنه يزيد أنه قال وأعدنا أبو بكره إلى أرض له فسبقنا إليها فأتيناه ولم يصل العصر فوضع رأسه فنام ثم استيقظ وقد تغيرت الشمس فقال أصلتم العصر؟ فقلنا لا قال ما كنت انتظر غيركم فأمهل عن الصلاة حتى غابت الشمس ثم صلاها ، فهذا هو القياس في هذا الباب وذهب مالك والشافعي إلى أن النهي عنه هو التطوع لا غير والقياس يرد ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في أوقات كما نهى عن الصيام في أيام من العام

فكما لم يجز الصيام في الايام الخمسة تطوعا وفرضا لا يجوز أن تقضى تلك الاوقات صلاة فريضة ولا يصلى فيها تطوع .

فان قيل ورد النهى بعد صلاة الصبح الى ان تطلع الشمس وبعد صلاة العصر الى ان تغرب وخص بالتطوع اتفاقا وصح قضاء الفائتات فيها فليكن النهى في هذه الاوقات كذلك لان احكام الصلاة باحكام الصلاة اشبه من الصيام .

قلنا النهى فيها للمعنى في الصلاة بدليل ان من صلى العصر او الصبح ليس له ان يصلى فيها التطوع ومن لم يكن صلاهما له ان يصلى فيها والوقت بالنسبة اليهما واحد وفي الاوقات الثلاثة النهى للمعنى في الوقت لاستواء جميع الناس فيه كالمانع من الصيام في الايام الخمسة هو الوقت لاما سواه فلذلك صح قياس الصلاة في تلك الاوقات على الصيام في تلك الايام ولم يصح قياسها على الصلاة ١٠ بعد الصبح وبعد العصر وما روى من قواه عليه السلام من ادرك ركعة من صلاة الصبح قبل ان تطلع الشمس فقد ادرك الصبح او فليصل اليها اخرى ومن ادرك ركعة من العصر قبل ان تغرب فقد ادرك العصر .

يحتمل ان يكون النهى في هذه الاوقات ناسخا لذلك ويحتمل ان يكون منسوخا بهذا واذا احتملا ارتفعما ورجع الامر فيه الى ما يجب الرجوع اليه عند عدم الدليل من الكتاب والسنة والاجماع وهو القياس الذي ذكرنا وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه في الاوقات الثلاثة ما يدل على انه لا تصلى فيها نافلة ولا فريضة وهو انه منع الصلاة على الجنابة فيها وهى فرض كفاية واجازها بعد صلاة الصبح والعصر اذا صليتا لوقتهما المختار بحيث يبقى من وقتها ما يصلى فيه على الجنابة كذلك روى نافع عنه .

٢٠

فيمن نام عن صلاة

عن ابي قتادة رضى الله عنه سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

غزوة وعرسنا فما استيقظنا حتى ايقظناحر الشمس بفعل الرجل منا شب جزعا
دهشا فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنا فارتحلنا من مكاننا
حتى ارتفعت الشمس ثم نزلنا فقصى القوم حوائجهم ثم امر بسلامة فاذن فصل
ركعتين فأقام فصل الغداة - الحديث مذکور بطرق كثيرة بمكان متفقة وزيادات
في بعضها وفيه من تأخير رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح الى ارتفاع
الشمس ما يدل على انه لا يصل الفوائت عند الطلوع لانه لا يظن به التأخير
مع جواز فعله حينئذ وبه احتج ابو حنيفة رضى الله عنه وخالفه في ذلك الشافعي
وغيره وقالوا سبب تأخير حضور الشيطان اياهم في ذلك الوادي على ماورد
فيه من قوله عليه السلام تحووا عن هذا المكان الذي اصابكم فيه الغفلة .

ومن قوله لياخذ كل واحد منكم برأس راحلته فان هذا منزل حضرا
فيه الشيطان ، وما اشبه ذلك ورد بان حضور الشيطان لا يصح ما نعا اذا
قد عرض للنبي صلى الله عليه وسلم في صلاته فلم يخرج منها حتى اتمها وقال لولاد عوة
اخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان المدينة .

والحديث مشهور في الصحاح فاستحال ان يكون التأخير لذلك سيما
وفي حديث ابي قتادة انه اخر الصلاة الى ان ارتفعت الشمس ثم صلاها ففيه ان
تأخيرها انما كان ليحل وقت الصلاة لا لما سواه وماورد من قولهم : فما ايقظنا
الاحر الشمس ، لا دليل فيه على الارتفاع قبل الاستيقاظ اذ يحتمل ان يكون
طلعت بجرادتها كما هو موجود بالحجج في حرها الى الآن ثم من روى هذا
الحديث عمران بن الحصين قال عرسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم نستيقظ الا بحر الشمس فاستيقظ مناسته ثم استيقظ ابو بكر رضى الله عنه فجعل
يمنعهم ان يوقظوه ويقول لعل الله تعالى ان يكون احتبس في حاجته فجعل
ابو بكر يكبر حتى استيقظ .

ففيه انه صلى الله عليه وسلم نام نوما ذهب عنه به الفهم بقلبه وفي ذلك
نوم قلبه اذ لو لم يكن كذلك لما خفي عليه استيقاظ الجماعة ولا احتاج ابو بكر

الى

الى متابعة التكبير حتى يوقظه وهو مخالف لما قال لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان عيني تمان ولا ينام قلبي ، ظاهرا ولكن الذي اخبر به عن نفسه لعائشة هو الذي كان الأمر عليه وهو علم من اعلام النبوة ابانه الله تعالى به عن سواه من خلقه وكان نومه في الوادي كنوم من سواه لمعنى اراد الله سبحانه به ان يكون سببا لما يفعل من بعده في مثل تلك الحال لما روى انه قال لو شاء الله .
لم تماموا ولكن اراد أن يكون سنة لمن بعدكم فيمن قام او نسي .

اذ يجوز أن يقال كان ينبغي ان تسقط بعد خروج الوقت كالجمعة او لا تجب الصلاة على النائم لان وقتها لم يمر عليه الا والقلم مرتفع عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن العبي حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق فعملوا بذلك من فعله ومن قوله ما لم يكونوا .
علموه قبل ذلك فبان بحمد الله ان لا تضاد في شيء من هذه الآثار .

في التنفل بعد صلاة العصر

عن وهب بن الاعدع قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلوا بعد العصر الا ان تصلوا والشمس مرتفعة ، وذكره من طرق وليس هذا بخلاف لما روى ان علي بن ابي طالب .
رضي الله عنه سبغ بعد العصر ركعتين في طريق مكة فتغيظ عليه عمر رضي الله عنه وقال والله لقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهي عنها .
لانه يحتمل ان يكون على رضي الله عنه صلى والشمس عنده مرتفعة الارتفاع الذي يبيح الصلاة وكان عند عمر رضي الله عنه على خلاف ذلك فلا خلاف بينها حينئذ يكون في الارتفاع المبيح لا فيما علماه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان النهي عن الصلاة بعد العصر وان كانت مرتفعة حتى تغيب فوقف عمر رضي الله عنه عليه ولم يبلغ ذلك عليا وكان على ما روى وهب عنه وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال شهد عندى رجال مرضيون وارضاهم عندى عمرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع

الشمس وعن الصلاة بعد العصر حتى تقرب .

وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الظهر والعصر؟ قالت كان يصلي المغرب ثم يصلي بعدها ركعتين ثم يصلي العصر ثم يصلي بعدها ركعتين فقليل لها ان عمر يضرب رجلا يصلي بعد العصر ركعتين فقالت لقد صلاها عمر رضي الله عنه ولكن قومك اهل اليمن طعام فكانوا اذا صلوا الظهر صلوا بعدها الى العصر واذا صلوا العصر صلوا بعدها الى المغرب فقد احسن .

فيحتمل ان يكون الامر عند عائشة رضي الله عنها كما كان عند علي رضي الله عنه وما وقفت على ما كان عند عمر رضي الله عنه من النهي بعد صلاة العصر حتى تقرب والاخذ بما عند عمر رضي الله عنه اولى بما كان عندها لانه قد دخل فيه ما كان عندها وزاد عليه ما لم يكن عندها والزيادة اولى ويكون النهي المتأخرنا سمحا والله اعلم .

في الاشارة في الصلاة

روى ابو بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل في صلاة الصبح ١٥
فاوى اليهم ان مكانكم ثم جاء ورأسه يقطر ماء فصلى بهم ، ورواه انس ايضا
كذلك وعن غيرها من الصحابة ان الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ قيام المصل لا انه دخل بتكبير قال اقيمت الصلاة وصف
الناس صفوفهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام مقامه .
ثم ذكر انه لم يفتسل فقال مكانكم فانصرف الى منزله فاغتسل ثم خرج
حتى قام مقامه ورأسه يقطر ماء ، ورواه ابو هريرة رضي الله عنه فهذا الاختلاف ٢٠
انما هو من حكايات الصحابة ونحن نجيب عنهم بما رفعه ويعود الى الوفاق
فنقول معنى دخل في الصلاة على معنى قرب دخوله فيها كما قال تعالى (فلبن
اجلن فامسكوهن) الآية اذا لامسك بعد انقضاء العدة لا يكون ومثله تسمية

ابن ابراهيم ذبيحا ولم يذبح لقربه من الذبح والله اعلم .

في امامة ابي بكر

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم جاءه بلال يؤذنه الصلاة فقال اتوا ابا بكر فليصل بالناس قالت فقلت

يا رسول الله لو أمرت عمر أن يصلي بهم فان ابا بكر رجل اسيف ومتى يقوم .

مقامك لا يسمع الناس قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فأمروا ابا بكر فصلى

بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فقام يهادى

بين رجلين ورجلاه تخطان في الارض فلما سمع ابو بكر حسه ذهب ليتأخر

فاومى اليه أن صل كما انت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن

يسار ابي بكر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس واوبكر يقتدى .

بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم والناس يقتدون بصلاة ابي بكر .

وعنها رضى الله عنها من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

قالت ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خفة فخرج يهادى بين

رجلين لصلاة الظهر واوبكر يصلي بالناس فلما رآه اوبكر ذهب ليتأخر فاومى

اليه ان لا تتأخر وقال لها أجلسانى الى جنبه فأجلساه الى جنب ابي بكر فجعل

ابوبكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة .

ابي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد قال عبيد الله فدخلت على ابن عباس

فعرضت حديثها عليه فما انكر من ذلك شيئا في الحديث الأول عود ابي بكر

مأموما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اماما والناس كلهم مقتدون بصلاته

صلى الله عليه وسلم - وفي الحديث الثانى استمراره على امامته الى كان قبل حضور

النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد .

والحديثان عن عائشة والثانى عن ابن عباس ايضا واذا تعارضا فما روى عن

عائشة رضى الله عنها ارتفع وثبت ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد روى

عنها قالت صلى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه خلف ابي بكر قاعدا

وروى عنها ان ابا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف ففى هذين الحديثين انه صلى الله عليه وسلم كان مصليا بصلاة ابي بكر مأموما فيها . ثم نظرنا فى قول ابن عباس وعائشة فكان ابو بكر يصلى بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فوجدنا محتملا ان المراد كان يصلى بقدر طاقته صلى الله عليه وسلم عليها للرض الذى كان فيه اذ طاقة المريض ليس كطاقة الصحيح . وقد كانت السنة التى امر الأئمة بها ان يصلوا بصلاة اضعفهم قال عثمان بن ابي العاص أمر فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤم الناس وان اقدرهم بأضعفهم الكبير والقيم والضعيف وذو الحاجة .

وكان هذا اولى مما حمل لان الناس فى تلك الصلاة لم يكن لهم امامان ولما كان ابو بكر رضى الله عنه هو الامام فيها بالناس وجب ان يكون هو الامام فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ايضا .

وحقق ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى تلك الصلاة خلف ابي بكر واستدلال بعض على ان الامام كان النبى صلى الله عليه وسلم بما روى عنها : وكان النبى صلى الله عليه وسلم بين يدي ابي بكر يصلى قاعدا و ابو بكر يصلى بالناس والناس خلفه ، غير متضح اذ من اهل العلم من يجوز للأمام ان يصلى بين يدي الامام كما يصلى خلفه منهم مالك مع ما روى انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر فى ثوب واحد يرد مخالف بين طرفيه فكانت آخر صلاة صلاها وكيف يجوز أن يكون احدا ما لغيره فى صلاة قد دخل فيها ذلك الغير قبله ثم يلزم من كون ابي بكر اماما ما وجوب سجدة السهو عليه ووجوب القراءة عليه ومن كونه مأموما يلزم عدم وجوب السجود بسهوه وعدم وجوب القراءة فكيف يخرج من صلاة هذا حكمها الى صلاة اخرى حكمها ضده بلانكثير يستأنفه لها وكيف يظن ذلك بأبي بكر وقد كان من السنة ان لا يسبقوا الأئمة بالركوع والسجود فى الصلاة التى يصلونها

معهم وأن يكونوا مقتدين بهم لا مخالفين لهم فيه - فإن قيل ، أليس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبريا الناس في صلاة ثم تذكر أن عليه غسل فأوصى اليهم أن يكونوا مبكناهم حتى مضى واغتسل ثم رجع فصلى بهم ، ففيه دخول القوم في الصلاة قبل دخول أئمة مهم فيها .

- قلنا قد ذكرنا أنه ما دخل فيها حقيقة بل قام مقام المصلى فلا يصح الاستدلال بذلك وما روى أن معاذ الماصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجع على عادته يؤم قومه فقرأ سورة البقرة فتحنى رجل من خلفه فقيل له أنا فتت فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما كان من معاذ ومنه فقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ أنتان أنت مرتين ، لادليل فيه على جواز خروج المأموم من صلاة نفسه بغير استئذان تكبير اذ يحتمل أنه صلى بتكبير استأنفه لها ، وكذا الدليل فيما يحتج به من حديث يزيد بن رومان في صلاة الخوف بذات الرقاع أنه صلى الله عليه وسلم صلى بكل طائفة ركعة اذ كانت الطائفة الأولى قد خرجت من الأتجام الى صلاة انفسهم فاتموا قبله لأنه روى عن جابر قال أتممت الصلاة هناك فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين وتأخروا وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائفة الأخرى ركعتين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان ، وهذا خلاف ما في حديث يزيد بن رومان واذا تكانات الروايتان اذ تفعتا ولم يكن في واحدة منها حجة على من خالفه .

في امامة الجالس

- ٢٠ لا يحتج على متابعة الامام في الجلوس وان كان لا موم قدرة على القيام بما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شاك فاصلى جالسا فصلى وراءه قوم قايما فأشار اليهم ان اجلسوا فلما انصرف قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فازكعوا واذا رفع فارفعوا واذا صلى جالسا فصلا جلوسا اجمعون ، وفي رواية جابر قال بعد الانصراف كدتم

ان تفعلوا فعل فارس والروم بعظائمهم ائتموا بأئمتكم فان صلوا قياما فصلوا قياما وإن صلوا جلوسا فصلوا جلوسا ، وخرجه من رواية انس وابى هريرة وعبد الله ابن عمر زيادة الفاظ في بعضها على بعض مع اتفاقها على امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع الامام في الجلوس ، لانه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان حاله في مرضه الذي توفي فيه خلاف ما في هذه الآثار فكان ناسخا لها - وروى ارقم بن شرحبيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرض مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة فقال ادعوا لي عليا الى ان قال ليصل بالناس ابوبكر فتقدم ابوبكر فصلى بالناس ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين فلما احس ابوبكر ذهب يتأخر فأشار اليه ان مكانك فاستم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انتهى ابوبكر من القراءة وابوبكر قائم ورسول الله جالس فاتم ابوبكر برسول الله وائتم الناس بأبي بكر فما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة حتى ثقل فخرج يهادي بين رجلين وان رجلاه (١) لتخطان بالارض فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص ، ففيه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالناس جالسا وابوبكر قائما والناس كذلك فدل ذلك على نسخ ما كان منه في تلك الآثار .

فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم في آخر صلاته كان مأموما لاماما قالت عائشة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه خلف ابى بكر قاعدا وروى عن انس مثله - قلنا الاصل ان تحمل الآثار على الاتفاق ولا تحمل على التناقض مهما امكن وكان ابوبكر يصلى بالناس ايام تخلفه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها لمرضه فما في حديث عبيد الله عن عائشة وابن عباس دل على انه كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الامام وما كان في حديث انس وعائشة ففي صلاة اخرى صلاها خلف ابى بكر مأموما فعقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان صلى بالناس جالسا ومن خلفه قياما وحقق ذلك ما في

حديث الأرقم من اخذه صلى الله عليه وسلم في اقراءة من حيث انتهى ابوبكر ولا يكون ذلك الا وهو الامام ودل بما انتهى اليه ابوبكر في القراءة انها صلاة يجهر فيها بالقراءة لان المأموم لا يقرأ خلف الامام فيما يجهر فيه بالقراءة الا ما قالت طائفة انه يقرأ بانفاحة خاصة - وفي حديث الاسود عن عائشة رضى الله عنها ان جلوسه كان عن يسار ابي بكر وذلك مقام الامام لان ابابكر عاد بذلك عن يمينه وجلوسه عن يسار ابي بكر دليل على انه اراد الامامة لا الاثتمام فيها بغيره اذ لو اراد الاثتمام بابي بكر لجلس خلفه كما فعل في يوم بني عمرو بن عوف لما ذهب ليصلح بينهم فجاء وابوبكر يصلى بالناس ، وساق الحديث من طرق وكذلك فعل اذ ذهب لحاجته فجاء وعبدالرحمن بن عوف يؤمهم وقد صلى بهم ركعة فصلى خلفه ركعة وقضى الركعة التي فاتته ، ومذهب الامام ابي حنيفة ١٠ وابي يوسف وزفر والشافعي تجوز امامة القاعد الراكع والساجد القوام الذين يركعون اتباعا عما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة للقياس الصحيح لأن القعود لما كان بدلا من القيام كان فاعل البديل كفاعل والذي يروى من المبدل منه بخاز أن يكون القاعد اما ما للقاتم ومذهب مالك ومحمد عدم الجواز رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مخصوصا به وليس لأحد من امته سواه قلنا الاصل عدم التخصيص عند عدم التوقيف .

فيمن هو أحق بالامامة

عن ابي مسعود الانصاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا ولا يؤم الرجل في سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه ، وروى مرفوعا يؤم القوم اقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنا فان كانوا في ذلك سواء فأقرؤهم - وروى يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء

فأقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً .

وروى ليؤمكم أقرؤكم فان كانت القراءة واحدة فأقدمكم هجرة فان كانت الهجرة واحدة فأعلمكم بالسنة فان كانت السنة واحدة فأقدمكم سناً ولا يؤم الرجل في بيته ولا يجلس على تكرمته الا باذن الحديث الاول .
اولى لأن النظر يعضده لأن الامامة مدارها على اربع مراتب وهي الأقرأ والأعلم والأقدم والأكبر لكن القراءة والسنة مضممة بالصلاة لابلها منها والهجرة والسن ليسا كذلك وانما يستعملان فيها اذ بالافرض بدليل جواز صلاة من ام مهاجريا ومن فوقه في السن وان كان الاولى ان يأتم بها ولا يؤمها ثم الهجرة اعلى المرتبتين الثابنتين فكذلك القراءة اعلى المرتبتين الاوليين .

١٠ قل القاضي قدم السن انما يعتبر اذا نسا وبها في الاسلام حتى لا يقدم الأقدم في السن على الأقدم في الاسلام لأن تقدم الاسلام زيادة فضيلة ليست لتقدم السن مع عدم الاسلام وقد يقدم الأسن مطلقا في التكلم وما اشبهه من امور الدنيا ويتوخى في تقديم من يكون ادعى الى بلوغ الغرض المقصود من ذلك اذ الأسن قد يكون السن والحن بمعانيه انتهى .

١٥ واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤم امير في امارته فقد دخل تحت اطلاقه صلاة الجنازة ايضا كذهب ابي حنيفة واصحابه ان لا يصلى على الجنازة الا الأمير اذا حضر لما روى ان الحسين بن علي رضي الله عنهما قال لسعيد بن العاص يوم مات الحسن بن علي رضي الله عنهما تقدم فلولا انها سنة ما تقدمت ، وهو القياس لأنها من الفروض العامة التي تسقط عنهم بقيام الخاصة لأن على المسلمين الصلاة على جنازتهم كما عليهم غسلهم ومواراتهم فمن قام بذلك منهم سقطت عن بقيتهم ٢٠ فوجب ان يكون الأمير احق به اذا حضرها كالامامة في المكتوبات في المساجد اذا حضرها لأن اقامة الجماعة في المساجد واجبة على المسلمين ومن قام بذلك منهم سقطت عن بقيتهم وخالفهم الشافعي في صلاة الجنازة لأنها عنده من الفروض الخاصة .

في امامة الصبي

- عن عمرو بن سلمة قال كنا بحاضر يربنا الناس اذا جاؤا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوان قل رسول الله وقال رسول الله وكنت غلاما حافظا فحفظت من ذلك قرآنا كثيرا فوجد ابي في ناس من قومه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهم الاسلام وقال ليؤمكمم اقرؤكم فلم يكن في القوم احد اقرأ مني فكنت أؤمهم وانا ابن سبع سنين او ثمان وعلى بردة لي فكنت اذا سجدت انكشفت فمرت بنا ذات يوم امرأة وانا اصلي بهم فقالت واروا عنا عورة فانكم هذا فاشترى قيصا يمانيا فلم افرح بشيء بعد الاسلام ما فرحت بذلك القميص، وله طرق كثيرة، ذهب قوم منهم الشافعي الى اجازة امامة الصبيان الرجال اذا عقل الصلوات الخمس بهذا الحديث وخالفهم جماعة منهم ابو حنيفة وأصحابه فلم يجزوا صلاة من عليه تلك الصلاة خلف من ليست عليه لأن تقديم عمرو لم يكن بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وانما كان بتقديم قومه لقلة علمهم دل عليه اتبائهم به مكشوف العورة ولا يقال كان في عهده صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقف عليه فلم يكن حجة ألا ترى ان رفاة الانصارى وهو من خيلة الصحابة ومن تقباء الانصار ومن شهد بدرا لما ذكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انهم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلونه يعني الاكسال ثم لا يفتسلون على ما كانوا يرون ان لا ماء الا من الماء فقال عمر أفسأتم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقال لا فقال لئن اخبرت بأحد يفعله ثم لا يفتسل لأنهكته عقوبة، بعد أن اختلف عليه في ذلك الصحابة فأصفي أكثرهم على ان الماء لا يكون الا من الماء فأرسل الى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألن عن ذلك فقالت عائشة اذا جاؤا الختان فقد وجب الغسل، فاذا لم يكن رفع رفاة بن دافع فلمهم الى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة اذ لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم وقف عليه فحمده منهم فأحرى ان لا يكون تقديم عمرو وهو صغير حجة .

في قصر الصلاة

روى عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة رضى الله عنها انها اعتمرت من المدينة الى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله باني وامى قصرت واتممت وافطرت وصمت قال احسنت يا عائشة وما عاب على - قد احتج بهذا من اباح الاتمام وهو حديث يعقد في القلوب مع انه روى على خلاف هذا قالت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان فافطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصمت وقصر واتممت فلما قدمنا مكة قالت يا رسول الله افطرت وصمت وقصرت واتممت .

والمعروف عنها عن هرفوق عبد الرحمن في الجلالة وهاعروة بن الزبير ومسروق ان الصلاة فرضت ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيدت في الحضر قال الزهري فقلت لعروة فما بال عائشة كانت تم في السفر؟ قال انها تأوات ما تناول عثمان رضى الله عنه .

فعلى ما روي عنها فرض السفر ركعتان كما فرضها في الحضر اربعاً فكما كان من صلى ثمانياً في الحضر غير محسن لانه خلط الفرض بالانفل كذلك من صلى في السفر اربعاً ولما نهى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاوية من صلى مكتوبة ان يصلي بعدها حتى يتقدم او يتكلم وان كان سلم كان نهيه لمن فعل ذلك وهو لم يسلم او كد وكان فاعله في خلاف ما امره به اكثر ولا يظن بعائشة رضى الله عنها المخالفة وموضعها من الافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يجب ان يكون عليه مثلاً كيف وقد وافقها ابن عباس رضى الله عنه قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة في الحضر اربعاً وفي السفر ركعتين - فكما يتطوع في الحضر قبلها وبعدها فكذلك يصلي في السفر قبلها وبعدها فانني بما ذكرنا حديث عبد الرحمن عنها وثبت عنها حديثاً مسروق وعروة .

ولا يقال ان قوله صلى الله عليه وسلم ، ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، يدل على انها كانت في السفر اربعاً لانه لا يضع الا ما قد كان ثابتاً

لأن وضعه تعالى إنما هو تركه فرض ما وضعه عن وضعه عنه وان لم يكن مفروضاً عليه ، نظيره قوله صلى الله عليه وسلم ، رفع القلم عن ثلاثة ، الحديث ولم يكن ما رفع عنهم كان مكتوباً قبل ذلك عليهم وإنما معناه لم يكتب عليهم فكذا وضع الشطر عن المسافر عدم الكتابة عليه لانه كان مكتوباً قبل وضعه .

في اتمام عثمان

روى ان عثمان رضى الله عنه صلى بأهل منى اربع ركعات فلما سلم اقبل اليهم فقال انى تأملت بمكة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تأهل فى بلدة فهو من أهلها فليصل اربعاً فلذلك صليت اربعاً .

- وانما قال ذلك لما انكر الناس عليه الا تمام وفيه ما يدل على ما يقوله ١٠
- ابو حنيفة واصحابه والشافعى رضى الله عنهم ان الامام اذا كان من أهل مكة وكذا غيره من الحاج لا يقصرون الصلاة بمنى لأئمتهم فى سفر لا يقصر فى مثله واليه ذهب عطاء ومجاهد وهما اماما الناس فى الحج والنظر ايضا يوجب ذلك لأن قصر النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله عنهما الصلاة بمنى فى حجهم لا يخلو من ثلاثة معان لا رابع لها - اما ان يكون للموطن الذى كانوا به وذلك منتف لا جماعهم ان من لم يكن حاجاً ولا مسافراً يتم فى ذلك الوطن - واما ان يكون للحجيج وهو منتف ايضا لا جماعهم ان الحاج من أهل منى يتمون الصلاة بمنى فلم يبق الا ان يكون للسفر الذى يقصر فى مثله وكان مالك رحمه الله يقول فى الحاج من أهل منى انهم يتمون بمنى ومن أهل مكة وأهل عرفة يقصرون بمنى وأهل منى يقصرون بعرفة واذا انتفى ان يكون ٢٠
- قصر الصلاة الا للسفر انتفى قول من قال ان غير المسافر يقصر بمنى حاجاً كان او غير حاج تقرر عن مالك وابن القاسم فى احد قوليهما ان الحاج يقصر بمنى وان لم يكن مسافراً لانه منزل سفر وغير الحاج لا يقصر اذا لم يكن مسافراً اجماعاً .

في سبب اتمام عائشة

روى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لنسائه هذه الحجة ثم عليكن بظهور الحصر وكن بحججن غير زينب وسودة تقولان لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وعن ابي واقد الليثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه .
 في حجة الوداع هذه حجة الاسلام ثم ظهور الحصر ، فزعم زاعم ان عائشة كان سبب تركها للقصر في اسفارها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من قوله لمن عليكن بظهور الحصر ، وهوتا ويل فاسد لان عائشة رضى الله عنها كانت اعلم بالله واحكامه من ان تخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وتترك القصر من اجل ذلك بل انما تركته لأنها كانت لا تراه واجبا على احد او كانت تتأول كما تأول عثمان آتوا وكان تأويلها انها ام المؤمنين حيث ما حلت فهو دارها لأنها ما كانت تنزل الا عند اولادها فكانت تعد نفسها مقيمة كما عد عثمان نفسه مقيمة بمكة لما تأهل بها ثم الوجه في خروج بعضهم الى الحج بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن ما في هذين الحديثين وترك الخلفاء الانكار عليهن والله اعلم انه قد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت استأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال جهادكن او حسبكن الحج وانها قالت يا رسول الله ألا نخرج نجاهد معكم فاني لا ارى عملا في القرآن افضل منه ؟ قال لا ان لكن احسن الجهاد واجمله حج البيت مبرور .

يعلم منه دوام الحج لمن كدوام الجهاد فاحتمل ان يكون ذلك بد الخديثين الأولين فوقف على ذلك هي ومن سواها فأطلق لها ولمن وقفت على ذلك الحج ولم تقف على ذلك سودة ولا زينب فلزمتا الحصر وكلهن رضوان الله عليهن على ما كن عليه محمودات وكذلك الخلفاء وسائر الصحابة رضى الله عنهم في تركهم الخلاف عليهن محمودون لعلمهم ما علموا

من ذلك ولا يجوز أن يحمل الأحاديث على ما قلنا لأن في ذلك السلامة وحسن الظن بخلفاء رسول الله وازواجه وصحابه صلى الله عليه وعليهم ونعوذ بالله من إساءة الظن فيهم .

قال القاضي تحقيق القول فيه أن اختلافتهم فيما سبيله الاجتهاد وهن من أهله وكانت كل واحدة منهن متعبدة بما أداها الاجتهاد اليه ولم يكن للخلفاء عليهن في ذلك حكم لأنه لا يلزم من الرجوع إلى اجتهاد أحد من خليفة ولا غيره .

قلت هن من أهل الاجتهاد ولكن المحل ليس بمحله لظهور النص فيه وهو قوله، عليكن بظهور الحصر، ولا اعتبار للاجتهاد مع وجود النص بخلافه، فالقول ما قالت حذام بأن سكوتهم عن الإنكار على من حجت بعد ذلك لعلمهم بالنسخ كعلمهم به بالتوقيف كما ذكر آتقا .

في سجدة التلاوة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ، ص، وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيأ وأوكلته نحوها للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتم تهيأتهم أو تشزتم أو كلتم نحوها للسجود فنزل وسجد .

فيه أنها ليست من عزائم السجود وإنما هي لمعنى كان ذلك إلى النبي داود صلى الله عليه وسلم ونهم فقلنا بذلك أنه إذا كان من الله تعالى إلى أحدهم ما هو من جنس ذلك كان مباحاله السجود عنده وفيه ما قد دل على إباحة سجدة الشكر كما يقوله محمد بن الحسن والشافعي رحمهما الله .

وفيه أن السجود منه عزيمة لأبد منه وما ليس كذلك يؤيده ما روى عن علي رضي الله عنه قال عزائم السجود الم تنزيل، وحم، والنجم، وأقرأ باسم ربك إذا يكون ذلك استنباطا منه فالعزيمة واجبة وما لم يكن عزيمة فتاليه وسامعه

غير وعند أبي حنيفة وأصحابه بسجود التلاوة أربع عشرة سجدة واجب منها ، ص ،
وقد كان مالك يقول أنها إحدى عشرة سجدة فيها ، ص ، وأنها عزائم وكان
أبو حنيفة ومالك وأصحابه لا يعدون في الحج إلا السجدة الأولى والشافعي يعدها
ويخرج ، ص ، ويقول أنها أربع عشرة أيضا وما دل عليه الحديث وأيده قول
علي رضي الله عنه أولى مما قالوه جميعا ، وما روى عن مجاهد أنه سئل ابن عباس
عن سجدة ص ، فقال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وكان داود عليه
السلام ممن أمر نبيكم أن يقتدى به فوجهه أن يقتدى به في أن يسجد كما سجد داود
عليه السلام شكرًا وما روى عن عثمان رضي الله عنه أنه سجد فيها يحتمل أن يكون
قصد بذلك الشكر لله فيما كان منه إلى نبيه داود صلى الله عليه وسلم من توبته
عليه فيكون مذهبه أن لا يسجد فيها إلا لمن قصد هذا المعنى بخلاف حكم سائر
سجود القرآن ويحتمل أن يكون سجدها عن تلاوته أياها كسائر
سجود القرآن .

وما روى عن سعيد بن جبيرة أن عمر رضي الله عنه قال له أتسجد
في ص ؟ قلت لا قال فاسجد فيها فإن الله تعالى قال (أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده) ظاهره أنه أمره بالسجود فيها اقتداءً بداود عليه السلام لا
أنها سجدة التلاوة خاصة وقد اختلفت الروايات فيها عن ابن عباس رضي
الله عنه فعنه أنها من عزائم السجود وعنه أنها ليست منها وقد رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسجد فيها .

في السجدة في المفصل

فيما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سجدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذي خلق) سجدتين
وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شيء من المفصل تعارض فيجوز أن يكون ابن عباس لم ير رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعله بعد أن قدم المدينة فكان من رآه فعله أولى وروى عنه أنه قال

صحبت النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وانه قال قدمت المدينة ورسول الله بخير ورجل من غفار يؤم الناس فسمعتة يقرأ في الصبح في الركعة الأولى بمریم وفي الثانية بويل للطففين - الحديث واثبات الاشياء اولی من نفيها .

وما روى عن زيد بن ثابت انه قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

- «النجم» فلم يسجد فيها لادلالة فيه على نفي السجود من المفصل وان كان ذلك ايضا .
 بالمدينة لانه يجوز أن يكون الترك لكونه على غير طهارة حائض او كان في وقت
 النهي اولانه عنده كان ندبا كما روى عن غير واحد من الصحابة منهم سلمان
 انه مربقوم قد قرأ واسجدة قليل ألا تسجد؟ فقال انا لم تقعد لها ومنهم عبد الله
 ابن الزبير قرأ السجدة فلم يسجد فسجد الحارث ثم قال يا امير المؤمنين ما منعك
 ان تسجد اذ قرأت؟ فقال اني اذا كنت في صلاة سجدت .

١٠

واذا احتمل حديث زيد هذه المعاني كان ما روى عن ابي هريرة

رضي الله عنه من اثبات سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر سجوده
 فيه بالمدينة اولی منه ومن حديث ابن عباس ولا حجة للشافعي فيما روى عن ابي
 ابن كعب رضي الله عنه انه لا يسجد في شيء من المفصل استدلالا بأنه صلى الله
 عليه وسلم قال له امرت ان اقرأ عليك القرآن قال قلت سماني لك ربك؟ قال
 نعم فقرأ علي (قل بفضل الله وبرحمته) الآية .

١٥

وفي رواية فقرأ عليه (لم يكن الذين كفروا) فيكون هو أعرف بحال

ما فيه سجود وما لا يسجد فيه - قال ابن ابي عمران هذا كلام فاسد لانه
 يعارض ما روى عن ابن مسعود من السجود فيه لان ابن مسعود حضر عرض
 النبي صلى الله عليه وسلم اقرآن على جبرئيل في كل عام مرة وفي عام الوفاة
 مرتين فعلم ما نسخ منه وما تقرر عليه وأبي لم يقرأ عليه الاسورة واحدة لا يسجد
 فيها او آية واحدة ويجوز اطلاق القرآن على آية او سورة قال تعالى (فاذا
 قرأت القرآن فاستعذ بالله) وتعال تعالى (واذا صرفنا اليك نفرًا من الجن
 يستمعون القرآن) والسموع بعض القرآن وكذا المقروء بالاخلاف .

٢٠

في فضل الجمعة

روى عن سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يوم الجمعة؟ قال قلت الله ورسوله أعلم ثم قال أتدرون ما يوم الجمعة؟ قال قلت الله ورسوله أعلم قال قلت في الثالثة أو الرابعة هو الذي جمع فيه أبوك وأبوكم قال لكني أخبرك بخبر يوم الجمعة ما من مسلم يتطهر ثم يمشي إلى المسجد ثم ينصت حتى يقضى الإمام صلاته إلا كانت كفارة ما بينه وبين الجمعة التي قبلها ما اجتنب القتلة ، فيه حض على الانصات بين الخطبة وبين الصلاة وهو مذهب أبي حنيفة وجماعة وخالفه أكثر أهل العلم منهم أبو يوسف ومحمد فلم يروا بالكلام بين الخطبة وبين الصلاة بأساً لما روى عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ربما ينزل عن المنبر وقد أقيمت الصلاة فيعرض له الرجل فيحدثه طويلاً ثم يتقدم إلى الصلاة . ١٠

فيحتمل أن يكون الحديث الأول على الأفضلية وكثرة الثواب لأعلى وجوب السكوت كما في حال الخطبة فإنه فرض والكلام فيها لقول لكن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم تسهلاً على الناس وإن كان غيره أفضل منه كما توضأ مرة وإن كان مرتين مرتين أفضل منه وثلاثاً ثلاثاً أفضل منهما فترك الأفضل إعلام منه صلى الله عليه وسلم لأتمته أن ذلك مباح لهم غير حرام عليهم فيرفع التضاد ١٥ بين الحديثين .

وما روى عن ثعلبة بن أبي مالك أن جلوس الإمام على المنبر يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وقال أنهم كانوا يتحدثون حين يجلس عمر على المنبر فإذا قام عمر على المنبر لم يتكلم أحد حتى يقضى خطبته كليهما ثم إذا نزل عمر رضى الله عنه عن المنبر وقضى خطبته تكلموا ، يحتمل أن يكون على التوسعة التي ذكرنا لأعلى ما سواها وإن كان غير ذلك أفضل منه وأعظم أجراً .

في الاحتباء يوم الجمعة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الحبوقة يوم الجمعة والإمام

يخطب

يخطب - وروى عن جماعة انهم كانوا يحتبون والامام يخطب، منهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - ومثل هذا النهى يبعد أن يخفى على الجماعة فالتوفيق والله اعلم ان النهى محمول على استثناء الحبة في حال الخطبة لأن في ذلك اشتغالا عن الخطبة بغيرها والصحابة كانوا يحتبون قبلها فيخطب الامام وهم على ما كانوا عليه من الاحتباء ففعلهم غير الذى نهى عنه .

فى التنفل بعد الجمعة

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل اربعا او من كان مصليا فليصل قبل الجمعة اربعا وبعدها اربعا .

وروى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الجمعة صلى بعدها ركعتين ثم اربعا، يحتمل ان يكون الأمر بالأربع لمن صلى فى المسجد وصلاته صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم اربعا فى بيته بعد انصرافه من المسجد لما روى ان ابن عمر رأى رجلا يصلى ركعتين بعد الجمعة فدفعه وقال أتصلى الجمعة اربعا وكان ابن عمر يصليهما فى بيته ويقول كذا السنة .

وعن السائب بن يزيد قال صليت الجمعة مع معاوية فلما فرغت قمت لأتطوع فأخذ بثوبي فقال لا تفعل حتى تتقدم او تتكلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك ففيه اباحة التنفل بعد الجمعة فى المسجد بخلاف حديث ابن عمر فالوجه ان الذى حظره ابن عمر هو التطوع بركعتين ههنا شكل للجمعة فى عدتها فنهى عن فعلها فى المكان الذى صلى فيه الجمعة كما امر من يقصد المسجد لصلاة الصبح ان يصلى ركعتي الفجر فى بيته ونهى عن ان يصليهما فى المسجد .
والذى امر فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان يصلى اربعا لأنها من غير شكل للجمعة بعد أن يكون منه كلام او تقدم فالحاصل جواز التطوع فى المسجد بعد الجمعة بما لا يشبه الجمعة فى عددها بعد الكلام او التقدم والمنع ان يصلى بعدها مثلها فى العدد وأمر أن يكون ذلك بعد الانصراف عن المسجد فيما سواه من المنازل

وما روى ان عليا رضى الله عنه كان يصلى بعد الجمعة ركعتين واربعاً
فمحمول على انه كان يقدم الأربع لأنها ليست من شكل الجمعة ثم يصلى الركعتين
توفيقاً بين الاحاديث فانه صبح عن ابي عبد الرحمن السلمى انه قال قدم علينا
عبد الله بن مسعود وكان يصلى بعد الجمعة اربعاً - والوا ولا تفيد الترتيب فان
العرب قد تذكر الشيعتين فتقدم بالذكر منهما ما كان مؤخرافى الفل وفى
التنزيل (يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى) وقوله تعالى (من بعد وصية
يوصى بها اودين) وكان من سننه صلى الله عليه وسلم فيمن صلى صلاة من الخمس
ثم اراد ان يتطوع بعدها فى المسجد الذى صلى فيه ان لا يفعل حتى يتقدم
او يتكلم .

فى خطبة العيد

روى عن عبد الله بن السائب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
العيد فلما صلى قال انا نخطب فمن احب ان يجلس لا يخطب فليجلس ومن احب
ان يرجع فليرجع .

فيه اعلام بالفرق بين خطبة الجمعة والعيد فان الأولى موعظة قال
تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فلما كان هو مأموراً
بالموعظة كان الجماعة مأمورين بالاستماع اليها والانصات لها ولهذا جعلت الصلاة
مضمنة بها لا تجوز إلا بعد تقدمها عليها وخطبة العيد ليست كذلك انما هى تعليم
لوجوب صدقة الفطو ووقت اخراجها وعلى من يجب ولمن يجب ومم يجب
وكذا عيد الاضحى تعليم بما يحزى فيها وبوقتها وما اشبه ذلك مما يستغنى عنه
كثير من الناس اما لعلمهم به او لعدم الوجوب عليهم فهذا وجه الفرق ألا ترى
ان خطب الحج التى هى لتعليم امر الحج لا اختلاف بين اهل العلم فى سعة التخلف
عنها وترك الاستماع اليها .

فى تكبير الطريق الى المصلى

عن الحسن بن علي رضى الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان نلبس احسن ما نجد وأن نضحى بأحسن ما نجد البقرة عن سبعة والجزور عن عشرة وأن نظهر التكبير وعلينا السكينة والوقار .

فيه الأمر باظهار التكبير في العيد مطلقا وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه أتى يوم الأضحى يبلغلته فركبها فلم يزل يكبر حتى الجبابة - وعن ابن عمر رضي الله عنه انه كان يخرج يوم الفطر ويوم الأضحى فيكبر ويرفع • بذلك صوته حتى يحىء المصلى ولا يخرج حتى تطلع الشمس - وعن ابي قتادة رضي الله عنه انه كان يكبر يوم العيد حتى يبلغ المصلى - وعن ابن الزبير انه خرج يوم العيد فلم يركبهم يكبرون فقال ما لهم لا يكبرون اما والله لأن فعلوا ذلك لقد رأيتنا في عسكر ما يرى طرفاه فيكبر فيكبر الذي يليه حتى يرتج العسكر وان بينكم وبينهم كما بين الارض السفلى الى سماء الدنيا .

١٠ في هذا الحديث عن ابن الزبير في التكبير في الطريق الى المصلى كما في حديث علي وابن عمر وابي قتادة رضي الله عنهم فدل ذلك على الحال التي يكون فيها التكبير المأمور باظهاره في حديث الحسن المذكور واما قول ابن عباس حين سمع الناس يكبرون ما شان الناس أيكبر الامام ؟ فقل لا فقال أجماع الناس ؟
يحتمل ان يكون انكاره تكبير من في المصلى وليس لهم الا ان يكبر الامام •
فهذا من احسن محامله .

وما روى عن النخعي انه سئل عن التكبير يوم الفطر فقال انما يفعله الحواكون فاستاده غير متصل به لان علي بن حنظل رواه عنه ولم يلقه ولا سمع منه وقد روى عن زيد بن اسلم في (ولتكلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) قال التكبير يوم الفطر - وروى عن عطاء انه سنة فيجب التمسك به وترك خلافه .

في اجتماع عيدين

عن اياس بن رملة قال سمعت معاوية يسأل زيد بن ارقم هل شهدت

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا في يوم واحد ؟ فقال نعم قال فكيف صنع ؟ قال صلى ثم رخص في الجمعة فقال من شاء ان يصلي فليصل .

وفي حديث آخر رخص في الجمعة من شاء ان يجلس فليجلس استعظم بعض رخصة ترك الجمعة وقد قال تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) ولكن المرخصون اهل العوالي الذي منازلمهم خارجة عن المدينة من ايسر عليهم .
 ٥ جمعة لأنهم في غير مصر - وعن علي رضي الله عنه لاجمة ولا تشرى الا في مصر جامع ، ويتحقق انه لم يقله رأيا بل توقيفا فلا استبعاد حيثئذ ثم قيل اهل العوالي كان لهم التخلف عن الجمعة وعن الأعياد وكانوا اذا حضروا الأمصار لصلاة العيد كانوا بموضع على اهل حضور صلاة الجمعة فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس عليهم ان يقيموا به حتى يدخل وقت الجمعة فيجب عليهم الجمعة كما تجب على اهل ذلك الموضع وجعل لهم ان يقيموا به اختيارا حتى يصلوا فيه الجمعة او ينصرفوا عنه الى اماكنهم التي لا تجب عليهم الجمعة فيها .

١٠ وعن ابي هريرة رضي الله عنه اجتمع عيدان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم فقال ايما شئتم اجزأكم - فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بذلك قبل يوم العيد ليفعلوه في يوم العيد .

وقد روى هذا الحديث بالفاظ ادل على هذا المعنى من الحديث وهو ما روى عن ذكر ان قال اجتمع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عيدان فقال انكم قد أصبتم خيرا وذكروا انا مجمعون فمن شاء ان يجمع فليجمع ومن شاء أن يرجع فليرجع ، ففيه ما يكشف عن المعنى الذي ذكرنا اولاً وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه كان أمر اهل العوالي بمثل ذلك في يوم اجتمع فيه عيدان في خلافته .

روى عن ابي عبيد قال شهدت العيد مع عثمان في يوم جمعة فجاء فصلي ثم انصرف فخطب فقال انه قد اجتمع لكم عيدان في يومكم هذا فمن احب من اهل العالية ان ينتظر الجمعة فلينتظرها ومن احب ان يرجع فقد أذنت له -

وهذا

وهذا يؤيد ما حملنا عليه .

في صلاة السكران

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اقيمت الصلاة ينادى ، لا يقرب من الصلاة سكران ، فيه انهم نهوا وفيهم بقية عقل يعلمون به ما نهوا عنه فالسكران ليس هو الذي لا يعقل .
- الارض من السماء ولا المرأة من الرجل كما كان ابو حنيفة يقول ذلك ولكنه يخلط من اجل السكر الذي صار من اهله كما قاله ابو يوسف يدل عليه قوله تعالى (لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) نزلت فيمن خلط في صلاته وقد شرب الخمر قبل تحريمها وكذا ما روى من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن ماعز لما اعترف بالزنا بقوله هل تذكر من عقله شيئا ؟ فقالوا ما نرى به بأسا ولا نذكر من عقله شيئا . ولم يخص شيئا عما ينكر فيه من عقله من سكر ومن غيره دال انه اذا اذكر من عقله شيء خرج بذلك من احكام من يقبل اقراره الى من سواهم ممن لا يقبل اقراره كالجنون وروى انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماعز ابيه جنون ؟ فقال لا فسا له ا شربت خمر ؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد فيه ريح خمر فقال صلى الله عليه وسلم ائيب انت ؟ فقال نعم فامر به فرجم . ففيه ان السكر يمنع اقراره بالزنا في وجوب الحد عليه وان السكر الذي معه التخليط الذي لا يملكه من نفسه داخل في احكام من معه التخليط بالجنون وروى عن عثمان رضي الله عنه انه قال ليس للجنون ولا للسكران طلاق .

- وما روى عن معاوية انه قال كل طلاق جائز الاطلاق المعتوه وعن علي من طلق اجزنا طلاقه الا طلاق المعتوه ليس بخلاف لما روى عن عثمان رضي الله عنه لأن امته قد يكون من الجنون وقد يكون من السكر كما يكون من الجنون ولا وجه لمن فرق بأن السكران ادخل على نفسه السكر بفعله بخلاف

المجنون لأفأرأنا أن احكام الجنون لا تختلف باختلاف اسبابه فقد يكون سبب جنونه مباشرة فعل اداه اليه كتناول شيء يذهب عقله وقد يكون بسبب لادخل له فيه ولا فرق في سقوط الفرض عنه وارتفاع العمد في جنايته حتى تكون الدية على عاقلته في الصورتين فكذلك المراعى في ذهاب عقول الأصحاء ذهاب عقولهم لا الاسباب التي ذهبت من اجلها فالعلة في السكر ان ذهاب عقله لا السبب الذي به ذهاب عقله فيكون في حكم من لا عقل له بالجنون وغيره ومثله العاجز عن القيام يصلى جالسا سواء كان معجزه بفعله بأن كسر ساق نفسه او بجناية غيره او بآفة سبابة في انه لا إعادة عليه وكذلك السكران كالمجنون الذي لم يدخل الجنون على نفسه في طلاقه واقواله وافعاله خلا فالأبي حنيفة واصحابه والشافعي وقال مالك لو علم انه لم يكن يعقل ما اجزت طلاقه لكنه يلزمه ان لا يطلق بالشك لأن ما علم يقينا لا يرتفع الايقين مثله وكذلك فرائض الله تعالى في عباداتهم كلها وفيما سواها وهو القول عندنا الذي لا يجوز خلافه ولا يسه ذاهم ان يتقلد غيره .

في ترك الصلوات

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفا فأحققهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ولم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء ادخله الجنة فيه ان تارك الصلاة غير مرتد ولا مشرك لأن الله تعالى لا يغفر لمشرك ولا يدخله الجنة (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) وماروى بين العبد وبين الكفر او قال الشرك ترك الصلاة واكثر الرواة بين الكفر ليس المراد الكفر بالله بل تنطية ايمان تارك الصلاة وستره قال لبيد (في ليلة كفر النجوم نعمامها) يعنى غطى نعمامها النجوم ومنه (اعجب الكفار نباته) يعنى الزراع المغيبيون بذرهم في الارض ومنه ، ورأيت اكثر اهلها النساء ، قالوا لم يارسول الله ؟ قال

بكفرهن

بكفرهن قالوا أ يكفرون بالله؟ قال يكفرون العشير ويكفرون الاحسان ومنه
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، لم يكن ذلك على الكفر بالله ولكنه على ما عطي
ايمانه بقييح فعله .

- وقد اختلف اهل العلم في تارك الصلاة بفعله بعضهم مرتد او يستتاب
فان تاب وإلا قتل - منهم الشافعي وبعضهم جعله من فاسق المسلمين اهل الكبار ٥
منهم ابو حنيفة واصحابه - والنظر الصحيح يؤيده لأن الصلاة فرض موقت
كالصيام مفروض في وقت بعينه ثم تارك الصوم الفرض غير جاحد لفرضه عليه
ليس بكافر ولا مرتد كان مثله من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها لا يخرج عن
الاسلام ولهذا تأمره ان يصلي ولو كان كافر الأمرناه بالاسلام اذ لا يؤمر كافر
بالصلاة حتى يسلم كيف وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المفطر عمدا في ١٠
نهار رمضان بالكفارة وفيها الصيام والصوم لا يصح الا من المسلم - وايضا
لما كان الرجل بالاقرار مسلما قبل ان يأتي الصلاة الصيام كذلك يكون
كافرا بمجرد ذلك لا بتركه ايضا - بغير جحد منه له ولا يكون كافرا
الابتراك ما كان به مسلما - لا يقال قوله عليه الصلاة والسلام ، من لم يحافظ على
الصلوات الخمس كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي صاحب ١٥
العظام ، يدل على كفر تاركه كفر القوم الذين ذكره معهم لأن جهنم
دار العذاب يجمع الكافرين والمنافقين والعاصين من المسلمين قال
تعالى (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسهلون سعيرا)

في الصلاة بغير طهارة

٢٠

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امر بعبد من عباد الله
ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسئل ويدعو حتى صارت جلدة
واحدة بجلد جلدة واحدة فامتلاء عليه قبره نارا فلما ارتفع عنه افاق قال علام

جلد تمونی؟ قال انك صليت بغير ظهور ومرت على مظلوم فلم تنصره . فيه ما يدل على انه لم يكن كافرا بترك الصلاة حتى نخرج وقتها لأنه لو كان كافرا لكان دعاؤه داخل في قوله (ومادعاء الكافرين الا في ضلال) .

في ترك الجمعة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر ولا علة طبع الله على قلبه - فقيه انه بتركه لم يصركافرا اول مرة ويدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وهو على اعواد المنبر لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم او ليكونن من الغافلين ثم التقييد بثلاث مرات على عادة لطف الله ورحمته في تأنيبه به ثلاثا يرجع اليها ويتوب فلا يطبع على قلبه او يعمى في تركها ثلاثا فيطبع على قلبه وان كان قد استحق العقاب بتركها اياها مرة وكذا المراد من قوله صلى الله عليه وسلم لقد همت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم آمر رجال لا يشهدون الصلاة ان يشعل عليهم بيوتهم نارا .

رواه عبدالله بن مسعود صلاة الجمعة بدليل ما روى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . ففسر القدهمت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم احرق على رجال بيوتهم يتخلفون عن الجمعة ولأن الله تعالى بين فرض صلاة الجمعة بقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) ودل انه السعى الى الصلاة بقواه تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا) فأطلق بعد الصلاة ما كان حظره عليهم قبلها من البيع ولانه لا يسقط الفرض فيه عن احد بفعل غيره بخلاف غسل الموتى والصلاة عليهم ودفعهم فلذا لحق الوعيد المتخلفين عنها ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لم عاقبهم على التخلف باحراق بيوتهم نكالا لهم ويحتمل ان يكون ذلك في وقت كانت العقوبات على الذنوب في الأموال كما في اول الاسلام ثم نسخت من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في مائتي الزكوة ، فانا آخذوها وشرط ما له

غرامة من غرامات ربنا ، وقوله في حريصة الجليل ان فيها غرم مثلها وجلدات نكال والاجماع على نسخ ذلك واشكائه وردت العقوبات على ترك ما يفعل من الواجبات وفعل المحرمات الى الأبد ان فقط .

في فوت العصر

- ٥ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الذي تفوته صلاة العصر كإنما وتراهله وماله معناه كإنما نقص ما له وأهله ومنه (وإن يترككم أعمالكم) أي لن ينقصكم وفيه أيضا ما يدل على انه لم يكن بذلك كافرا لأن ما نقصه بذهاب إيمانه لو كان كافرا أكثر مما نقصه بذهاب أهله وماله فكانت القصر الى ذكر ذلك لكونه أكثر وعيدا أولى .
- ١٠ ثم اعلم ان في مذهب المعتزلة يصير تارك الصلاة كافرا حقيقة لأن الإيمان في الشريعة فعل جميع فرائض الدين وترك جميع المحظورات فان الإيمان قد نقل عن مقتضى اللغة الى ذلك وأما من سواهم من القائلين بقتله فليس نفس الترك عندهم كفرا حقيقة وإنما عومل به معاملة الكفار في القتل وعدم توريث ورثته المسلمين منه فهو كافر حكما لا حقيقة ومنهم من قال انه يقتل حد اقبورث ورثته من المسلمين وهو المختار عندهم فيمن ترك عمدا ١٥ دون عذر ولا علة ولا جحد فان جحد فهو كافر اجماعا .

في التخلف عن الجماعة

- روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لقد همت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن بها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم اخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي ٢٠ نفسي بيده لو يعلم احدكم انه يجد عظيما سمينا او مرمايتين حسنتين لشهد العشاء .
- وخرج من طرق الصلاة المسكوت عنها هي صلاة العشاء الآخرة والله اعلم بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم انه أخر العشاء الآخرة حتى كان ثلث الليل او قربه ثم دار في الناس وقد رهم عشرون فغضب غضبا شديدا ثم قال، لو أن رجلا ندب الناس الى عرق او امر ما تبين لأجابه واهم يتخلفون عن هذه الصلاة لهممت ان آمر رجلا فيصلي بالناس ثم اتخلف على اهل هذه الدور الذين يتخلفون عن هذه الصلاة فأمر بها عليهم بالنيران .

١٠ فان قيل كيف كان هذا الوعيد من الرسول صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجماعة وهي في سائر الصلوات فرض كفاية بقيام البعض يسقط عن الباقيين ؟ قلنا كان هذا قبل سقوط الفرض عنهم فكلهم بعد ما مورون بالاجتماع مأخوذون به حتى تقام الصلاة وتؤدي كما ينبغي . وما يحققه ما روى عن ابن ام مكتوم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد فرأى في الناس رقة فقال، اني لأهم ان اجعل للناس اما ما ثم اخرج فلا اقدر على رجل يتخلف في بيته عن الصلاة الا حرقت عليه، فقلت يا رسول الله بيني وبين المسجد نخلا وشجر اوليس كل حين اقدر على قائد أفأصلي في بيتي ؟ فقال تسمع الاقامة ؟ قلت نعم قال فأتها .

١٥ وفي رواية أليس تسمع النداء فاذا سمعت النداء فامش الىه فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بما اجابه مع ما به من الضر كالرجل الذي لا يعرف الطريق فلا يسقط عنه بذلك حضور الجماعة فعلم بذلك انه واجب على المطيقين له وأن ذلك مما يخاطب به جميع اهل قبل سقوط فرضه بقيام البعض وكان الوعيد لما رأى في الناس رقة فلم تكن الجماعة التي حضرت لتلك الصلاة الجماعة المطلوبة لمثلها . وروى عن ابي الزبير قال سألت جابرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، اولا شيء لأمرت رجلا يصلي بالناس ثم لحرقته نيوفا على ما فيها، قال جابر انما قال ذلك من اجل رجل بلغه عنه شيء فقال، لن لم ينته لأحرقن بيته على ما فيه .

ولا ينكر محيي الوعيد عما لا اجل ما بلغه عن رجل واحد لأن دأبه

- صلى الله عليه وسلم على ما جبل عليه من الخلق العظيم عدم مخاطبة من صدر منه حقوة وبلغته وكان اذا بلغه عن احد شيء يقول ما بال اقوام يقولون كذا ويفعلون كذا ولا يقول ما بال فلان لئلا يلحقه في ذلك ما يبغضه عند غيره بل يحصل الانزجار عما كان منه بوقوفه ودخوله في العموم - روى عن عائشة رضي الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا رخص فيه فتركه قوم فباغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب فقال ما بال اقوام يتزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني اعلمهم بالله واشدهم له خشية ولا يستبعد اضافة ما كان من الواحد الى الجماعة لانه جاء بمثله القرآن وهو قوله تعالى (يقولون لن رجعا الى المدينة ليخرجن الاعتر منها الأذل) .
- واما قاله عبد الله بن أبي فان زيد بن ارقم شك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره انه سمع عبد الله يقول في غزوة بني المصطلق (لن رجعا) الى قوله (الأذل) فجاء عبد الله فاعتذر وحلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبت الانصار زيد فا نزل الله تعالى (يقولون) الآية تصديقا لقول زيد فدعا زيد بن ارقم وهو في منزله فأخذه وقال هذا الذي اوفى الله باذنه يقول بما سمع فأضاف الله تعالى القول الى الجماعة وان كان المتكلم واحدا اذ كانوا لم يردوه عليه وكذا الذي تخلف في بيته قد وقف عليه بعض جيرانه فلم ينكروا عليه ما كان منه فكانوا مثله وان كانوا لم يتخلفوا بأنفسهم فلذلك عمهم جميعا بالوعيد في الحديث الذي ذكرناه .

في فضيلة الجماعة

- عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ٢٠ صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا انه قال صلاة الجماعة افضل من صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا - والمعنى ان الله تعالى جعل

لصلاة الجماعة من الفضل اولا على صلاة الفذ خمسا وعشرين ثم زاد الله في فضلها جزئين آخرين فضلا منه ورحمة - وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارايت لو كان بقاء احدكم نهر يجري فيقتسل منه كل يوم خمس مرار ما كان مبقيا من ذرته؟ قالوا لا شيء قال فان الصلوات تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ، تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم نحو الذنوب بالصلوات بفصل الماء الدرن يدل على استعمال تشبيه الاشياء بغيرها من امثالها ومن ذلك تضمين المتلفات بامثالها ان كان لها مثل وبقيمتها ان لم يكن لها مثل واستعمال تشبيهها باجناسها من الاشياء التي هي منها .

في صون المساجد

- ١٠ عن انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول والعذرة وانما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن - ولا يقال انه صبح انه اعتكف وضرب له خباء فيه وأخيمه لمن اعتكف معه من نسائه وفي ذلك استعماله لغير ما ذكر لأن الاعتكاف سبب لذكر الله على الدوام فيكون داخل فيها ذكر والاعتكاف محتاج الى ما يكتنه من الحر والبرد والأخيمه كانت تحجب امهات المؤمنين عن الناس وتهيئ لهن ما يحتجن اليه مما لا بد لهن من طعام وشراب ولم يكن ما فعل بقاطع للناس عن الصلاة في بقية المسجد وما روى من ضرب قبة في المسجد لسعد بن معاذ يحتمل ان يكون اراد بذلك صلى الله عليه وسلم زيادة فضل لسعد بأن لا ينقطع عن الصلاة في مسجده بما احابه مع قربه من عيادته ١٥
- ٢٠ والوقوف على احواله وفي ذلك ايضا موافقة الحديث الاول .

فيمن نام حتى اصبح

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذي ينام من اول الليل الى آخره قال ذلك الذي بال الشيطان في اذنه

وروى

وروى عنه ذكر ت عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قلت ان فلانا نام الليلة حتى اصبح ولم يصل فقال ذلك رجل بال الشيطان في اذنه او اذنيه - وسبب بول الشيطان في اذنه هو تضييع فرض العشاء وفعل مكروه النوم قبلها ومخافة ربه واطاعة شيطانه وهو كناية عن ما اتقى في اذنه من ثقل النوم والعرب تسمى ذلك ضربا على اذن ومنه قول الله تعالى (فضربنا على آذانهم في الكهف) واضيف الفعل هنا الى الشيطان لأنه مما يرضاه كقوله صلى الله عليه وسلم ، يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، الحديث لا يريد بذلك حقيقة العقد التي يعقد ها بنو آدم وانما هو على الاستعارة لأن العقد التي يعقد ها ابن آدم تمنع من يعقد ونها عليه من التصرف فيما يحاول التصرف فيه فكان مثله ما يفعل الشيطان بالنائم يمنع النائم من قيامه الى ما ينبغي ان يقوم اليه من ذكر الله والصلاة ومغنى بال اى فعل به اتبع ما يفعل بالنوام .

في الراحة بالصلاة

عن عبد الله عن محمد ابن الحنفية قال دخلت مع ابي على صهر لنا من الانصار لحضرت الصلاة فقال يا جارية اثبتني بوضوء لعل اتوضأ فاستريح فكأنه رآنا انكرنا ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قم يا بلال فارحنا بالصلاة ، لا يتوهم ان فيه طلب الراحة من الصلاة وانما فيه ان يراح بالصلاة من غيرها اذا للصلاة قرة عينه فأمر أن يراح بها مما ليس بمنزلتها اذ لا شيء عنده صلى الله عليه وسلم مثلها يشتغل به عنها .

في الصلاة الوسطى ،

عن عائشة وحفصة رضی الله عنهما كل واحدة منهما امرت كاتب المصحف لها ان يزيد فيه وصلاة العصر عند قنائه تعالى (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) وذكرت انها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فيه انه نسخ من القرآن وأعيد الى السنة والدليل عليه ما روى عن البراء بن

عازب رضى الله عنه قال نزلت (حافظوا على الصلوات وصلوة العصر) قراتها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخ فأزول (حافظوا على
الصلوات والصلوة الوسطى) وكذلك كل ما روى من القرآن ولا نجد في
مصحفنا فهو مما كان قرأنا ونسخ فأخرج من القرآن وأعيد الى السنة فصار
منها - قال القاضي فيحتمل انهما امرتا الكاتب لأنهما لم تعلميا نسخ ذلك أو امرتا
بالكتابة على انه سنة لا على انه قرآن والله اعلم .

في حمل المصلى صغيرة

عن عمرو بن سليم عن ابي قتادة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصلى وهو حامل امانة ابنة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا قام حملها واذا سجد وضعها وله طرق كثيرة في بعضها سمعت ابا قتادة
يقول بينما نحن جلوس في المسجد ننتظر الصلاة فخرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عاتقه ابنة ابنته امانة ابنة ابي العاص وامها زينب فكبر وهي على
عاتقه فلما ركع وضعها بالارض فلما قام اعادها على عاتقه حتى قضى صلاته وهو
يفعل ذلك .

فيه جواز مثل هذا الحمل والوضع لأتمه ايضا ولكن باجماع الفقهاء
لا يجوز فعله واهل العلم لا يجمعون على خلاف ما فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا بعد ثبوت نسخ ذلك لأنهم مأمونون على ما فعلوا كما كانوا مأمونين
على ما رويوا وقد كانت اشياء فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته
لا يصلح للناس فعلها في صلاتهم فن ذلك مده يده لأخذ العنقود الذي رآه من
الجنة وهو يصلى وما كان منه في ابليس وهو يصلى على ما روى ابو الدرداء انه
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فسمعناه يقول اعوذ بالله منك ثم قال ألعنك
بلعن الله عز وجل ثلاثا ثم بسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ قالوا يا رسول الله
سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك وبسطت يدك فقال ان

عد والله ابليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي، الحديث ولا خلاف بين اهل العلم انه لا ينبغي للصلي ان يفعل مثل هذا في صلاته فقلنا ان هذه الاشياء من الأقوال والأفعال كانت مباحة ثم نسخت يؤيده ما روى عن جابر رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى قوما يصلون وقد رفعوا أيديهم فقال مالي اراكم ترفعون ايديكم كأنها اذ ناب خيل شمس .
اسكنوا في صلاتكم .

وأبين من ذلك ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نكلم في الصلاة حتى نزلت (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت والقنوت هو الخشوع والإقبال على ما فيه القانت غير متشاغل عنه بغيره من فعل أو قول ولذلك جرى عليه عمل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي قد أخبر ان الله تعالى لن يجمعهم على ضلالة وفيما ذكرنا من هذا كفاية .

في تشبيك الاصابع

عن أبي ثمامة لقيت كعب بن عجرة وأثاريد الجمعة وقد شبكت بين اصابعي ففرق بينها وقال انا نهينا ان يشبك احدانا اصابعه في الصلاة قلت اني لست في الصلاة قال ألست قد توضأت وأنت تريد الجمعة؟ قال قات بلى قال فأنت في صلاة .

وعن كعب بن عجرة قال صلى الله عليه وسلم لا ي تطهر رجل في بيته يريد الصلاة الا كان في صلاة حتى يقضى صلاته فلا يخاف بين اصابع يديه في الصلاة وروى عنه ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توضأ احدكم وخرج يريد المسجد فهو في صلاة ما لم يشبك بين اصابعه - وروى عنه قال يا كعب ابن عجرة اذا توضأت فأحسن الوضوء ثم خرجت الى الصلاة فلا تشبك بين اصابعك فانك في صلاة وروى عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبك بين اصابعه في المسجد فليتوضأ .

ففي هذه الآثارا انتهى عن تشبيك الاصابع في طريقه الى الصلاة ففهم بذلك ان مرید الصلاة في حكم من هو فيها الا ما اباح الله تعالى له من انطق ومن المشي اليها دون ان يتجاوز ذلك الى السعي يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اذا ثوب بالصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتوا والأمر بالسكينة في الآيات الى الصلاة هو معنى ما في حديث كعب من انتهى عن التشبيك في حال الارادة لها كانهي لمن قد دخل فيها.

في انتظار الامام من يجيء بعد شروعه فيها

روى عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه وفيمن تنتحنج له وهو يصلي فانتظر المنتحنج ان صلاته فاسدة قال واخشى عليه اى بأن يكون قد عمل بعض صلاته لغير الله فيكون بذلك كافرا وقد وجدنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدفع هذا القول وهو ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه سمع صوت صبي وهو في الصلاة تخفف .

فان قيل لاجحة فيه لانه من كلام ابى هريرة بناء على ظنه ان التخفيف كان من اجله يؤيده قول انس سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاء صبي وهو في الصلاة فظننا انه خفف رحمة لبكاء الصبي اذ علم ان امه معه في الصلاة - قلنا روى عبد الله ابن شداد بن الهاد عن ابيه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى ضلالي العشي وهو حامل احد ابنيه الحسن او الحسين فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع الغلام عند قدمه اليمنى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة اطاها قال ابى فرغت رأسى بين الناس فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد واذا الغلام راكب ظهره فعدت وسجدت فلما صلى قالوا يا رسول الله انك قد سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة اطلتها أشئ امرت به ام كان يوحى اليك ؟ قال كل ذلك لم يكن ولكن ابني اذ تحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته منى فلم يكن

انتظاره

انتظاره ابنه حتى يقضى حاجته منه مفسد أصلاته ولا يخرج جاله عنها فدل أن مثل هذا
 حاجة دعت أو لضرورة حلت غير مفسد ولا مكروه من المصل وكيف يفسدها
 وهو أخف من قتل الحية والعقرب في الصلاة وقد اطلق ذلك للمصل فمثل ذلك
 من انتظار غيره ليدخل فيها وليدرك من فضلها ما قد طلبه من اتيانها والحق أن
 عند أبي حنيفة يكره هذا الفعل ولا يفسد لأن غيره ممن سبقه إليها أولى بأن يفعل
 معه ما يتبع فيه إمامه ممن قصر من اتيانها وإبطاء فيه وهو مذهب مالك ومعنى
 قول الشافعي واستعمال ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وجهه على
 ما لا زيادة فيه من التنجس له تضر من خلفه في صلاته التي قد سبق إليها وتحرم
 بها وتقول لا بأس بفعل ذلك إذا كان لا ضرر فيه على المصلين معه ولا يكون
 بفعله يسمى متشاغلا بخلاف صلاته ويكون في إصلاحه إصلاح صلاة غيره كما
 يكون في إصلاحه إياها لنفسه من التقدم من صف إلى صف ليسد الخلل الذي
 فيه - روى عن خيمثة بن عبد الرحمن أنه قال صليت إلى جنب ابن عمر فرأى في
 الصف خلا فجعل يغمز في أن اتقدم ويمعنى من التقدم الضن بمكانى إذا جلس
 أن ابعد منه فلما رأى ذلك تقدم هو فاذا كان هذا مباحا للمصل في أمر نفسه كان
 مباحا منه لغيره مما يكون في فعله إصلاح لصلاته .

١٥

في البداءة بالعشاء قبل العشاء

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة
 فابدؤا بالعشاء - هذا مخصوص بالصائم دون من سواه، روى ابن شهاب عن
 أنس سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أقيمت الصلاة
 وأحدكم صائم فليبدأ بالعشاء قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشاءكم .

٢٠

دل هذا على أن المقصود من مخاطبين الصوم وقال الشافعي رحمه الله
 هذا ترخيص عام في التخلف عن الجماعة لكل ذي حاجة كالخائف يحتاج إلى

تجد يد وضوء وقد أقيمت الصلاة فیرخص فی ترك الجماعة وتجدید الوضوء لأن صلاة من يدافع الأخيئين منهي عنها وكذا حضور العشاء لمن له توقان الى الطعام يشغله عن الاقبال اليها ويحمله على العجلة عن الاكمال صائماً كان او غيره قال صلى الله عليه وسلم لا يصليين احدكم بحضرة الطعام ولا وهويدا فعه الأخيئان القاطط والبول .

قال القاضي فالحق ان الأمر بالابتداء بالعشاء ليس على اطلائه وانما معناه عند حاجته الى الطعام صائماً كان او غير صائم لكن طعامهم ما كان على مقدار طعامنا اليوم في الكثرة بل على القصد والقناعة بما فيه البلغة فيبتدئ المحتاج بقدر ما يدفع توقانه ويتفرغ قلبه للاقبال على صلاته واتمامها .

كتاب الجنائز

في توجيه المحتضر القبلة

عن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا سيدنا جد بن قيس قال بم سودتموه؟ قال بأنه اكثرنا مالا وأنا على ذلك لنذاره بالبخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي داء ادوا من البخل؟ ليس ذلك سيدكم؟ قالوا فن سيدنا يا رسول الله؟ قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور اول من استقبل القبلة حياً وعند حضور وفاته قبل ان يوجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله فأمره ان يستقبل بيت المقدس وهو بمكة فأطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حضرته الوفاة فأمر اهله ان يوجهوه قبل المسجد الحرام ورسول الله يومئذ بمكة - قال ابو حنيفة واصحابه يستقبل المحتضر القبلة على جنبه كما في لحده لانه سبب من اسباب الموت فيعطى له حكه ولا حجة لمن قال يستقبل عند الموت كما يستقبل للصلاة استدلالاً بفعل البراء فانه اول من استقبل القبلة حياً وعند حضور وفاته وتناهى ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره اذ ذكر استقباله القبلة للصلاة وعند الموت

ذكر او احدا فكان ذلك دليلا على استواء كفيتهما لأنه يجوز أن يذكر في الحديث استقباله القبلة في الشيئين المذكورين لاستقباله فيهما القبلة وإن اختلف كفيتهما في ذلك .

في التكفين

عن خباب بن الأرت هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نبتني وجهه الله عز وجل فوجب اجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا وكان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يترك إلا نمرة فكنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجله بدأ رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا رأسه واجعلوا على رجله من الأذخر ومنا من ابتعت له ثمرة فهو يهد بها .

وعن ابن عباس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أحد أن يزرع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنوهم بدمائهم - فيه أن الكفن مقدم على الديون والوصايا والميراث وهو قول أهل العلم جميعا حاشا سعيد بن المسيب فإنه قال في أحد قولي أن الكفن من الثلث وهو محجوج بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفن الموتي في ثيابهم التي هي جميع أموالهم التي تركوها من غير سؤال عن دينهم ووصيتهم أو وراثتهم .

في الصلاة على المنافق

روى ابن عمر و ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على عبد الله بن أبي ابن سلول ، وفيما روى عن جابر ما دل أنه لم يصل عليه وهو الأشبه بأفعاله لأنه كان لا يصل على مديون لا وفاء له به ولا على من غل زجراله فالمنافق بذلك كان أحرى لما أخبر الله تعالى به من كفرهم روى أن عمر بن الخطاب قال له لما أتى ليصل عليه أتصل عليه وقد نهاك الله عن الصلاة على المنافقين ، وهو أصح مما روى عنه أنه قال أتصل عليه وقد نهاك الله عن الصلاة عليه ؟ لأنه

محال ان يصل على من نهاء عن الصلاة عليه والله اعلم .

في الصلاة على المرجومة

- روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على الجاهنية التي رجمها باقرارها على نفسها بالزنا ولم يصل على ما عثر المرجوم باقراره ايضا والمعنى فيه ان من سنته الصلاة على المحمودين لا على المذمومين كالغالب وقاتل نفسه وما شبهها والجاهنية حذت لانها جادت لله بنفسها لا قامة الحد عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة اوسعتهم وهل وجدت افضل من ان جادت لله بنفسها ، جوايا لعمر او على حين قال له أتصلي عليها يا رسول الله وقد زنت ؟
- ١٠ واما ما عثر فلم يجد الله بنفسه وانما جاءه وهو يرى انه لا يفعل به ذلك دل عليه قوله لما وجد مس الحجارة صارخا يا قوم ردوني الى رسول الله فان قومي قتلوني وغروني من نفسي اخبروني ان رسول الله غير قاتلي فلم يزع عنه حتى قتل فهر وبه دل على رجوعه عن اقراره او اعراضه عن اقامة الحد عليه وهو مذموم في الحالين وما روى في حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هروبه قال له خير اولم يصل عليه فدل انه كان محمودا عنده معارض
- ١٥ بما روى ابو سعيد الخدري فسبقنا الى الحرية فاتبعناه فقام لنا فرميناه حتى سكت فلما استغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم ولا سبه ويحتمل ان الحمد له لم يكن الا بعد ان فات وقت الصلاة لمعنى حدث في امره من رحمة لحقته من الله وعلم بوحي اوحى اليه اورؤيا رآها دل عليه ما روى عن بريدة انهم لبشوا بعد رجم ما عثر يومين او ثلاثة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لما عثر فقالوا غفر الله لما عثر فقال لقد تاب توبة لو قسمت بين مائة او بين امة اوسعتهم - وما روى انه قال موصولا بانصر افهم من رحمة لا يصح لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجمه ثم كان هذا القول منه بعد وقوفه على حقيقة ما صار اليه من العقوبة .

في الصلاة على قاتل نفسه

عن جابر بن سمرة ان رجلا نحر نفسه بمشاقص فلم يصل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، هذه مسئلة اختلف اهل العلم فيها فطائفة ذهبوا الى جواز الصلاة عليه منهم ابراهيم النخعي وابو حنيفة واصحابه وطائفة منعوها عليه محتجين بهذا الحديث فوجدنا ترك الصلاة عليه انما كان من النبي صلى الله عليه وسلم لامن الناس جميعا فيحتمل ان ما كان منه من الامتناع من الصلاة عليه لان صلاته رحمة على من يصل عليه وقد كان حيل بينه وبين الجنة بما كان من ذلك المقتول وصل عليه غيره ممن ليست صلاته في هذا المعنى كصلاته صلى الله عليه وسلم كما فعل بالذي غل بخيبر والذي مات وعليه الدين اذ كان من شريعته ان لا يصل على المذمومين من امته - قال القاضي انما ترك الصلاة عليهم اذ بالهم وزجرا لمن سواهم عن مثل احوالهم لا يأسا من قبول رحمة الله لهم .

في الصلاة على النجاشي

روى عن عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه قال ونحن نرى ان الجنازة قد اتت فصفقنا فصلينا عليه وانما مات بالحبشة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة ، فيه انه حمل الى المدينة بلطيف قدرة الله تعالى في اليوم الذي مات فيه بناء على ظن الصحابة في امره فصلوا عليه كما يصل على من مات بالمدينة عندهم فاندفع به احتجاج من اطلق الصلاة على الميت الغائب وكان هذا من لطيف القدرة كما كان لنبيه صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس اذ كذبه قريش حين اخبرهم انه اسرى به اليه ، روى عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن امرى فساووى عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها ففكرت كروبا ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى الى انظر اليه فساوونى عن شىء الا انبأهم به - لا يقال حديث عمران محال لأن

فيه اتيان الجنائز وصلاته عليه كان حين دخل المدينة والجنائز لا اتيان لها والنجاشي لا دخول له لأن هذا ونحوه قد يذكر به الأموات كما يذكر به الأحياء يقال حضرت الجنائز بمعنى حضرت وقال تعالى (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا) الآية اضاف الاتيان الى البأس وقال (ياتيها رزقها رغدا من كل مكان) الآية وانما كان اتيان الرزق باتيان من يأتي به اليها فلا استحالة في الحديث ولا حجة فيه لمن يرى الصلاة على القائب وابو حنيفة ومالك واصحابه ممن لا يرونها على الميت القائب .

في الصلاة على القبر

روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قبر بعد ثلاث ، من مات ولم يصل عليه ذهب ابو حنيفة واصحابه الى انه يصلى على قبره الى ثلاثة ايام ولا يتجاوز الى ما هو اكثر منها لأن الميت بعدها يخرج من حال من يصلى عليه لكن الحديث يدفع ذلك (١) مع ان قولهم توقيف والتوقيف لا يؤخذ الا بالتوقيف وقد رأينا غير واحد يخرجون من قبورهم بعد مدة طويلة وهم على حال تجوز الصلاة عليهم وقد وجدنا الفرق يخرجون بعد الايام التي تتجاوز هذا الوقت فيصلون عليهم فكذا غيرهم ما كانت ابدانهم موجودة غير مفقودة بفنائها اما يبلاء او غيره يصلى عليهم .

في الدعاء على الميت

روى من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الميت : اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا ، سؤال الغفران للاصاغر لأجل ما يعملونه في حال الكبر فيغفر لهم ذنوبهم قبل ان يعملوها ومثله في المعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر في

(١) فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم علم بالوحي انه لم يتغير والذي قاله ابو حنيفة هو الغالب والحكم للغالب - والله اعلم - ح .

قصة حاطب وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وروى عبد الله بن الحارث عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصلاة : اللهم اغفر لأحيائنا وامواتنا واصلح ذات بيننا والفرق بين قلوبنا اللهم عبدك فلان بن فلان ولا تعلم الا خيرا وانت اعلم به منا فاغفر لنا وله ، فقلت هـ وانا اصغر القوم فان لم تعلم خيرا قال فلا تقل الا ما تعلم - الحارث هذا هو ابو قتادة الانصاري وقد كشف معنى هذا الحديث بسؤاله وبما اجابه اذ لا يشك احد أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول ولا تعلم الا خيرا فيمن يعلم منه غير الخير - قال ميمون بن مهران اذا صليت على من تهمه فيكفى ان تقول (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) الآية واذا صليت على من تحب فاجتهد في الدعاء ١٠ اى من تحب لخيره ولا تتهمه في اعتقاده وهذا انما هو في اهل الأهواء الذين ما خرجوا بهوهم عن الاسلام وان كانوا مذمومين واما من كان على شيء من الأهواء مما يخرج به عن الاسلام فلا يصلى عليه .

في ثواب المصلى عليها

روى ابو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتي الجنائز عند اهلها فمشى معها حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدا حتى يدفن فله قيراطان مثل احد وروى ايضا من جاء جنازة فتبعها من اهلها حتى يصلى عليها فله قيراط وان مضى معها حتى تدفن فله قيراطان مثل احد مع ، ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان . ٢٠

اختلف في سبب استحقاق القيراط هل هو المشى معها او الصلاة عليها او التشيع واوراكبافى الحديث الاول ذكر المشى معها وفي الباقيين اغفال من رواها ومن حفظ شيئا كان حجة على من لم يحفظه ولا شك ان المشيع لها بالركوب معها حتى يصلى عليها ثوابه دون ثواب الماشى معها حتى يصلى عليها

لكن هذا في الراكب اختيارا واما الراكب لعجزه عن المشي فكالمشي معها
 فان قيل فهل جزء القيراط من الشيء الذي هو منه معلوم في شيء من
 الآثار؟ قيل له ما وجد لذلك ذكر في شيء روى عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم غير شيء من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 الدينار كنز والدرهم كنز والقيراط كنز قالوا يا رسول الله اما الدرهم
 والدينار فقد عرفناهما فما القيراط؟ قال نصف درهم نصف درهم، قال الطحاوي
 فكان ذلك مقدار القيراط من الشيء الذي هو منه وكان ذلك دليلا على ان
 الصرف الذي كانوا عليه مما هو عدل الدينار اثني عشر درهما على مذهب
 من يجعل الدية اثني عشر الفا واما من يجعل من الورق عشرة آلاف
 درهم فذلك على ان عدل الدينار من الدرهم كان عندهم عشرة دراهم وعلى
 ان القيراط التي جعلتها الدينار كانت عندهم عشرون قيراطا القيراط منها
 نصف درهم والله اعلم - فان قيل فهل وحدثم للشيء الذي القيراط منه ذكر
 مقداري شيء من الآثار؟ قيل له ما وجدنا ذلك والله اعلم وقد يجوز انه اخفى
 ذلك حتى يعلمه اهله اذا لقوه (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة عين) قال
 القاضي ابوالوليد فاذا علم مقدار القيراط مما هو منه وانه جزء من عشرين
 او من اربعة وعشرين وعلم مقدار القيراط بالنص انه مثل احد فقد علم مقدار
 الشيء الذي القيراط منه فيعلم قدر المثل به الخير في قوله تعالى (فمن يعمل
 مثقال ذرة خيرا يره) اذ مقدار الذرة ومقدار جبل احد معلوم عيانا ولا نعلم
 قدر وزنهما من الثواب الا يوم الجزاء والحساب هذا من تمثيل المعقول
 بالمحسوس ليفهم معناه لأن الثواب ليس بجسم يعبر بالوزن فعلقنا به ان الله تعالى
 يتفضل على من شهد جنازة من عند اهله وصلى عليها باضعاف ما يتفضل به على
 من عمل ادنى لغيره (١) من خير عدد ما في جبل احد من مثاقيل الذر .

(١) هكذا في الاصل ولعله شيء - ح .

في عدد من يشفع في الميـت

روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من رجل يموت فيصلى عليه امة من المسلمين يبلغون ان يكونوا مائة فيشفعون له الاشفعوا فيه ، ومن رواية ابي هريرة انه قال : من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له ، مع ما روى عنه من حديث ابن عباس انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الاشفعهم الله عز وجل فيه ، ليس هذا باختلاف وتعارض لانه يحتمل ان الله تعالى قد جاد بالغفران لمن صلى عليه مائة من المسلمين بشفا عتهم له ثم جاد بالغفران بشفا عة اربعين لحديث ابن عباس متأخر عن حديث عائشة وابي هريرة لأن الله تعالى لا يرجع فيما يجوده به .

في الصلاة على الشهيد

عن عقبة بن عامر الجهني قال آخر ما خطب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهداء احد ثم رقى على المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اني لكم فرط وانا عليكم شهيد - فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى احد بعد مقتلهم بثمان سنين فاحتمل ان يكون ذلك لانه لم يكن سنة الشهداء قبل ذلك الصلاة عليهم ثم صار سنة فصلى عليهم لذلك ، وما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوضع بين يديه يوم احد عشرة فيصلى عليهم وعلى حمزة ثم يرفع العشرة وحمزة موضوع ثم يوضع عشرة فيصلى عليهم وعلى حمزة معهم .

وما روى عنه ايضا قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بالقتلى بفعل يصلى عليهم فيوضع تسعة وحمزة فيكبر عليهم سبع تكبيرات ثم يرفعون ويترك حمزة ثم يجاء بتسعة فيكبر عليهم سبعا حتى فرغ منهم - قد خالفه جابر بن عبد الله وانس فروى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بدفن

قتل احد بد ما ثم لم يصل عليهم ولم يغسلوا - وعن انس ان شهداء احد لم يغسلوا ودفنوا بد ما ثم لم يصل عليهم ويجوز أن يكون لم يصل عليهم وقد صلى عليهم غيره بآمره .

في الصلاة على حمزة

روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم يوم احد
مر بحمزة وقد جدد ومثل به فقال لولا ان تجزع صفية لتركته حتى يحشره الله
من بطون الطير والسباع فكففته في غمرة اذا انحر رأسه بدت رجلاه واذا انحر
رجليه بدارأسه فحمر رأسه ولم يصل على احد من الشهداء غيره وقال
انا شهيد عليكم اليوم - ففيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل على احد
من الشهداء يوم احد غير حمزة ويجوز أن يكون ما فعل من الصلاة على حمزة
ومن ترك الصلاة على غيره بما شغله يومئذ مما نزل به في وجهه ومن هشم
البيضة على رأسه قال سهل كسرت البيضة على رأسه وكسرت رباعيته وجرح
وجهه فكانت فاطمة تغسله وعلى يسكب الماء بالحن فلما رأت فاطمة ان الماء
لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة حصير فأحرقتها والصقتها على جرحه فاستمسك
الدم وقال صلى الله عليه وسلم : كيف يفلح قوم شجوا وجه نبهم وكسروا رباعيته
وهو يدعوهم الى الله ، فأمر الله (ليس لك من الامر شيء) فاحتمل ان يكون
ترك الصلاة لما شغله عنهم غير حمزة فانه اختصه بالصلاة عليه لمكانه منه ولا يقال
لم يروا نس الصلاة على حمزة لأن زيادة الثقة حجة ولا يدفع ما في حديث عقبه
من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى احد ما ذكرنا قبل هذا من
ان الميت اذا قتل ببلاء حتى صار معدوما لا يصل على قبره لأن شهداء احد قد علم
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لم يفنوا بما أنزل الله عليه فيهم (ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) الآية فصل عليهم بذلك وقد روى في بقائهم على
حاله بعد مدد جابر بن عبد الله قال لما اراد معاوية ان يجري العين التي عند

قبور الشهداء بالمدينة امر مناديا فنادى: من كان له ميت فليأته ، قال جابر فذهبت الى ابي فأنحرجناهم وطابا فأصابنا المسحاة اصبع رجل منهم فاقطرت دما، فهكذا نقول من علم بقاء بدنه بعد مدة وان طالت في قبره جاز أن يصلى على قبره اذا لم يكن صلى عليه قبل دفنه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك واتباعه.

في اللحد والشق

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللحدانا والشق لغيرنا اولاهل الكتاب على ما روى عنه يحتمل تخصيص اللحدينا كون العرب لا تعرف غيره والشق لأهل الكتاب لانه الذى كانوا يستعملونه وكان انبياءهم على ذلك في ايامهم وقد أمر نبينا صلى الله عليه وعليهم بالاعتداء بهم الا فيما ورد نسخه ولم يرد ناسخ للشق فبقى اللحد والشق جميعا من سنن المسلمين غير أن اللحد اولاهما لأنه المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما يدل على اباحة الشق ما روى عن انس لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة رجل يلحد ورجل يضرح فقاوا نستخير ربنا عز وجل ونرسل اليهما فأيهما سبق تركناه فأرسل اليهما فسبق صاحب اللحد فلحد والرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ورد من توبه اللحد واولا تشقوا ، ليس النهى للكره بل ترك الأفضل والأخذ بما دونه . ١٥

في الحان المرأة

روى عن انس قال ماتت احدى بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل القبر احد قارف اهله الليلة فلم يدخل زوجها، هي ام كلثوم توفيت في سنة تسع من الهجرة والمقارفة قد تكون من المقارفة المذمومة وقد تكون من غيرها من الاصابة واستحال الثاني لأن اصابة الرجل اهله غير مذمومة فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم من كان يصح له دخول قبرها من ذوى محارمها انه جرى بينه وبين زوجته في تلك الليلة مقارفة من القول مذمومة فكره ان يتولى ادخال بنته في قبرها وما اراد أن يواجهه ٢٠

بذلك اذ كان دأبه ان لا يواجه احدا انما يكره انما كان يقول تعريضا جريا على مقتضى الاخلاق الكريمة التي جبل عليها وشرفه الله سبحانه بها وخصه بها على مراتبها كما قال صلى الله عليه وسلم ، ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله تعالى وما بال رجال يقول احدهم : قد طلقتك ، قد راجعتك ، وهذا احسن محامله - واما ما فيه من قول الراوى فلم يدخل زوجها يعنى قبرها فان ذلك حمله قوم على انه يحتمل انه كان بينه وبينها قبل وفاتها في تلك الليلة هذه المقارفة وهم الذين يذهبون الى ان للزوج غسل زوجته بعد وفاتها وادخلها قبرها ومذهبنا انه لا يغسلها لا تقطع ما كان بينهما في حياتها بوفاتها .

وروى انس قال شهدنا بئس الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس على قبرها فرأيت عينيه تدمعان فقال هل منكم احد لم يقارف اهله الليلة ؟ فقال ابو طلحة انا قال فانزل في قبرها وهذا مما يبعد لأن ابا طلحة لم يكن من محارمها اللهم الا ان يكون لم يحضر قبرها حينئذ من ذوى محارمها غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتاج الى معونته فأتسع له ما يتسع للأجنبي من ان يمعم الميتة من وراء ثيابها مكان غسلها عند الضرورة وزوجها كان عثمان بن عفان .

اقبار زينب ام المؤمنين

روى ان عمر بن الخطاب صلى على زينب رضى الله عنها بالمدينة فكبر عليها اربعا ثم ارسل الى ازواج النبي صلى الله عليه وعلمين وسلم من يامر ان يدخل في قبرها قال وكان يعجبه ان يكون هو الذى يلى ذلك فأرسل اليه انظر من كان يراها في حياتها فليكن هو الذى يدخلها القبر فقال عمر صدقت - وانما كان اعجبه ظنا منه ان ذلك جائز له اذ كانت اماله ثم استظهر بما عندهن اذ حكمن حكما واشكل عليه اذ ليست ام نسب ولا ام رضاع ولهذا لا تجوز رؤيتها ويجوز نكاح بنتها منه فالعلمه في ذلك بخلاف ما كان الأمر عنده عليه فرجع اليه ورآه الصواب ومن جعل ام حبيبة مكان زينب فقد اخطأ لأن

ام حبيبة بقيت بعد عمر دهر اطويلا وقد قال صلى الله عليه وسلم لأزواجه اولكن
لحو قاي اطولكن يد او كانت زينب امرأة قصيرة فلما توفيت اولهن
علمن انه انما اراد طول يدها بالصدقة لأنها كانت تصنع بيديها ما تعين به
في سبيل الله .

في فتنة القبر

روت عائشة وابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للقبر
لضفطة لو كان احدا ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ - زاد في حديث ابن عمر
ثم قال باصابه الثلاث يجمعها كأنه يقلله ثم قال لقد ضغط ثم عوفى - ولا يعارضه
ما روى ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم يموت في يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا برئ
من فتنة القبر ، لأنه لم تقطع الا سناد فان ربيعة لم يلق عبد الله وبينهما رجلان
احدهما مجهول وعن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت
(الهاكم التكاثر) فيه اثبات عذاب القبر ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم
آثار متواترة باستعاذته منه - روى مصعب بن سعد أنه كان يحدث عن ابيه
قال كان يأمرنا بهذا الدعاء مرفوعا : اللهم اني اعوذ بك من البخل والبن
واعوذ بك أن ارد الى ارضي العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب
القبر ، وروى عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من خمس ، من
البخل والبخل وسوء العمر وفتنة القبر وعذاب القبر .

وخرج في هذا المعنى آثارا كثيرة من رواية ابي هريرة وأبي بن
كعب وغيرهم وروى عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على
قبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير - اما هذا فكان لا يستتر من بوله
واما هذا فكان يمشی بالقيمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ففرز على هذا
واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله ان يخفف عنهما ما لم ييبسا - خص البول
من النجاسات اتهاون الناس به اذ لا يظهر على الثياب منه اثر بخلاف العائط

والقيح والدم فيتحامها الناس لتقذرهم اياها ومعنى لا يستتر من بوله اى لا يتوقى منه ومنه دعاء الناس ، سترك الله من النار ، اى وقاك منها ومنه قوله صلى الله وسلم : اتقوا النار ولو بشق تمره ، وروى مرفوعا : اكثر عذاب القبر بالبول ، اى اكثر عذاب القبر من اجل البول بما شاء الله ان يعذب به من اصناف عذابه يؤيده ما روى عن ابن عباس مرفوعا : ان عامة عذاب القبر من البول فتزهاوا من البول ، وقيل ان الناس يعذبون في قبورهم بالبول كما يعذب به في الدنيا لانه من غليظ عذاب الدنيا والله اعلم .

في عذاب القبر

روت عمرة عن عائشة ان يهودية جاءت تسئلهما فقالت اعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عذاب الناس في قبورهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عاذ بالله من ذلك ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة مركبا خسفت الشمس فرجع ضحى فمرين ظهر افي الحجر فقام يصلي فذكرت صلاة الكسوف وكيف صلاها فقالت ثم انصرف فقال ما شاء الله ان يقول ثم امرهم ان يتعوذوا من عذاب القبر فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول اليهودية كان قبل ان يوحى اليه بذلك وامرنا بالتعوذ من عذاب القبر بعد الوحي اليه بذلك .

لا يقال كيف دفع خبر اليهودية وقد قال عليه الصلاة والسلام ، ما حدثكم به اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم لانه يحتمل ان يكون دفع قولها وردها قبل ان يؤمر بالالتفات الى ما حدث به اهل الكتاب ثم امر بعد ذلك بالوقوف عنده وترك التصديق به والتكذيب له فكان له دفع ما حدثوه به كالمثلر جل ان يدفع ما لم يعلمه وان كان في الحقيقة حقا فان المدعى عليه اذا لم يعلم صحة دعوى المدعى كان في سعة من انكاره اياه ومن حلقه له عليه وان كان يجوز أن يكون عليه حق فذهبت عنه معرفته فكان صلى الله عليه وسلم

وسلم لما سئل عن ما لا علم له به كان في سعة من نفيه وان كان في الحقيقة حقا ثم امر أن يقابل قولهم بالتوقف وان كان الدفع واسعاه مع اننا تأملنا حديث عائشة فوجدنا رواه خالفوا عمرة فيه - منهم مسروق عن عائشة انها قالت انتهى بحجوز يهودية فقالت يعذب اهل القبور فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؟ فقال صدقت يعذب اهل القبور عذابا يسمعه البهاائم .

وروى عنها انها دخلت بحجوزان من بحائر يهود المدينة فقالت ان اهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما فخر جتا ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان بحجوزين دخلتا على فرعتا ان اهل القبور يعذبون في قبورهم فقال صدقتا انهم ليعذبون عذابا يسمعه البهاائم كلها قالت عائشة فارأيت بعد ذلك في صلاة الا يتعوذ من عذاب القبر .

وروى عن ذلك ان عنها قالت استطعمت يهودية فقالت اطعموني اعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية ؟ قال وما قالت ؟ فقلت انها قالت : اعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال وعذاب القبر .

وروى عروة عن عائشة ان يهودية دخلت عليها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أشعرت انكم تفتنون في القبور فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما تفتن يهود قالت عائشة فلبثنا ليلتي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما شعرت انه اوحى الى انكم تفتنون في القبور ثم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من عذاب القبر فوافقت رواية عروة .
رواية عمرة فالصواب انه تقدم دفعه صلى الله عليه وسلم ثم اثباته اياه بعد ذلك والذي عند مسروق وذكوان هو الأمر الثاني والذي عند عروة وعمرة الأمر الأول والثاني فكان بذلك اولى اذ حفظا من ذلك ما قصر مسروق وذكوان عن حفظه .

في سماع عذاب القبر

روى عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء
 فرعلى حائط لبنى النجار فاذا قبر يعذب صاحبه فحاصت فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لولا ان تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر فيه ، ان البهاثم
 تسمعه وابن آدم لا يسمعه - وقد روى عن ابي ايوب ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم خرج حين غابت الشمس فقال هذه اصوات يهود تعذب في قبورها ، ففیه
 ان ابن آدم قد سمعوا اصوات يهود الذين كانوا يعذبون في قبورهم فالوجه فيه
 ان ذلك كان بعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ان يسمعهم اياها ويحتمل ان
 يكون المسموع اصوات اليهود ولم يسمعوا اصوات المسلمين المعذبين في
 قبورهم فلا تضاد بينهما - وعن عبد الرحمن بن حسنة قال انطأقت انا وعمر و
 ابن العاص فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه درقة او شبه الدرقة فجلس
 فاستتر بها قال فقلت انا وصاحبي انظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 كما تبول المرأة وهو جالس فانا فقال او ما علمتم ما لقي صاحب بنى اسرائيل
 كان اذا اصاب احدهم شيء من البول قرضه بالمقرض فنهاهم عن ذلك فعذب
 في قبره يحتمل انه كان من شريعة بنى اسرائيل قرض الأبدان اذا اصابها بول
 بالمقرض فنهاهم ذلك الرجل عن ذلك امرهم بترك شريعتهم فعوقب على ذلك
 في قبره لعظم عصيانه .

في زيارة القبور

روى عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات
 القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، يحتمل ان يكون قيل اباحته الزيارة
 ويحتمل ان يكون اراد الجمع بين الزيارة واتخاذ المساجد والسرج فيكون
 مجرد الزيارة مباحة بل هي الأولى لانه قد روى عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيه عبرة وفي رواية

وليزد

وليزدكم زيارتها خيرا وكذلك روى مرفوعا في لعنة اليهود والنصارى
لا تتخاذلهم ذلك على قبور انبيائهم - قالت عائشة وابن عباس لما نزل برسول الله
صلى الله عليه وسلم طفقا يطرح نحيمته على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه
قال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورا انبيائهم مساجد
يحذر ما صنعوا، والتحذير باللعن الذي في الحديث الأول لمن هذا سبيله .
لألسواء من زائر القبور وهذا القول إنما كان عند وفاته ولا ناسخ له .

في عذاب الميت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كسر عظم المسلم ميتا مثل
كسره حيا لا يقال فليجب في كسر عظم الميت قصاص اودية لأن عظم الميت له
حرمة مثل حرمة عظم الحي ولكن لا حياة فيه فكان كاسره في انتهاك الحرمة
ككاسر عظم الحي وعدم القصاص والارض لانعدام المعنى الذي يوجبه من
الحياة كالصحيح يقطع اليد الشلاء لا قصاص عليه ولا دية وإنما فيه الحكمة
بقدر ما نقص ولا قيمة لذلك من الميت يشير اليه قوله تعالى (ولكم في القصاص
حياة) بطريق الايمان فلا يجب القصاص الا بازالة حياة .

في ثناء الناس على الميت

روى عن انس قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بمجنازة فأثنى عليها خير
فقال صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت وجبت ومر بمجنازة فأثنى عليها شر فقال
وجبت وجبت وجبت فقال عمر فدك ابى واى مر بمجنازة فأثنى عليها خير فقلت
وجبت وجبت وجبت ومر بمجنازة فأثنى عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت
فقال صلى الله عليه وسلم من اثنيت عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيت عليه
شرا وجبت له النار اتم شهداء الله في الارض - وعن عمر مثل ذلك فيمن اثنى
عليه بخير وفيمن اثنى عليه بشر فقال له ابو الأسود بما قلت وجبت قال قلت كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما مسلم شهد له اربعة بخير ادخله الله الجنة فقلنا

او ثلاثة فقال او ثلاثة قلنا او اثنان قال واثنان ثم لم نسئله عن الواحد ، ووجه ذلك ان الشهادة بالخير لمن شهد له ستر من الله سبحانه عليه في الدنيا ومن ستر الله عليه في الدنيا لم يرفع عنه ستره في الآخرة ومن لم يرفع الله عنه ستره في الآخرة ادخله الجنة والشهادة بالشرف في الدنيا هو رفع الستر عن المشهود عليه وهو في ذلك ضد من اتى عليه خير في الدنيا فكذلك هو في الأخرى فيستحق النار وهذا من ادق استنباط واحسنه .

في الاستغفار للمشرك

عن علي رضي الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت تستغفر لأبويك وهما مشركان قال أولم يستغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن مودة وعدواها اياه) وفي رواية فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) لم يبين في الحديث ان ابويه حين كانا اوميتين والظاهر انها كانا ميتين بلحوازا لاستغفار للمشرك ما دام حيا ارجاء الايمان منه يدل عليه قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) الى قوله (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) ولا يتبين ذلك الا بموتهم وعن ابن عباس لم يزل إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات فتبين له انه عد والله فقبّر أُمّه وقيل في سبب نزول قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل على عمه ابي طالب فقال له قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال له ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فكان آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب فقال اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى (ما كان للنبي) الآية وانزل في ابي طالب (انك لا تهدي من احببت) الآية وقيل سبب نزولها استئذان النبي صلى الله عليه وسلم زبه عز وجل في الاستغفار لأُمّه آمنة فلم يأذن له والله

اعلم بالسبب غير أنه يحتمل كل من هذه الأشياء ان يكون سببا فتزل الآية جوابا عن جميعها وما يدل على جواز الاستغفار للشرك ما دام حيا قوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ،

في الأطفال

- روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من مولود الا يولد ^٥ على الفطرة ، ثم يقول اقرؤا (فطرة الله التي فطر الناس عليها) الآية ، وعن الاسود بن سريع انه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع غزوات فتناول اصحابه الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد ذلك عليه فقال ألا ما بال اقوام قتلوا المقاتلة ثم تناولوا الذرية ، فقال رجل أليسوا ابناء المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان ^{١٠} خياركم ابناء المشركين ألا انه ليست تولد نسمة الا ولدت على الفطرة فما زال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهود انها او ينصرانها .

- عن ابي عبيد القاسم بن سلام قال سألت محمد بن الحسن عن تفسير حديث ابي هريرة فقال كان ذلك في اول الاسلام قبل ان تنزل القرائض ويؤذن بالجهاد يعنى لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل ان يهوداه ابواه ^{١٥} او ينصره ما وراثه لانه مسلم وهما كافران ولما جاز أن يسبى ولكن جرت السنة بخلاف ذلك فعلم انه مولود على دين ابيه ، وسئل عبد الله بن المبارك عن تأويله ؟ فقال تأويله قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن اطفال المشركين الله اعلم بما كانوا عاملين ، يعنى انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام وكفر فمن كان في علم الله انه سيسلم فقد ولد على الفطرة وكان في علم الله انه يصير ^{٢٠} كافرا يولد كافرا .

قال الطحاوى تفسير محمد بن دفعه ما في حديث الاسود من قوله انه كان في غزوة وهي جهاد ولما اختلفوا في معناه جعلنا كله حديثا واحدا وأثبتناه فيه قوله صلى الله عليه وسلم ، فما زال عليها حتى يعبر عنه لسانه والفطرة

فطران فطرة يراد بها الخلقة التي لا تعبد معها وفطرة معها التعبد المستحق بفعله
ثوابا وبتركة عقابا وكان قوله: كل مواد يولد على الفطرة، يريد به الفطرة الثانية
فكان ادلها الذين هم كذلك ما كانوا غير بالغين ممن خلق للعبادة كما قال (و) اخلقت
الجن والانس الا لعبادتي (وان كانوا قبل بلوغهم مرفوعا عنهم الثواب
والعقاب غير أنهم اذا عبرت عنهم السنتهم بشيء من ايمان وكفر كانوا من
اهله كما قال صلى الله عليه وسلم فما يزال عليها حتى يعبر عنه لسانه ولذلك قبل
صلى الله عليه وسلم اسلام من لم يبلغ وفي ذلك ما يوجب خروج من كان من
المسلمين بالردة في تلك الحال من الاسلام حتى يستحق المنع من ميراث ابويه
المسلمين ثم قال: فأبواه يهودانه او ينصرانه، اي يتهويدهما وتنصيرهما فيكون
مسيحيا ان كان أبواه حريين وما خوذا بعد بلوغه عاقلا بالجزية ان كانا ذميين.

في اسلام الصغير

روى ان عمر رضى الله عنه انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان وقد قارب الحلم فلم يشعر حتى
ضرب صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال لابن صياد أتشهد انى رسول الله؟
فنظر اليه ابن صياد فقال أتشهد انى رسول الله؟ قال فرصه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال آمنت بالله وبرسوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا
ترى؟ قال ابن صياد يا نبى صادق وكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلط عليك الأمر، ثم قال له رسول الله انى قد خيأت لك خبيثا فقال ابن صياد
هو الدخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسأ فلن تعد وقدرك فقال له عمر
اأذن لى فيه يا رسول الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يكنه فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله، فى كشف رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابن صياد ولم يبلغ الحلم عن شهادته له بالرسالة ما قد دل على انه
اوشهد بها اصار مؤمنا واولا ان ذلك كذلك لما كشفه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وفى هذا دليل على ان اسلام مثله من الصبيان يكون اسلاما.

فيمن رضى باحراق نفسه

روى عن ابي بكر الصديق انه قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم - فذكر حديثا طويلا من حديث يوم القيامة ثم ذكر شفاعته الشهداء قال ثم يقول الله عز وجل، انا ارحم الراحمين انظروا في النار هل فيها من ابد عمل خيرا قط، فيجدون في النار رجلا فيقال له هل عملت خيرا قط؟ فيقول لا غير أني كنت امرت ولدي اذا امت فاحرقوني بالنار ثم اطحنوني حتى اذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي الى البحر فاذروني في البحر فوالله لا يقدر على رب العالمين ابدا فيعاقبني اذا عاقبت نفسي في الدنيا عليه قال الله له لم فعلت ذلك؟ قال من مخافتك فيقول، انظروا اعظم ملك فان لك مثله وعشرة أمثاله .

- ١٠ يحتمل ان يكون الوصية بالاحراق من شريعة ذلك القرن الذي كان الموصى منه خوفا من الله ورجاء رحمته كما يوصى في امتنا بوضع الخد على تراب الاحد رجاء للعفو والمغفرة وليس قوله لا يقدر على رب العالمين على نفى القدرة اذ لو كان معتقدا لذلك كان كافرا ولما غفر له ولا ادخل الجنة وانما هو على التضييق كقوله (فقد ر عليه رزقه) اى ضيق عليه رزقه وقوله (فظن ان لن نقدر عليه) اذ لا يظن يونس غير ذلك يعنى لا يضيق الله على ابدا فيعاقبني بما قد فعلته بنفسى رجاء رحمته وطلب غفرانه وذكر الحديث من طرق بالفاظ مختلفة في بعضها ان الله يقدر على يعذبني وفي بعضها فان الله يقدر على لم يغفر لي والمعنى في ذلك كله سواء - واماماروى في بعض الآثار مكان لا يقدر الله على لعل اضل الله فانه حديث لم يروه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الارجل واحد وهو معاوية ابن حيدة جد بهز بن حكيم وخالفه في ذلك ابو بكر الصديق وحذيفة وابو مسعود و ابو سعيد الخدرى وسلمان وابو هريرة رضى الله عنهم وستة اولى بالحفظ من واحد وتأويل قوله اضل الله على تقدير صحته انه كان مؤمنا بالله خاتفا من عقوبته لكنه كان جاهلا بلطيف قدرته فجعلوه بخشية عقوبته مؤمنا وبطمعه ان يضلّه جاهلا فانقر ان لا يمانه لانه لم يخرج بجهله من ايمانه الى الكفر بالله
- ٢٠

ويحتمل ان معاوية فهم من لا يقدر الله على نفي القدرة بخفاء به على المعنى والستة
تقلوه بلفظه كما سمعوه والله اعلم .

في عجب الذنب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل ابن آدم تأكله الارض
• الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب ، هذا حديث صحيح رواه اهل الضبط
المؤمنون على الرواية ولا استحالة فيه كما قاله اهل الجهل والعناد بأنه يرده
العيان لأن الميت قد يحرق وقد يكشف بعد مدة لحده فلا يوجد منه شيء
لانه لا ينكر في لطيف قدرة الله تعالى حفظ ذلك المقدار الذي اخبر من لا ينطق
عن الهوى ببقائه فلا يأكله التراب ولا تحرقه النار وان لم ندركه بحواسنا
• وقد وقى الله خليله من نار نمرود واخبر عن لقمان قوله (يا بني انها ان تك مثقال
حبة من حردل) الى قوله (ان الله لطيف خبير) فالله تعالى حافظ ذلك المقدار
من الفناء حتى يعيده بشرا سويا ويركب فيه خلقا جديدا وبالله التوفيق .

كتاب الزكاة

فيه ثلاثة عشر حديثا

في محرم السؤال

روى عن سهل بن الحنظلية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سأل الناس عن ظهر غنى فأنما يستكثر من جهر جهنم قلت يا رسول الله
وما ظهر غنى ؟ قال ان يعلم ان عند اهله ما يغد بهم وما يغشهم - وروى عطاء
عن رجل من بني اسد أنه قال صلى الله عليه وسلم لرجل يسأله من سأل منكم
وعنده اوقية او عدلها فقد سأل الخاف والأتية اربعون درهما - وفيما روى عن
• ابن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل عبد مسئلة وله
ما يغنيه الا جاءت شيئا أو كدوا أو خدوا شافى وجهه يوم القيامة قلت يا رسول الله
وما غناه ؟ قال خمسون درهما او حسابها من الذهب وروى انه خطب صلى الله

عليه وسلم فقال، من استغنى اغناه الله ومن استعفف اعفاه الله ومن سأل الناس وله عدل خمس أواق سأل الحافا .

يحتمل ان أول هذه المقادير المحرمة للسؤال هو المذكور في حديث سهل ثم وثم وثم فالمقدار الذي تناهى تحريم المسئلة عند وجوده هو المذكور في الخطبة فصار أولى بالاستعمال وانما استعملت في هذا للأغظ فالأغظ لا الأخف فالأخف لأن النسخ على وجهين نسخ عقوبة ينسخ به الأخف بالأثقل قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات) ونسخ رحمة ينسخ به الغليظ بالخفيف قال تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) الآية ومنه قيام الليل ولما لم يكن من المسلمين ذنب يوجب عليهم العقوبة في التخليط في المسئلة بدأنا باستعمال الأغظ فالأغظ .

١٠

قال القاضي هذا معنى قوله دون لفظه، قلت نظرت في المطول فوجدت معنى قوله كون هذا من باب نسخ الأغظ بالأخف لا غير فكان المناسب ان يقول بدأنا باستعمال الأغظ فالأخف لأن التحريم بمقدار العناء والعناء اضيق من التحريم بمقدار الأوقية وهو اضيق من التحريم بمقدار خمسين درهما وهو اضيق من التحريم بخمس اواق فهذا نهاية التخفيف والترقي من الأغظ الى الأخف فالأخف فالأخف وقد صرح الطحاوي بهذا بقوله فان قال قائل كيف استعملت في هذا اغظ المقادير بدءا ثم استعملت بعده ما هو أخف منه حتى استعملت كلها كذلك ولم يستعمل الآخر اولا ثم بعد ما هو أغظ منه حتى يأتي عليها بأكملها؟ فكان جوابنا ان النسخ يكون بمعنيين الى آخره فهذا صريح في مخالفة القاضي لما قصده الطحاوي فكيف قال هذا معنى لفظه، ثم قال القاضي وفيه ٢٠ نظر لأن نسخ الخفيف بالثقل كثير موجود في القرآن من غير عقوبة قلت خفف ثقل ما وجد من هذا النوع في القرآن وعد الثواب الكثير وهونه قيل في قوله تعالى (ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها) المراد الخيرية اما بالخفة او بكمرة الثواب فافهمه .

في محرم الأخذ

روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة فقال رجل يا رسول الله عندي دينار قال انفق على نفسك قال عندي آخر قال انفق على زوجك قال فعندي آخر قال انفق على ولدك قال فعندي آخر قال انفق على خادمك قال عندي قال آخر قال انت ابصر - وفي حديث آخر انت اعلم، ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام وغيره الى ان من ملك اربعة دنانير فهو غني تحرم عليه الصدقة كما يقوله اهل المدينة فيمن ملك اربعين درهما قالوا لأنه لم يأمر فيما وراء الأربعة بشيء ورد الأمر اليه فيه ولا حاجة لهم في ذلك لأنه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم إنما أمره في كل دينار من دنانيره الأربعة بما هو أولى به في ذلك ورد الأمر في الخمس اليه لأنه لم يعلم له سبب يأمره بصرفه فيه فرد الأمر فيه اليه إذ هو أعلم بما يحتاج اليه من أمر نفسه لاثبوت غناه عنده بالأربعة دنانير إذ لو كان كذلك لما أمره في الرابع بشيء ولا صرف الأمر فيه اليه كما فعل بالخمس فثبت بذلك ما صححناه في حديث الخطبة من قوله ومن سأل الناس وله عدل خمس اواق سأل الخافيدل عليه أمره صلى الله عليه وسلم معاذ حين بعثه الى اليمن على الصدقة ان يأخذها من اغنيا ثم يضعها في فقرائهم فالتفتي من يؤخذ منه والفقير من لا يؤخذ منه يعني جبر اكمالك الاربعين درهما ولا يرد ما قلنا حديث أبي هريرة هذا إذ قد يحض على الصدقة الغني والفقير الذي له فضل على قوته لما روى عن أبي مسعود قال لما أمرنا بالصدقة كنا نحامل نتصدق حتى تصدق بعض الفقراء بصاع فاستهزأ به المنافقون وقالوا ان الله لغني عن صدقة هذا فأ نزل الله عز وجل (الذين يملكون المطوعين من المؤمنين) الآية .

في من يحل له اخذها

روى عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال حدثني رحلان من قومي انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الصدقة فسلأه منها فرفع البصر وخفضه

وخفضه فرآها جلد بن فقال ان شئتما فعلت ولاحق فيها الفنى ولا لقوى مكتسب
 المعنى فى ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما لم يعلم حقيقة امرها فى الفنى والفقر
 اعلمهما بأنه لاحق فيها الفنى ليعملا بما سمعا، وقوله ولا لقوى مكتسب، المراد به فنى
 الحق الذى هو فى اعلى مراتبه لأن الصدقة قد تحمل للفقر القوى كما يقال
 فلان عالم حقا اذا كان فى اعلى مراتبه ولا يقال لمن هو دونه وان كان عالما
 ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران عند سؤالهم رجلا امينا يبعث اليهم
 لأبعث اليكم رجلا امينا حق امين، يعنى ابا عبيدة بن الجراح وان كان من
 دونه من اهل الامانة ايضا .

فى اعطائها لمن لا تحل له

- روى عن معن بن يزيد قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابى وجدى ١٠
 وخطب على وانكحنى وكان ابى اخرج دنائير يتصدق بها فوضعها عند رجل
 فأخذتها فأتيته بها فقال والله ما اياك اردت بها فاحصمته الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لك مانويت لأبى ولك يا معن ما اخذت كان يزيد اخرج دنائير
 يتصدق بها ووكّل الرجل ابصرها مصارفها فأعطّاها الوكيل لابنه اذ لم يعلم نيته
 فى ذلك فجازت لابنه معن لانه قبضها عن له ذلك وليزيد ثواب صدقته على ١٥
 غير ابنه بما نواه اقول عليه السلام : انما الأعمال بالنيات ، واحتج به محمد بن من
 تصدق بركاته على رجل ظنه اجنبيا وهو ابنه أو أبوه فانه يعجزه ولا حجة له فيه
 لانها زكاة مال ابيه أو ابنه فلا تحل لقا بضها واذ لم تحل له كانت غير جائزة عن
 المعطى وكذلك لو اعطى الى من ظنه فقيرا فكان غنيا لانها حرام على الفنى
 فلا تكون مجزية عن معطيها وهذا قول ابى يوسف وهو الأولى ومذهب ٢٠
 اشهب من اصحاب مالك فيه الجواز بهذا الحديث .

فى المعادن

روى عن ابن عباس ان رجلا لزم غريما له بعشرة دنائير فقال والله

ما عندي شيء اقضيه اليك اليوم فقال والله لا افارقك حتى تعطيني او تأتيني بحملي
ليحمل عنك فقال والله ما عندي قضاء وما اجد أحدا يتحمل عني قال فجره الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان هذا الرمي واستنظرته
شهر او احدا فاني حتى اقضيه أو آتية بحملي فقلت والله ما عندي حملي ولا اجد
قضاء اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تستنظره الاشهر
واحدا؟ قال لا قال انا اتحمل بها عنه فحمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه
فذهب الرجل فأتاه بقدر ما وعده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اين
اصبت هذه الذهب؟ فقال من معدن قال لا حاجة لنا بها ايس فيها خير فقضاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه . انكر بعض صحبة هذا الحديث قال وهل
عند احد ذهب الا من المعادن ويحتج بما روى جابر قال جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المعادن قال
خذها يا رسول الله والله ما اصبحت املك غيرها فاعرض عنه ثم اتاه عن شماله
فقال مثل ذلك فاعرض عنه ثم اتاه من بين يديه فقال مثل ذلك فقال هاهاها
مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفة او اصابه بها اشجه او عقره ثم قال يا اي احدكم
يأله كله فيتصدق به ثم يجلس يتكفف الناس انه لا صدقة الا عن ظهر غنى .
وبما روى ابن عباس في حديث مكاتبة سلمان الفارسي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضع النخل التي كاتبه عليها اهلها في قمرها وسوى عليها
التراب بيده حتى فرغ منها قال فلا والذي نفسي بيده ما بقيت منها واحدة
وبقيت دراهم فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في اصحابه
اذ اتاه رجل من اصحابه بمثل البيضة من ذهب اصابها من بعض المعادن
فتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المسكين
المكاتب ادعوه لي فدعيت له بلحقت فقال اذهب فاذهبك مما عليك من
المال قلت وأين يقع هذا مما على يا رسول الله؟ فقال ان الله سيؤدبها عنك .
والجواب عن ذلك انه يحتمل ان يكون انما قال ذلك القول قبل

- ان تحمل المعادن للناس لأنها عند قوم من اهل العلم منهم أبو حنيفة وأصحابه من الغنائم وفيها الخمس وقد كانت الغنائم محرمة على من قبلنا وعلى أوائل هذه الامة ايضاً حتى احلها الله عز وجل رحمة وتخفيفاً منه عليهم فكان لا خير فيها وعند قوم آخرين من اموال الصدقات وهم اهل الحجاز فاحتمل ان يكون ذلك قبل فرض الزكاة على العباد في اموالهم فلم يكن ما وجد فيها مالا لهم فيه خير ثم فرض الله الزكاة فعادت الى خلاف ما كانت عليه وصارت بما فيه الخير ويحتمل وجهاً آخر وهو أن الذي كان على الاصل الذي تكفل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير مضروبة فلما جاء ذلك الرجل بما عجا به مما وجد في المعدن وهو ذهب غير مضروبة وهو دون الحقي الذي وجب كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضيها صاحب الحقي وهو أدنى من حقه فان خيار الناس احسنهم قضاء فلذلك قال لاحاجة لنا فيها لا خير فيها وأدى دنانير لانقص فيها وهذا ما قيل حسن فانتهى بما تأولنا التضاد بين الآثار وروى عن أبي سعيد الخدري قال بعث على الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبة في تربتها من اليمن فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة الأقرع بن حابس وعلقمة بن علاثة وعيينة بن بدر وزيد الخليل قال فغضبت قريش والانصار ١٥ وقالوا يعطى صناديد اهل نجد ويدعونا فقال اني أنا لفهم.

- قيل في صرف الذهب الموجودة في المعدن الى المؤلفة دليل على انه من اموال الزكاة التي يعطى منها للمؤلفة ولا حجة فيه اذ كان رسول الله عليه صلى الله وسلم يتألفهم من غير الزكاة ايضاً - روى عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى من غنائم حنين مائة من الابل ٢٠ عيينة بن بدر والأقرع بن حابس مائة من الابل فلا يبقى دليلاً على ما توهم هذا الا ان فيه دليلاً.

في تحليف المزكي

روى عن ابن عباس في قوله تعالى (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات

فما متحنون) قال كانت المرأة اذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم لتسلم حلقها بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ما خرجت الاحبا لله ولرسوله - فيه حجة لمن ذهب الى استحلاف العاشر من يمر عليه اذا قال ادبت زكاته الى مستحقها او اديتها الى عاشر آخر قبلك ان اتهم التاجر على ما قاله وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه والشافعي خلافا لما لك والثوري فانهما قالا يصدق من غير تحليف لانها عبادة وهو مؤتمن عليها ولا يسوغ ان يظن بهم المعصية لكن استحلاف الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجرات حيطة للاسلام نظير استحلاف من يتولى الصدقات المتهمين بمنعها فيحتاج في استيفاء لحقوق اهله وعن وجبت عليهم والله اعلم .

في السنن المأخوذ في الصدقة

روى ثمامة عن انس ان الكتاب الذي كتبه ابو بكر الصديق في الصدقة انها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي اقترضها الله سبحانه على خلقه فمن سئل فوقها فلا يعطه ان لا يؤخذ في الصدقة هزيمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشاء المصدق بالكسر قال ابو عبيد وأنا اراه بالفتح يعنى رب المال وهو الصواب لأن التيس ان كان مجازا للسن الواجبة على رب المال كان حراما ١٥ على المصدق اخذه لما فيه من الزيادة وان كان دونه كان حراما على المصدق اخذه من ربه لأنه اقل من حقه وان كان مثله في القيمة فهو خلاف النوع الذي امر بأخذه فحرام بغير طيب نفس ربه فدل ذلك ان المراد بما ذكر فيه رب المال لا المصدق فيكون الخيار اليه في ان يعطى فوق ما عليه او مثل ما عليه من خلاف نوع ما هو عليه ويكون للمصدق قبول ذلك منه ان رأى ذلك حظا ما يتولاه ٢٠ من الصدقة - والله اعلم .

في ذكر العناق والعقال

روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت

ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله، فلما كان زمن الردة حدثت بهذا
الحديث ابا بكر فقال لو منعوني عقالا لقاتلتهم عليه - وفيما روى عنه انه قال
لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابو بكر وارتد من ارتد
من العرب قال فبعث ابو بكر اقاتل من ارتد عن الاسلام فقال له عمر
يا ابا بكر ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله، فقال ألا اقاتل اقواما فرقوا بين الصلاة والزكاة
والله لو منعوني عنا فما كانوا يؤذوننا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم عليها، قال فلما رأيت الله شرح صدر ابى بكر لقاتل القوم علمت انه
الحق ونخرجه من طرق كثيرة في بعضها عقالا وفي بعضها عنا قا وعلى ان
الاختلاف في هاتين الكلمتين من رواة الحديث لا من ابى بكر والاكثر
على عنا قا واختلف في معنى العقال ف قيل المراد به الحبل الذي يعقل به الفريضة
المؤداة حتى ذلك ابو عبيد عن الواقدي وهو فاسد قياسا لانه لو كان على مؤدى
الفريضة من المواشى عقال يحفظ به لكان على مؤدى الدراهم كيس يحفظ فيه
وعلى من وجبت عليه في نخله الصدقة قواصر حتى يجعل فيها وذلك مما لا يقوله
احد وقيل العقال هو صدقة عام واحتج بما روى ان معاوية استعمل ابن
اخيه عمر وبن عتبة على صدقات كليب فاعتدى عليهم فقال عمر والكلي .

سمى فقال لم يترك الناس بدا فكيف لو قد سمي عمر وعقالين

لأصبح الحى اوباد ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جامين

وهذا ايضا فاسد لان ابا بكر انما قال على انهم لو منعوه قليلا

مما كانوا يؤذونه من الصدقة لقاتلتهم عليه كما يقا تلهم لو منعوها كلها والاشبه

ان يكون المراد عين الواجب .

عن ابن الاعراب المصدق اذا اخذ من الصدقة عين ما فيها قيل

أخذ عقلا وإذا أخذ به ثمنا قيل أخذ نقد أو انشد .

أنا أبو الخطاب يضرب طبله فرد ولم يأخذ عقلا ولا نقد
ثم الأولى بهذا الحديث العناق وفي ذلك باب من الفقه يجب
الوقوف عليه وذلك أن السوائم إذا كانت لا مسنة فيها فطائفة تقول فيها
واحد منها وطائفة تقول فيها مسنة كما لو كانت مسان كلها وطائفة تقول
لا شيء فيها والأقوال كلها عن أبي حنيفة رجع من بعضها إلى بعض رواها
عنه أبو يوسف واختار القول الأول وهو الأولى لموافقة قول أبي بكر غلبها
لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلهم
عليها فدل أنهم كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الصدقة وذلك لا يكون إلا فيما لا مسنة فيه وفي ثبوت ذلك ثبوت ما قاله
واختاره وقال زفر بقوله الثاني ومجدا بالآخر .

في لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق

روى أن أبا بكر لما استخلف وجه أنس بن مالك إلى البحرين
فكتب له هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المسلمين التي أمر الله تعالى بها رسوله فمن سئلها من المؤمنين على وجهها فليعطها
ومن سئل فوقها فلا يعطه .

في كتابه ذلك لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة
وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية - ونحوه من طرق .
تنازع أهل العلم في المراد بهذا الحديث تنازعا شديدا .

حكى المزي عن الشافعي أن الشريكين اللذين لم يقسما الماشية
خليطان وقد يكونان خليطين بتخاطب ما شيتهما من غير شركة لكن لا يكونان
خليطين حتى يربحا ويسراحا ويحبلا ويسقيا معا ويكون فحولها مختلطة فإذا كانا

هكذا صدقة الواحد بكل حال ولا يكونان خليطين حتى يحول الحول عليها من يوم اختلطاً ويكونان مسلمين وإن تفرقا في شيء مما ذكرنا قبل أن يحول الحول فليسا بخليطين ويصدقان صدقة الاثنين ومعنى قوله لا يفرق إلى آخره لا يفرق بين ثلاثة خطاء في عشرين ومائة وإنما عليهم شاة لأنها إذا فرقت كان فيها ثلاث .

ولا يجمع بين مفترق رجل له مائة وشاة ورجل له مائة شاة فإذا زكيتا مفترقين ففيها شاتان وإذا جمعتا ففيها ثلاث شياه فالخشية خشية الساعي أن تقل الصدقة وخشية رب المال أن تكثر الصدقة - قال الشافعي ولم أعلم مخالفاً فيما إذا كان ثلاثة خطاء لو كانت لهم مائة وعشرون شاة أخذت منهم واحدة وصدقوا صدقة الواحد فنقصوا المساكين شاتين من مال الخطاء ١٠ الثلاثة الذين لو يفرق ما لهم كان فيه ثلاث شياه لم يجز إلا أن يقولوا لو كانت أربعون بين ثلاثة كانت عليهم شاة لأنهم صدقوا الخطاء صدقة الواحد وهكذا القول في الماشية كلها والزرع والحائط وأبو حنيفة وأصحابه يقولون في قوله لا يفرق بين مجتمع هو أن يكون للرجل مائة وعشرون شاة فيكون فيها شاة واحدة فإن فرقها المصدق فجعلها أربعين أربعين كان فيها ثلاث شياه ١٥ ولا يجمع بين مفترق هو رجلان يكون بينهما أربعون شاة فإن جمعها كان فيها شاة وإن فرقها عشرين عشرين لم يكن فيها شيء .

قلت - فلو كانا متفاوضين لم يجمع بين أغناهما؟ قال نعم ، لا يجمع بينهما وهو قول سفيان الثوري فالذي ذكر عن أبي حنيفة والثوري دل على أنها لم ير أعيا إلا اختلاط ولكنهما يراعيان الأملأك فدل هذا على أن ما ذكره الشافعي ٢٠ من أنه لا يعلم مخالفاً إذا كان ثلاثة خطاء إلى آخره قد كان فيه من المخالفين لذلك القول من ذكرناه فاندفع ما احتج به لمذهبه ثم إن الله تعالى ذكر أركاة مثل ما ذكر الصلاة والصيام والحج فقال (اقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) (ومن شهد منكم الشهر فليصمه) (والله على الناس حج البيت) وكل ما افترض من هذه

الاشياء يبين به كل مكلف عن سواه من غير اختلاط فكذا الزكاة ودل على ان الحكم للكل قوله تعالى (خذ من اموالهم) الآية فان احدا لا يظهر من مال غيره بل من مال نفسه .

فان قيل فما معنى قوله عليه السلام وما كان من خليطين فانها
 ٥ يتراجعان ؟ .

قلنا يكون رجلان لهما مائة وعشرون شاة لاحدهما ثلثاها والآخر ثلثها فيحضر المصدق فيطالباها بصدقتها ولا يكون عليه انتظار قسمتها بينهما فياخذ منها شاتين فيعلم انه قد اخذ من حصة صاحب الثمانين شاة وثلث شاة والذي كان عليه شاة واحدة واخذ من حصة صاحب الأربعين ثلثي شاة والذي كان عليه من الصدقة شاة واحدة فالباقي من حصة صاحب الثمانين ثمان وسبعون شاة وثلثا شاة والباقي من حصة صاحب الأربعين في غنمه تسع وثلاثون شاة وثلث شاة فيرجع صاحب الأربعين بثلث الشاة التي اخذت من غنمه عن الزكاة التي كانت على صاحبه حتى يرجع حصة صاحب الثمانين الى تسع وسبعين وحصة صاحب الأربعين الى تسع وثلاثين وهذا اولى من التأويل الذي ذكرناه قبل .
 ١٥ اما مالك فذهب في ذلك ان تفسير قول عمر لا يفرق بين مجتمع ، ان الخليطين يكون لكل واحد منهما مائة شاة وشاة فيكون عليهما في ذلك ثلاث شياه فاذا اظلهما المصدق فراق غنمهما فلم يكن على كل واحد منهما الا شاة واحدة فنهى عن ذلك قال مالك في الخليطين اذا كان الراعي واحدا والمراح واحدا والدلو واحدا فالرجلان خليطان ولا تجب الصدقة على الخليطين حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة ، وتفسير ذلك انه اذا كان لأحد الخليطين اربعون شاة وللآخر اقل من اربعين شاة لم يكن على الذي له اقل من اربعين شاة صدقة وكانت الصدقة على الذي له اربعون وان كان لكل واحد منهما من الغنم ما تجب فيه الصدقة جميعا فكان لأحدهما الف شاة او اكثر او اقل مما تجب فيه الصدقة وللآخر اربعون شاة او اكثر فهما خليطان يترادان بينهما بالسوية

على الالف مجصتها وعلى الاربعين بحصتها يعني من الزكاة التي تجب فيها لو كانت
 لواحد وهذا مالا اشكال فيه لأنه لا يخلو من احد وجهين اما ان تكون الخلطة
 لها معنى ويرجع الخليطان فيها الى ان يكونا كالرجل الواحد فيكون القول
 في ذلك ما ذهب اليه الشافعي فيه او تكون الخلطة لا معنى لها ويكون الخليطان
 بعد ها كما كانا قبلها فيكون على كل واحد منهما في غنمه ما يكون عليه فيها لو لم يكن
 بينه وبين غيره فيها خلطة فيكون الأمر في ذلك كما قاله ابو حنيفة والثوري فيه
 ثم يرجع الى ما قد ذكره الشافعي في الخليطين انهما وان عرف كل واحد منهما
 ماله بعينه ان تكون نحو لها واحدة ومسرهما واحدا وسقيهما واحدا انهما
 يكونان بذلك خليطين فكان هذا مالا نعقله وكيف يكونان خليطين وكل واحد
 منهما باثن بماله من مال صاحبه فان قيل فالخلطة في الفحول وفي المراح وفي
 الأشياء التي ذكرناها - قيل له وهل الزكاة في تلك الأشياء انما الزكاة في
 المواشي انفسها وليس خليطين فيها وقد تقدم منك وتقدمنا من اهل العلم من خالف
 ما ذهب اليه فيه من ذلك ما روى عن طاووس قال اذا كان الخليطان يعرفان
 اموالهما فلا يجمع بينهما في الصدقة فأخبر بذلك عطاء فقال ما اراه الا حقا
 فلم يراعيا في ذلك حليا ولا لحلا ولا سقيا ولا مراحا ولا دلا ولا يقال ينبغي اذا
 لم يعرفا ما لهما ان يجمع بينهما في الصدقة لا نه يحتمل ان يجمع بينهما حتى يؤخذ
 اخذا واحدا ثم يتراجعا بينهما في المأخوذ منهما وبه نقول.

في صدقة الفطر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على المسلم في عبده
 ولا فرسه صدقة - وزاد بعضهم الا صدقة الفطر في الرقيق - وهي زيادة
 مقبولة تخصص عموم الحديث - قال الطحاوي - وعندنا على الرقيق مسلمهم
 وكافرهم لا طلاق النص وتقدمنا في ذلك ابو هريرة ومن التابعين عطاء
 وعمر بن عبد العزيز وقوله من المسلمين في حديث ابن عمر فرض رسول الله
 صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر على كل حراً وعبد ذكر أو أنثى من المسلمين -

أما يعود على من يخرجها عن ملكه زكاة له وتطهير أو هم المسلمون القادرون
عليه إلا العبيد العاجزون عنها قال الله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء) وقال بعض هي واجبة على العبد يؤديها من كسبه متمسكا بقوله
عليه الصلاة والسلام: من باع عبد أوله مال يورده ببقية الحديث وهو قوله
فقاله للبائع - وإضافة المال إليه كإضافة التمر إلى النخل في قوله من باع نخلا
له تمر قد أبره وإضافة البيت إلى العنكبوت والمراد بقوله ليس على المسلم في
فرسه صدقة - الخيل التي ليست للتجارة إذ في خيل التجارة تجب الزكاة
إجماعا وأما زيادة بعض الرواة إلا أن في الرقيق زكاة الفطر هذا عند
أبي حنيفة إذا لم يكن الرقيق للتجارة فإن كانوا للتجارة لم تجب فيهم صدقة
الفطر ومالك والحجازيون يوجبون فيهم زكاة الفطر ولا نجد في كتاب
ولاسنة اجتماع الزكاة والفطر والإجماع على أن الماشية لا تجتمع فيها زكاة
السائمة وزكاة التجارة وإنما تجب فيها أحدهما فكذلك عبيد التجارة .

في مقدارها

روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فرض زكاة الفطر
من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من
المسلمين، والعبد لا فرض عليه في نفسه إذا لمال له فيرجع قوله من المسلمين
إلى المولى لا إلى العبيد ولا حجة فيه لمن يقول أن المسلم لا تجب عليه صدقة
فطر عبده الكافر وقد روى الأوجب عن جماعة من السلف منهم أبو هريرة
قال كنا نخرج زكاة الفطر عن كل إنسان نعول من صغيرا وكبيرا وحرًا وعبدًا
وإن كان نصرانيا مدين من قح أو صاعا من تمر ومنهم عطاء قال إذا كان
لك عبيد نصاري لا يرادون للتجارة فنزك عنهم يوم الفطر ومنهم عمر بن
عبد العزيز قال يعطى الرجل عن مملوكه وإن كان نصرانيا زكاة الفطر ولأنه
كما يجب على المسلم الزكاة في عبده الكافر للتجارة لإسلامه ولا يسقط عنه

لكفرهم

لكفرهم وجب ان يؤدى عنهم زكاة الفطر لاسلامه ولا يمنع عن ذلك كفرهم
وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه .

فى الاكتفاء بنصف صاع من الحنطة

- عن عبد الله بن عمر قال امر النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن
كل صغير وكبير وحرو عبد صاعا من شعير او صاعا من تمر قال فعده الناس
بمدين من الحنطة، وخرجه من طرق كثيرة فى بعضها قال ابن عمر بخاء الناس
بنصف صاع من بر أو قال فعده الناس نصف صاع من بر بصاع من شعير
بخاؤا به فقبل منهم وليس فى بعضها ذكر التعديل فعمل من ذكره حجة على
من سكت عنه وضعف رواية من زاد عنه او صاعا من بر قال ثم عدل الناس
نصف صاع من بر بصاع مما سواه بمخالفة اكثر الرواة له وبما فيه من ذكر
التعديل اذ لا يصح ان يعدل نصف مفروض ببعضه وانما يجوز ان يعدل
المفروض بما سواه، وذكر فى حديث ابى سعيد الخدرى كنا نخرج زكاة
الفطر من رمضان صاعا من طعام او صاعا من تمر او صاعا من شعير او صاعا
من اقط، وله طرق كثيرة فى بعضها صاعا من طعام وليس ذلك فى بعضها فلما
كثر الطعام فى زمن معاوية جعلوه مدين من حنطة، قال فاحتمل قوله فى بعض
الآثار صاعا من طعام ان كان المراد به الحنطة ان يكون ذلك على الاداء
بالتطوع منهم دون ان يكون ذلك مفروضا عليهم فلا يكون الحديث على هذا
مخالفا لحديث ابن عمر، وفى بعض الآثار ان رجلا قال لأبى سعيد لما قال لا اخرج
الاما كنت اخرج فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من تمر او صاعا
من زبيب او صاعا من اقط فقال له او مدين من قمح فقال لانتك قيمة معاوية
لا قبلها ولا آخذ بها ففيه انه لم ينكر القيمة وانما انكر المقوم والمعاوية الصحيحة
ومعه الفقه وقوله حجة مع انه روى عن ابى سعيد انه يجزئ فيها نصف صاع
من بر وروى مرفوعا من رواية عقيل بن خالد عن هشام بن عروة عن ابيه
عن اسماء قالت كنا نخرج صدقة الفطر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مدین من حنطة او صاعا من تمر، ومن رواية ثعلبة بن ابي صعير عن ابيه قال
 النبي صلى الله عليه وسلم اذوا صدقة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير او نصف
 صاع من برا وقال قبح عن كل انسان صغيرا او كبيرا ذكر او أنثى حرا ومملوك
 غنى او فقير، ومن روى ولم يذكر فيه القمح فقد قصر عما زاده عليه من هوأولى
 منه فقيه دليل على ان ما كانوا يخرجون صاعا من البر حينئذ كان على التبرع
 وقد اخبر سعيد بن المسيب وابو سلمة وعبيد الله بن عبد الله والقاسم بن محمد وسالم
 ابن عبد الله كلهم من التابعين ان الفرض كان في عهد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في زكاة الفطر مدین من الحنطة فدل ان نصف الصاع منها اصل
 من الاصول يستغنى به عن التقويم وقد روى عن الصديق وعمر وعثمان وعبد الله
 انهم قبلوا مدین من حنطة في صدقة الفطر وأمروا بذلك وروى كذلك عن
 عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهم .

كتاب الصيام

فيه عشرون حديثا في رؤية الهلال

في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال
 لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له
 وفي حديثه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون
 فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له
 وقال الشافعي عن مالك فان غم عليكم فاكلوا العدد ثلاثين وأحسن ما قيل في
 فاقدروا له ، ان الله سبحانه قال (والقمر قدرناه منازل) فأخبر أنه قدره منازل
 ٢٠ يجرى عليها فجعله يجرى في كل ليلة حتى يسقط منزلة واحدة وهي ستة اسباع
 ساعة لأن منازل الليل اربع عشرة منزلة وساعاته اثنتى عشرة ساعة فخذاء كل
 منزلة ستة اسباع ساعة فيجرى كذلك الى تمام ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر فان
 كان الشهر ثلاثين استرلثين وان كان تسعا وعشرين استر ليلة فكان المأمور به
 اذا غم علينا ثم طلع في الليلة التي بعدها نظرا الى سقوطه في تلك الليلة فان كان
 بمنزلة

بمنزلة واحدة علمنا انه ليلته تلك وان كان بمنزلتين علمنا انه ليلتين وعقلنا بذلك ان بينها يوما وان علينا قضاء ذلك اليوم ان كان من رمضان وهذا الاعتبار مما يخفى على اكثر الناس لذلك رد الأمر الى ما يتساوون فيه بما روى مما هو ناسخ لذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم ، فان غم عليكم فعدوا ثلاثين ، على ما روى عنه ابن عباس وابو هريرة وجابر وحذيفة وعدى وقيس بن طلق عن ابيه .

في شهادة الواحد به

عن كريب ان ام الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية قال فقدمت الى الشام فقضيت حاجتها واستهل على شهر رمضان فرأينا الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألتني ابن عباس قال متى رأيت الهلال ؟ قلت رأيت ليلة الجمعة ، قال انت رأيت ؟ قلت نعم وراه الناس فصاموا وصام معاوية . قال لكننا رأينا ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما او نراه فقلت أولا تكفى برؤية معاوية ؟ قال لا هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن عكرمة عن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابصرت الهلال الليلة فقال أتشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ؟ قال نعم قال يا بلال اذن في الناس فليصوموا غدا ، لا تضاد بين الحديثين فحديث عكرمة على قبول شهادة الواحد المسلم على رؤية الهلال وحديث كريب على اخباره ابن عباس في وقت قد فات الصيام بتلك الرؤية ولما فات ذلك رجع الى انتظار ما يكون آخر الشهر من الهلال مما يدل على اوله فكان جائزا ان يضى ثلاثون يوما على ما حكاه له كريب ولا يرى فيظهر بطلان ما حكاه له فيصوم ثلاثين على رؤيته وكان جائزا ان يراه بعد مضى تسعة وعشرين يوما فيقضى يوما لا يستعاله ما في حديث عكرمة وهذا يوافق ما ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه من قبول شهادة الواحد على هلال رمضان دون هلال الفطر ويقولون ان صاموا بشهادة واحد فضت ثلاثون

ولم يروا الهلال انهم يصومون يوم آخر بخلاف ما اوشهدت بها بيعة مقبولة
يجوز الحكم بها في غير ذلك فأمرهم الامام بالصوم فصاموا ثلاثين ثم لم يروا
الهلال انه يأمرهم بالافطار لأن الصوم بشهادة واحد احتياط وباثنين صوم
بحجة تامة كأنهم رأوه جميعا .

في السحور

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصل ما بين صيا منا
وصيام اهل الكتاب اكلة السحر ، كان الشرع في اول الاسلام ان الصائم
اذا قام من الليل يحرم عليه ما يحرم على الصائم الى خروجه من صوم الغد
كما كان شريعة اهل الكتاب ثم نسخ الله بما نسخ به من كتابه فجاز لنا ان نأكل
في ليلائه ، وذكر عن معاذ بن جبل في حديث طويل ان الصيام كان في اول
الاسلام وبعد ان قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سنة عشر شهرا اوسبعة
عشر من كل شهر ثلاثة ايام وصوم عاشوراء الى ان ازل الله تعالى (كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فكانوا يمتنعون من الأكل والشرب
بعد النوم الى ان نسخ الله تعالى بقوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الأبيض من الأسود من الفجر) .

في بيان وقته

روى عن الغرابض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الى السحور في شهر رمضان فقال هلموا الى الغداء المبارك ، وعن المقدم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليك بهذا السحور فانه الغداء المبارك . تسمية
السحور غداء وإن كان خلافه لجاورته اياه من تسمية الشيء باسم ما قرب منه
ويحتمل ان يكون ذلك حين كان الصيام من طلوع الشمس الى غروبها
عن حذيفة قال اكلت وشربت بعد الصبح مع الرسول صلى الله عليه وسلم غير ان
الشمس لم تطلع فكان غداء على حقيقته وقال القاضي ، الأشبه انه انما سمي

غداء لأنه للصائم مكان الغداء لغيره اذ كان عند العرب في حين الغداء اكلتان في اليوم قال الله تعالى في محاطته اياهم بما يعتادون (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فتحولت أكلة الغداء للصائم الى قرب السحر فسميت سحورا وسميت غداء لأنها بدل منها عند عدم القدرة عليها بتحريم الأكل والشرب في ذلك الوقت كما سمي التيمم طهارة لأنه بدل منها عند العجز .

في صوم الجنب

- روى ابو هريرة عن الفضل بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح جنبا افطر ذلك اليوم وانه كان يفتي به ، وحكت عائشة وام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصبح جنبا ويصوم ذلك اليوم ، لما علم استواء النبي صلى الله عليه وسلم مع امته بغضبه على السائل الذي سأله عن ذلك ١٠ لما قال له انك لست بمثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وقوله والله اني لأرجو ان اكون اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى ، لم يمكننا استعمال الأثرين ووجب ان نعملهما على كون احدهما منسوخا بالآخر فجعلنا حديث عائشة وام سلمة ناسخا للأول لانه اخف مع ان قوله تعالى (احل لكم ليلة الصيام الرفث) الى قوله (من الفجر) يوجب ذلك لانه اذا كان له ان يطأ حتى يطلع الفجر ١٥ لم يكن الغسل الابعده وهذا بين ومع انه روى عن ابي هريرة انه رجع عن فتواه وقال عائشة اعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم مني .

في تناول الصائم البرد

- روى عن انس انه قال مطرت السماء بردا فقال لنا ابو طلحة ناولوني من هذا البرد فحمل يا كل وهو صائم في رمضان فقلت أتا كل البرد وانت صائم؟ فقال إنما هو برد نزل من السماء نظهر به بطوننا وانه ليس بطعام ولا شراب فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال خذها عن عمك ، لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الذي رواه عن انس مرفوعا ليس . ٢٠

من اهل الثبت وانما هو موقوف على ابي طلحة فيحتمل ان ذلك قبل نزول قوله (وكلوا واشربوا) الى قوله (من الفجر) ولعل ذلك من فعله لم يقف النبي عليه السلام عليه فلا يكون شيئا يتمسك به كفتوى زيد بعدم الغسل من الجنابة بايلاج وبلوغ خبره الى عمر وانكاره عليه فقال سمعت من اعمامى شيئا فقلت به فقال من اى اعمامك ؟ فقال من ابي وابى ايوب ورفاعة فالتفت الى رفاعة فقال انا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا نغتسل قال انسأتكم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؟ قال لا ثم قال عمر ائتن اخبرت بأحد يفعله ثم لا يغتسل لأنهم كنهه عقوبة .

في قيء الصائم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فإفطر ، معناه قال فضعف فأفطر فسكت عن ذلك لعلم السامع به مثل قوله تعالى (ذلك كفارة ايمانكم اذا حلقتهم) يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم قال من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه شيء ومن استقاء فليقض ، ولا خلاف بين اهل العلم فيمن ذرعه القيء انه لا قضاء عليه .

في الافطار متعمدا

عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله انى وقعت على اهل في رمضان ، قال اعتق رقبة ، قال ما اجد ها يا رسول الله ، قال فصم شهرين متتابعين ، قال ما استطيع ، قال فاطعم ستين مسكينا ، قال ما اجده يا رسول الله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بمكثل فيه خمسة عشر صاعا من تمر قال خذ هذا فتصدق به قال على احوج منى واهل بيتى ؟ قال فكله انت واهل بيتك وصم يوما مكانه ، لا يعارض هذا ما روى عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افطروا من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقض عنه صيام الدهر وان صامه لأنه ما مورا بالقضاء وان كان لا يدرك ما فاتته

من فضيلة اليوم الذي انظر فيه بعينه وان صام الدهر كما اذا ترك صلاة يجب عليه قضاؤها وان كان لا يدرك فضيلة الاداء في وقته .

في الصيام عن الميت

عن ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة ركبت البحر فنذرت ان الله عز وجل نجها منه ان تصوم شهر افانت قبل ان تصوم فسألت خالتها .
او بعض قرابتها النبي صلى الله عليه وسلم فامر أن يصام عنها .
وروى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه .

وانما لم تأخذ بهذين الحديين لأن ابن عباس وعائشة تركا ما روي من ذلك وقالوا بخلافه وهما العدلان فيما قالوا فاعلمنا انها لم يتركها ما سمعا الا الى ما هو اولى منه مما قد نسخه كما قال محمد بن سيرين في متعة الحج هم يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حضروها وهم نهوا عنها فما في مذهبهم ما يتهم ولا في رأيهم ما يستقصرون الذي رجع اليه ابن عباس هو ما روى عنه لا يصلي احد عن احد ويفتدى الكبير اذا لم يطق الصيام .
وروى عن عائشة انها سئلت عن امرأة ماتت وعليها صوم شهر .
فقالت اطعموا عنها .

في الفدية

روى عن عطاء ومجاهد انها سمعا ابن عباس يقول (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) ايست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا ، وفي رواية مجاهد عنه .
نصف صاع عن كل يوم ، وروى سعيد بن جبير عنه في قوله (وعلى الذين يطيقونه قال الذين يتجشمونه ولا يطيقونه يعني الا بالجهد الجبلي والمريض والكبير وصاحب العطاش ، فاختلفت الروايات عنه في يطيقونه ويطوقونه

واتفقت على إعادة البديل من الصيام الى الاطعام لا الى الصيام ، وروى عن سلمة بن الأكوع أنها منسوخة نسخها قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) الآية وقد كان الناس يخبرون بين الصيام والاطعام ، قال الطحاوي فكان الله رد البديل من الصوم الى الفدية بالاطعام لا الى ما سواه من صيام ممن وجب عليه ثم نسخ ذلك بما في الآية الثانية وبقي ما في الآية الأولى مما يفعله من عجز عن الصيام وهو الفدية بالاطعام لا بصيام غيره عنه ويحتمل ان يكون ما في الآثار من الصيام عن الموتي كان قبل نزول الآية المذكورة في الحديث فلما نزلت استعمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاطعام في ذلك الصيام مكانه منهم انس بن مالك وقيس بن السائب كانا قد كبرا فكانا يفطران ويطعمان .

في صيامها بغير اذن زوجها

عن ابي سعيد الخدري انه قال جاءت امرأة صفوان بن المغطل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان صفوان يضربني اذا صليت ويفطرني اذا صمت ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس وصفوان عنده فقال صفوان يا رسول الله اما قولها يضربني اذا صليت فانها تقوم بسورتي التي اقرأها فتقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت سورة واحدة لكفت الناس ، واما قولها يفطرني اذا صمت فانها تنطلق تصوم وأنا رجل شاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لا تصوم من امرأة الاباذن زوجها ، واما قولها لا يصلي حتى تطلع الشمس فانها اهل بيت قد عرف لنا ذلك لا نستيقظ حتى تطلع الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا استيقظت فصل . كانت تقرأ في صلاتها السورة التي قرأها زوجها في صلاته فظن انه لا يحصل لها الا ثواب واحد فأعلمه النبي صلى الله عليه وسلم انه يحصل لها بها ثوابان ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصوم لمنعهما نفسها من الزوج فاذا لم يكن به حاجة اليها اما لغيبته او لاستغنائه عنها بغيرها فلا بأس بالصوم

وان لم يأذن لها الزوج يؤيده حديث ابى هريرة مرفوعا، لا تصوم امرأة وزوجها
شاهد إلا باذنه، وقوله اذا استيقظت فصل، لا حجة فيه لمن يقول بجواز الصلاة
المكتوبة عند الطلوع لان النبي صلى الله عليه وسلم لما نام واحمها به حتى طلعت
الشمس لم يصل الصبح عند ذلك حتى خرج وقتها الى انتشار الشمس وبياضها
فعنى قوله فصل أى كما يجب ان يصل فى الاوقات التى يصل فيها ألا ترى انه
لم يطلق له ان يصل كما يستيقظ من غير وضوء ولا ستر عورة وانما اطلق له ان
يصل كما ينبغي ان يصل متلبسا بشرائطها وآدابها محترزا عن مكرهاها
ومقتضاها وانما خاطب صلى الله عليه وسلم صفوان بذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم
بمعرفة ما ينبغي اذ هو كان صحابيا فقيها وعسا قد كان معه فى سفره ليلة التمر يس
فأكتفى به عن اعادته .

فى ستة من شوال

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابى ايوب الانصارى
انه قال من صام رمضان واتبعه ستة من شوال فكأنما صام السنة، وعن ثوبان
مولى رسول الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الحسنة
بعشر فشهرا عشرة اشهر وستة ايام بعد الفطر تمام السنة، لا يقال فيه تسوية بين
صوم رمضان وغيره ولا خلاف فى فضله على غيره لان الله تعالى كما كفى عن
صائم رمضان ما يكون منه فى بقية عشرة اشهر من سنته على ما روى : من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، وروى : من قام رمضان -
الحديث، وروى من صام رمضان وقامه ايمانا واحتسابا - الحديث - لصيامه القرض
وقيامه المسنون كذلك تفضل بصوم ستة ايام من شوال فيكون الحسنة ٢٠
بعشر امثالها فيكون ذلك مع ما جاد به لصائم رمضان كفارة للسنة كلها .

فى عاشوراء

روى عن قيس بن سعد انه قال كنا نعطي صدقة الفطر قبل ان تنزل

الزكاة ونصوم عاشوراء قبل ان ينزل رمضان فلما نزل رمضان ونزلت الزكاة لم يؤمر به ولم ينه عنه وكنا نفعله، ونخرج من طرق و ذكر مثله في يوم عاشوراء عن ابن مسعود وعائشة وجابر، وروى عن ابن عباس انه كان يصام بخلاف ذلك قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسالوا هذا اليوم الذي اظهر الله فيه موسى على فرعون فقال لانتم اولى بموسى منهم فصوموه ففيه انهم كانوا يصومونه للشكر لا للفرض ويحتمل انه كان للشكر ثم فرض عليهم فكانوا يصومونه للفرض، ويدل عليه ما روى قتادة عن عبد الرحمن بن سبله الخزاعي عن عمه قال غدونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة يوم عاشوراء وقد تغدينا فقال أصمتم هذا اليوم ؟ فقلنا قد تغدينا قال فأتوا ببقية يومكم .

وما روى عن ابي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم عاشوراء فعظم فيه امره ثم قال لمن حواه من كان لم يطعم منكم فليصم يومه هذا ومن كان قد طعم فليصم بقية يومه ، فدل هذا انه كان حينئذ كسهر رمضان وانما امر يومئذ بالامساك عن الأكل بقية اليوم ولم يؤمر بقضائه لان الفرض كان لحقهم في يوم عاشوراء بعد ما دخلوا فيه وكان دخولهم فيه وهو غير مفرض عليهم دل عليه ما في حديث ابي سعيد الذي ذكرناه من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ومن امره من كان حواه بصومه فكانوا اكن بلغ في رمضان او اسلم فيه فيؤمر بصوم بقية يومه وان كانوا قد اكوا ولا يؤمرون بقضائه ، واما ما في حديث تيس مما ذكرناه في زكاة الفطر فقد روى عن ابن عمر ما يخالفه قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن كل صغير وكبير وحر وعبد صاعا من شعير أو صاعا من تمر قال فعده الناس يمدن من حنطة وذكره من طرق في بعضها مكان امر فرض بغير تعديل وفي بعضها ذكر التعديل ، وذلك لا يكون الا مع بقاء فرضها فهو مخالف لما قاله تيس غير أنه يحتمل انه كان فرضا واجبا كوجوب الصلوات الخمس وكوجوب زكاة المال في تكفير الواحد فلما

فرضت زكاة الأموال انتقل الفرض اليها وجعل الفرض في زكاة الفطر دونه حتى لو جحدته لا يكفر كما كان قبل .

في صيام العشر

عن عائشة: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صائماً في العشر قط،

- وروى مرفوعاً من رواية ابن عباس وابن عمرو عبد الله بن عمرو بن العاص .
 وجابر واللفظ لابن عباس انه قال ما من عمل اذكى عند الله ولا أعظم منزلة من خير عمل في العشر من الأضحي ، قيل يا رسول الله ولا من جهاد في سبيل الله بنفسه وماله ؟ قال ولا من جهاد في سبيل الله بنفسه وماله الا من لم يرجع بنفسه وماله ، فيجوز أن يكون تخلفه صلى الله عليه وسلم عن صيام العشر مع ماله من الفضيلة لاشتغاله بما هو أعظم منزلة من الصوم كالصلاة وذكر الله وقراءة القرآن وكان الصوم يضمفه كما روى عن ابن مسعود أنه كان لا يكاد يصوم فإذا صام صام ثلاثة أيام من كل شهر ويقول اني اذا صمت ضعفت عن الصلاة والصلاة احب الي من الصوم ، ومن قدر على جمع الصوم مع غيره فقد ميل اليه احرازاً لفضيلته . وللناس فيما يعشقون مذاهب .

في «الصوم الى»

١٥

روى عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل عمل ابن

- آدم فهو له الا الصيام هو لي وأنا اجزي به ، كأنه يحكيه عن الله والذي نفس محمد بيده خلفه فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك . قيل الصوم ليس بعمل لانه ترك الأشياء ولكن الله تعالى يثيب على تركها كما يثيب على الأعمال الصالحة فيكون الا الصيام بمعنى لكن كقوله تعالى (الا من تولى وكفر فيعذبه الله)
 ٢٠ . وعلامته ان يكون بعد الاخير تام واذا لم يكن بعد الاخير تام فهو استثناء كقوله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا) قال القاضي احتياج الصوم الى النية دال على انه عمل لكنه من اعمال القلوب .

قلت في الصوم اتعاب البدن وليس له نظير في اعمال القلوب

واحتياجه الى النية ليصير عبادة لا ليصير عملا والوجه في تخصيص الصوم بانه
 لله كون الصوم غير ظاهر فلا يعلمه من صاحبه غير الله تعالى فلا يمكن ان يراد به
 سواء وسائر العبادات صلاة وصدقة وحج وغيرها تظهر من فاعلها فيمكن
 ان يراد بها غير الله تعالى فلها كان الصيام مما ينفرد الله بمعرفته ان اخفاء ولا يقصد به
 سوى الله اضيف اليه بخلاف سائر العبادات والله اعلم .

في اى الصيام افضل

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 احب الصيام الى الله صوم داود كان يفطر يوما ويصوم يوما واحب الصلاة
 الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، مع
 ما روى عن ابى هريرة انه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اى الصلاة
 بعد المكتوبة افضل ؟ قال صلاة فى جوف الليل قال وأى الصيام افضل ؟ قال
 شهر الله الذى يدعونه المحرم ، لاتضاد فى الأفضل من الصيامين لان المعنى ان
 المحرم افضل الاوقات لمن اراد أن يصوم صوما خاصا وصيام داود افضل
 لمن اراد أن يصوم دائما ففي المحرم فضل الوقت وفى صوم داود فضل
 الدوام ، ومنه ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال اتيت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بصيام قال صم يوما ولك تسعة
 ايام قال قلت يا رسول الله انى اجد قوة فردنى قال صم يومين ولك ثمانية
 ايام قال قلت يا رسول الله انى اجد قوة قال صم ثلاثة ايام ولك سبعة
 ايام فما زال يحط به حتى قال ان افضل الصوم صوم ابنى داود صوم يوم
 وافطار يوم فقال عبد الله لما ضعف لىتنى قبلت ما امرنى به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

وفى ما روى عنه انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صم يوما ولك
 عشرة ايام قال زدنى يا رسول الله فان لى قوة قال صم يومين ولك تسعة
 ايام قال زدنى فان لى قوة قال صم ثلاثة ايام ولك ثمانية ايام ، قال ثابت

فحدثت بذلك مطرفا فقال ما اراه الا زياد في العمل وينقص من الأجر فقيه
انه جعل لعبد الله بن عمرو في صوم اليوم الاول عشرة ايام يعني ثوابها ثم
جعل له باليوم الثاني الذي زاده تسعة ايام يعني ثواب صيامها وباليوم
الذي زاده بعد ذلك ثمانية ايام يعني ثواب صيامها فكل ما كثر عمله قل اجره (١)
ووجهه ان بصوم اليوم الأول قوته على قراءة القرآن والصلاة باقية من
غير نقص فله الأجر كاملا بعشرة كاملة فأمره صلى الله عليه وسلم بالصيام الذي
يبقى معه قوته ليصل الى الأعمال التي نفعها افضل من الصيام فلما قال له زدني
زاده يوما يكون ضعفه اكثر مما يكون عليه بصيام يوم فينقص بذلك خطئه
من هذه الاعمال التي نفعها افضل فرد ثوابه على اليومين اللذين يصومهما مع
تقصيره عن الأعمال الى دون ثوابه على صوم اليوم الأول وكذلك رده
في صيام الثلاثة الايام من الثواب الى ما دون ثوابه على صيام يومين لهذا
المعنى (٢) وسنه ما روى عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم احب الصيام

(١) بحاشية الاصل - قلت وفي توجيهه نظرا لانه يلزم ان يكون صوم يوم
وافطار يوم اقل درجة من صوم يوم في عشرة وقوله احب الصيام الى الله
صوم داود فيه والحديث يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اجاب عن قوله مرني
بصيام بقوله صم يوما في عشرة ايام واصرف السبع الباقية الى الحفظ المباحة
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان لنفسك عليك حقا، ولزوجك عليك حقا، فلما
استزاده قال يومين ولك ثمانية وكذا صم ثلاثة ولك سبعة وكذا قال له صم
اربعة ولك ستة بدليل قوله فما زال يحط به حتى قال ان افضل الصوم صوم
انتي دواد هو أن يصوم خمسة ايام ويكون له خمسة وجعل هذا افضل الصيام
فكلما كثر الصوم كثر الثواب لا كلما قل كثر فافهم .

(٢) بحاشية الاصل - قال القاضي تابع الطحاوي مطرفا على خطأ في تأويله
اذ يلزم منه ان الحسنات لا يذهبن السيئات وهو خلاف النص والحامل لها على
هذا التأويل البعيد ما روى بطريق آخر صم يوما ولك اجر عشرة ايام - صم

الى الله عز وجل صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما .

لا يقال فيه ان صيام داود افضل وفيه الزيادة على الصيام المذكور في الحديث الذي قبل هذا فدل على ان صوم ثلاثة ايام احب من صوم يومين وصوم يومين احب من صوم يوم وهذا خلاف ما ذكرنا آنفاً لأننا نقول لا مخالفة بينهما لان هذا اخبار عن صوم داود عليه السلام وحال الانبياء في صيامهم ليس كغيرهم ألا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الناس عن الوصال وواصل هو فقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني ، فكذلك داود يكون صومه احب الى الله بخلاف غيره . وما يدل على ان قلة

يومين ولك اجر تسعة ايام - وصم ثلاثة ايام ولك اجر ثمانية ايام - لكن اذا ثبت هذا فتأويله انه اراد صم يوما من كل احد عشر يوما ولك اجر فطر العشرة الايام التي تفطر منهن ويومين ولك اجر التسعة الايام التي تفطر منهن وثلاثة ايام منها ولك اجر فطر الثمانية فأعلمه صلى الله عليه وسلم ان انه في فطر ما يفطر بها اجر الا أنه يتقوى به على الاعمال الصالحة فتدبه من صوم يوم ويومين الى يوم ويوم مترقيا من الأدنى الى الأعلى وسكت عن اجر الصوم لأنه معلوم مقرر بخلاف اجر الفطر ألا ترى ان صوم يوم عرفة اغير الحاج افضل وفطره للحاج افضل ويؤجر على ترك صومه لحاجته الى التقوى على الاعمال والدعاء انتهى بمعناه دون نفيه - قلت ما ذهب اليه الطحاوي من اعمار ثواب صيامها اظهر من اعمار اجر فطرها لان الكلام سيق لثواب الصيام لا لثواب الفطر وكل منهما محتمل والتأويل من المجهود الذي يخطئ . ويصيب والله اعلم بما اراد قائله الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم فان الصوم كف عن الشهوات والفطر اقام عليها فكيف يكون عبادة مع موافقة النفس لها والفطر كما يصلح سببا للاعمال الصالحة يصلح لضدها ايضا فنفس الفطر ليس بعبادة إنما العبادة ما يؤتى به بعده فأذن لاجر الأعمال الحسنة لا للفطر فانهم .

- الصيام مع الملازمة بالأعمال المتعرب بها الى الله افضل ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم انبأ انك تصوم الدهر وتقوم الليل ؟ قلت انى اقوى قال انك اذا فعلت ذلك نفهت له النفس وهجمت له العين الى ان قال فصم صوم انى داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفطر اذا لاق ، فأخبر ان داود مع صيامه هذا كان لا يفطر اذا لاق ابقاء • قوته ولم يخرج به الصوم عما كان عليه من القوة بخلاف غيره لما يدخل على نفسه من الضعف في بدنه الذى يقطعه عن ذلك كما روى عن انس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فزلنا في يوم شديد الحر فمنا الصائم ومنا المفطر واكثرنا ظلالا صاحب الكساء ومنا من يستتر من الشمس بيده فسقط الصوم وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله • صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون بالأجر اليوم - وفي هذا كشف للعاني الذى ذكرناها فيما تقدم .

في «شهر اعيد لا ينقصان»

- عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن ابى بكرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر اعيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة ، يعنى العبادة • ١٥ فيها كاملة تامة في الصوم والحج وان كانا ناقصين في العدد كما لها فيها لو كانتا ثلاثين ثلاثين ولا يصح حمله على نقصان العدد لوجود النقصان فيها عدداً وفي احدهما دون الآخر مع ان قوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، الحديث يحقق النقصان في بعض السنين ، وروى هذا الحديث عبد الرحمن ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن ابى بكرة على خلافه فقال فيه كل شهر حرام ثلاثون • ٢٠ يوماً وثلاثون ليلة ، وليس بشيء لان عبد الرحمن بن اسحاق لا يقاوم خالد الحذاء ولأن العيان يدفعه ، قال القاضي ولو صح لكان معناه في الأجر والثواب ، ويحتمل ان يكون «شهر اعيد لا ينقصان» كان في عام بعينه ، ويحتمل

ان يكون على الأعم الأغلب لأنهم لا يجتمعان فافضين في عام واحد الا نادرا، والله اعلم

في صوم يوم عرفة

روى عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ايام الأضحي وايام التشريق ويوم عرفة عيدنا اهل الاسلام ايام أكل وشرب، هذه الأيام سوى يوم عرفة مخصوصات بمعنى يتقرب به الى الله تعالى فيها من صلاة ونحر وتكبير عقيب المكتوبات فصارت بذلك اعيادا في جميع المواضع ووجدنا يوم عرفة مخصوصا بمعنى يتقرب به وهو الوقوف بعرفة لاهل الحج دون غيرهم من الناس فصار لهم بذلك عيد فلم يصالح لهم صومه بخلاف غيرهم ممن ليس له بعيد، يؤيده ما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يوم عرفة بعرفة فصيام يوم عرفة فيما عدا عرفة جائز من حوله، روى ابو قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن صيام يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية .

لا يقال ان صام من عليه واجب يوم عرفة بعرفة عند اجزائه بخلاف من صام يوما من تلك الأيام عن واجب عليه لا يحز به فكيف اقرقت احكامها وهي مجموعة بمعنى واحد، لأن الاشياء قد تجتمع في شيء واحد واحكامها في انفسها مختلفة، من ذلك قوله تعالى (فلا رث ولا نسوق ولا جدال في الحج) لجمع الله هذه الأشياء في نهى واحد واحكامها مختلفة لأن الرث وهو الجماع يفسد الحج وما سواه لا يفسد الحج فكذلك ما جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهى عن صومه من الأيام المذكورة مع المخالفة بين احكامها .

كتاب الاعتكاف

فيه ثلاثة احاديث

في اعتكاف المرأة

عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد

أن يعتكف

(١٩)

- صلى الصبح ثم دخل المكان الذي يريد أن يعتكف فيه فأراد أن يعتكف في العشر الأواخر فأمر بضرب له خباء وأمرت حفصة بضرب لها خباء فلما رأت زينب خباءها أمرت بخباء ففرض لها فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البر تودن فلم يعتكف في رمضان واعتكف عشرا من شوال - وفيما روى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد الاعتكاف فاستأذنته عائشة لتعتكف معه فأذن لها ففرضت خباءها ففصلتها حفصة لتستأذنه لها لتعتكف معه فلما رأت زينب ضربت معهن وكانت امرأة غيرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبئتهن فقال ما هذا؟ البر تودن؟ فترك الاعتكاف حتى افطر من رمضان ثم انه اعتكف في عشر من شوال - فيه اذنه صلى الله عليه وسلم لنسائه في اعتكاف المسجد فذهب اهل الحجاز الى تجويز اعتكاف النساء في المساجد كما يعتكف الرجال ولا حجة لهم في هذا الحديث اذ يحتمل ان يتسع لنسائه صلى الله عليه وسلم لكونه معهن بحق الزوجية ولحرمتهم على جميع المسلمين ما لم يتسع لغيرهن يؤيده قول عائشة لو ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احديثه النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعت نساء بني اسرائيل مع تفضلهن وفهمهما ان النساء كان لهن اتيان المساجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس لهن بعده واذا كن كذلك في حياة عائشة كن بعد موتها ابعد فلم انهن ان اردن الاعتكاف ففي غير مساجد الجماعات .

في الاعتكاف فيما سوى المساجد الثلاثة

- روى عن حذيفة انه قال لعبد الله بن مسعود عكوف بين دارك ودار أبي موسى لا تغير وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اعتكاف الا في المساجد الثلاثة المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد بيت المقدس قال عبد الله اهلك نسيت وحفظوا واخطأت واصابوا - لم ينكر ابن مسعود - على حذيفة ما حققه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكره بقوله ، اهلك نسيت وحفظوا ، يعني اهلك نسيت نسخ ذلك وحفظوه وظاهر القرآن يدل

عليه (وأنتم عاكفون في المساجد) على العموم وعليه المسلمون في الاعتكاف في مساجد بلدانهم التي لها الأئمة والجماعة إلى يومنا هذا .

في الصوم للاعتكاف

عن عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم فقال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف في المسجد الحرام فقال ف بنذرك - ليس فيه ذكر نذر عمر ما كان فروى عنه انه كان نذر اعتكاف ليلة في المسجد الحرام فاحتج بذلك من ذهب الى اجازة الاعتكاف بلا صيام وروى عنه انه كان نذر اعتكاف يوم ، فتكافأت الروايتان فسقط الاحتجاج وروى عن ابن عباس وابن عمرو عائشة ان الاعتكاف لا يكون الا بصوم .

١٠ وعن ابي سهيل قال اجتمعت انا وابن شهاب عند عمر بن عبد العزيز وكان على امرأتى اعتكاف ثلاث في المسجد الحرام فقال ابن شهاب لا يكون الاعتكاف الا بصيام فقال عمر بن عبد العزيز أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال لا قال أفمن ابي بكر؟ قال لا قال أفمن عمر؟ قال لا قال أفمن عثمان؟ قال لا قال ابو سهيل فانصرفت فوجدت طاووسا وعطاء فسألتها عن ذلك فقال طاووس كان ابن عباس لا يرى على المعتكف صيا ما الا ان يجعله على نفسه قال عطاء ذلك رأي فعلم بهذا أن هذا مما تكافأت فيه الأقوال فوجب أن يرجع في مثله الى النظر فهو الذي يقضى بين المختلفين فوجدنا من ذهب الى تجويزه بغير صوم ومنهم الشافعي استدلل بأن المعتكف يدخل عليه الليل وهو معتكف مع انه لا صوم في الليل فليس الصوم لازما له ولكن لما نعيم وهم أبو حنيفة واصحابه وما لك واصحابه والثوري واصحابه ان يقولوا كما لا ينتقض الاعتكاف بعد صمته بالخروج من المسجد لحاجته فيصير في الطرقات والمنازل التي لا يصلح له الاعتكاف فيها لا ينتقض بدخول الليل عليه وان لم يصلح للصوم فيه بجامع الضرورة وهو أنه لا بد له من قضاء الحاجة ودخول الليل عليه مع ان الخروج بفعله ودخول الليل لا بفعله .

قال القاضي والأوجه ان يقول لو كان بقاء المعتكف على اعتكافه في الليل وليس بصائم فيه دليل على جواز الاعتكاف بغير صوم لكان خروج المعتكف عن المسجد الذي هو موضع الاعتكاف الى حاجة الانسان وبقاؤه على اعتكافه في الطرقات والمنازل حتى يعود الى المسجد دليلا على جواز الاعتكاف في غير المساجد ولكن ليس فليس انتهى بمعناه ولأن اللبث في الأماكن لا يوجد قرابة الا بتجرم من اللابث كمرقة والمزدلفة ومنى ولهذا لا يكون قرابة في غير الحج لعدم التحريم فكذلك اللبث في المسجد اذا كان في حرمة بان اللابث فيه عن اللابث فيما سواه من البيوت وليس لنا حرمة الا حرمة الصيام فلا يكون اعتكافا الا بصيام وما روى عن يعلى بن أمية انه كان يجلس في المسجد ساعة وبعد ذلك اعتكافا ، لا يصح عنه لأن عطاء يرويه عنه وليس له سماع منه ، وأثن صح فانه يسمى نفسه معتكفا باقعود والاقبال على الذكر فيه على معناه اللغوي قال تعالى (سواء العاكف فيه والباد) لم يكن على الاعتكاف المختلف فيه بل على تساوى الجلوس فيه وانه ليس بعضهم اولى به من بعض .

كتاب ليلة القدر

١٥

روى عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروها لعشر يمين من شهر رمضان - فيه ذكر الباقي من الشهر في طلب ليلة القدر في ليلة من ليالي الشهر المطاوعة فيه وكان قوم من اهل العلم لا يؤرخون بالباقي من الشهر وان كان قد مضى اكثره لانهم لا يعلمون مقدار الباقي منه ويحتجون بما روى ان ابن عمر سمع رجلا يقول اليوم نصف الشهر والليلة نصف الشهر فقال ويحك وما يدريك قال الرجل اليوم خمسة عشر والليلة خمس عشرة فقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا وهكذا وقبض في الثالثة واحدا كأنه يعتقد تسعة وهو من عبد الله بن عمر استخراجه حسن من حديث عائشة الذي بدأنا بذكره لانه قد يحتمل ان

٢٠

يكون الرسول اعلمه الله تعالى قبل ذلك الباقي من الشهر كم هو فقال ذلك القول على التماسها في شهر بعينه الباقي منه ذلك المقدار وقد دل على ذلك سؤال الصحابة عن ليلة القدر فقال صلى الله عليه وسلم التمسوها لمضي ثلاث وعشرين فقال رجل فهي أولى ثمان فقال انها ليست أولى ثمان ولكنها أولى سبع ما تريد بشهر لا يتم ، فكان في هذا الحديث ما قد دل على انه اراد شهرا بعينه كان منه فيه ذلك القول الذي دل على نقصانه .

فان قيل فقد روى عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا ليلة القدر في العشر الاواخر تسعا ييقن وسبعاً ييقن ، فدل ذلك على ان تلك الليلة مطلوبة بذكر ما بقي من الشهر وذلك يدفع ما ذكرت - قيل - يحتمل أن يكون قصده الى شهر بعينه قد وقف على حقيقة عدده واحتمل ان يكون مطلوبه في سائر الدهر سواء فيما قد يحتمل ان يكون تسعا ييقن وسبعاً ييقن وخمسة ييقن حتى يكون جميع من طلبها في ذلك مصيباً لحقيقتها في بعضها والله نسأله التوفيق .

كتاب الحج

فيه ثمانية وثلاثون حديثاً

١٥

في رفع الصوت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبرئيل فامرني ان آمر اصحابي ان يرفعوا اصواتهم بالالهلال ، وخرج ذلك من طرق كثيرة والفاظ متقاربة ومعان متفقة ، لا يعارضه ما روى عن ابي موسى الاشعري لما دنونا من المدينة اقبل الناس يرفعون اصواتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا ايها الناس انكم لا تدعون اسم ولا غائباً ان الذي تدعون بينكم وبين اعتناق اكتافكم ، ثم قال يا ابا موسى ألا ادلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله ، وفي حديث آخر رفع الناس اصواتهم بالتكبير فقال يا ايها الناس اربعوا على انفسكم ، الحديث لأن التلبية من شعار

الحج

الحج فسيبيله رفع الصوت بها - روى عن ابى بكر الصديق قال سئل رسول الله صلى الله وسلم اى الحج افضل ؟ قال المعج والثج - فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج نحر البدن فشعار الحج رفع الصوت بالتلبية فبان الحج بذلك كما بان به فى سوى التلبية من حلق الرأس عند الاحلال ومن اجتناب المحظورات ولم يكن رفع الصوت بالتكبير فى حديث ابى موسى من شعار دخول المدينة . فلم يكن له معنى فظهر الفرق واندفع التعارض .

فى دخول الكعبة

عن عائشة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقلت مالك يا رسول الله حزينا ؟ فقال انى دخلت الكعبة وددت ان لا اكون دخلتها اخشى ان اكون أتعب امتى ، خاف النبي صلى الله عليه وسلم ظن الامة بعدم تمام الحج الا بالدخول فيها اذ هو قربة كسائر القرب التى فعلها صلى الله عليه وسلم ليقضى به فيها وهذا نحو قوله لبنى عبد المطلب : فلولاً ان يغلبكم الناس على سقياكم انزعمت معكم فناولوه دلوفا شرب .

فكان تركه لذلك خوف اقتداء الناس به فيحصل مشقة لأهلها على ما اليهم امرها (١) دون من سواهم ومثله فى ترك التراويح قوله خشيت ان تكتب عليكم ،

فى ما يرخص للمحرم

روى عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص اذا اشتكى المحرم عينه ان يضمدها بالصبر ، الصبر لوس بطيب ولكن فى التضميد تغطية بعض الوجه اذ لو لم يكن كذلك لقيل له زمام لاضاد ولا يعارضه ما روى .

ان عثمان غطى وجهه وهو محرم لانه يحتمل انه فعله لضرة دعت اليه وكفر مع ذلك كما روى عن ابن عباس انه قال لمولاه زرعى طيلسانى فقال له كيف

(١) كذا ولعله ما لهم من امرها - ح .

تنتهى عن هذا؟ فقال اريد أن افتدى لعل عثمان فعله ليفتدى وفيما ذكرنا ما علم به ان تغطية الوجه في الاحرام حرام على المحرم - وعن ابن عمر ما فوق الذقن من الرأس لا يخمره المحرم ، وهو القياس لان المرأة في الاحرام لا تغطي وجهها مع سعة الأمر عليها في احرامها في تغطية الرأس ولبس المخيط فالرجل بذلك اخرى وهو قول ابى حنيفة ومالك .

في الثوب المعصر

روى عن ام عطية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدد المرأة فوق ثلاثة ايام الاعلى زوج فانها تحدد عليه اربعة اشهر وعشرا ولا تلبس ثوبا معصرا الاثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس طيبا الا نبذات من قسط انظار فيه ان العصر من الطيب لانه انما نهيت عنه لأجله ولو كان لأجل الزينة نهيت عن العصب لانه فوق المعصر في الزينة وفي هذا ما يؤيد مذهب ابى حنيفة واصحابه في العصر أنه ممنوع في الاحرام .

في لبس الخفين

روى عن عامر قال سمع عمر مع عبد الرحمن بن عوف الغناء فأتاه في بعض الليل فلما أصبح رأى عليه خفين قال والخفان مع الغناء قال لقد لبستها مع من هو خير منك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - قيل لا حجة فيه اذ لم يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان وقف على ذلك منه فأمضاه له - قلنا روى عن عبد الرحمن ما يدل على وقوف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك منه وتركه الذكر عليه فيه وهو ما روى عن عامر قال خرجت مع عمر الى مكة ورجل معنا يرتجز فلما ان طلع الفجر قال لهيه اذكر الله طلع الفجر ثم التفت فرأى على عبد الرحمن خفين وهو محرم فقال وخف ايضا وانت محرم؟ قال فعلته مع من هو خير منك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعبه على - ففيه ما دل على جواز لباس الخف في الاحرام عن النبي صلى الله عليه وسلم .

- وعن أبي الشعثاء قال أخبرنا ابن عباس سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفة يقول من لم يجد أزار البس سراويل ومن لم يجد نعلين لبس خفين قلت ولم يقل يقطعها؟ قال لا - ونرجه من طرق عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وحدث مالك عن نافع عن ابن عمر أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما نلبس من الثياب إذا أحرمتنا؟ فقال لا تلبسوا السراويلات ولا العمام ولا البرانس ولا الخفاف إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس خفين أسفل من الكعبين فكان في هذه الآثار لمن لم يجد النعلين من المحزمين من الرجال أن يلبس الخفين بعد أن يقطعها أسفل من الكعبين - لا يقال هذه معان متضادة لاختلاف أوقاتها فانه كان لباس الخفاف في الأحرام مباحا حالة الاختيار كما في حديث عبد الرحمن ثم نسخ ذلك بما في حديث ابن عباس وجابر بإباحة لبسها عند انعدام النعال من غير قطع ثم نسخ ذلك بما في حديث ابن عمر بالإباحة بعد أن يقطع أسفل من الكعبين وهذا باب من الفقه اختلف فيه أهله بعد الإجماع على نسخ الإباحة مطلقا فقال بعض بالإباحة عند العجز وهو مذهب الشافعي والثوري في قول وقال بعض بالإباحة بشرط القطع من أسفل الكعبين وهو أبو حنيفة وأصحابه ومالك وأصحابه ووجه ذلك في النظر أن الأشياء المحظورات كلبس الثياب وحلق الشعر تدفع الضرورة إليها الاثم في استباحتها ولا تدفع الكفارة فكذلك إذا احتيج إلى لبس الخفين لعدم النعلين يرتفع الاثم دون الكفارة الواجبة عليه في ذلك مع وجود النعلين .

في صيد المحرم

- روى عن عبد الرحمن بن أبي عمار أنه سأل جابر بن عبد الله عن الضبع فقال آكلها؟ قال نعم فقلت أصيد هي؟ قال نعم قلت وممعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم - قد أنكر يحيى بن سعيد القطان على عبد الرحمن ابن أبي عمار فقال كان يحدث به عن جابر عن عمر ثم صيره عن جابر عن

النبي صلى الله عليه وسلم وقد خالف ابراهيم الصائغ فيما روى عن عطاء عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الضبع؟ فقال هي من الصيد وجعل فيها اذا اصابها المحرم كبشاً مسناً وتؤكل - منصور بن زاذان وعبد الكريم بن مالك فرويا عن عطاء عن جابر أنه قال في الضبع اذا اصابها المحرم كبش - واثنان اولى بالحفظ من واحد فوجب بما ذكرناه رد الحديث الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس انه نهى عن اكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى غلب من الطير - وروى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكل كل ذى ناب من السباع حرام - وكانت هذه السنة قائمة ظاهرة في ايدي العلماء وكان أئمة الامصار الذين تدور عليهم الفتوى متمسكين بتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذى ناب من السباع غير مختلفين فيه فوجب دخول الضبع في ذلك لانها ذوات ولم يجز اخراجها منه .

قال القاضي - وفيه نظر لأن ما لا يحرم اكل كل ذى ناب من السباع وانما ذلك عنده مكروه - قال الطحاوي - وما روى عن ابن عباس انه سئل عن اكل لحوم الجمر الأهلية فلم ينفه عن ذلك وتلا قوله تعالى (قل لا اجد فيها اوحى الى محرما) الآية مجمل على انه ما كان عالما بالتحريم حتى وقف على تحريم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ما حرمه من ذى الناب من السباع وذى الغلب من الطير ثم علم انه مستثنى مما انبع بهذه الآية ولاحق بما حرم بها وهذا كما قال من دونه وهو الزهري انه لم يسمع بنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع حتى دخل الشام اى فسمعه وأخذه وقد كان معه علم ذلك بالمدينة فسقط عنه فاستثنى كل واحد من العلماء من الآية ما بلغ اليه تحريمه عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك محمودا لتمسكه بكتاب الله تعالى ولما اعلمه به رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما استثناه من مجمل الكتاب .

في صيد البر

- ذهب الشافعي الى ان المحرم من صيد البر على المحرم ما يحل له اكله في حال الاحلال وكان ابن عمر أن يحكى عن اصحابه الذي حرم منه هو ما كانوا يصيدونه لياكلوه وليطعموا لجوارحهم مما لا يأكلونه كالذئب وذوى الناب •
- من السباع وذوى المخالب - ن الطيور - وهذا القول اولى لأن الله تعالى عم الصيد لما كوله منه وغيره بقوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) لكن استدلاله بقوله لما اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرم قتل الخمس الدواب دل على ان سواها غير مباح له قتلها فاسد إذ لا يمتنع ان يكون غير الخمس لاحقة بالخمس لعدم النص بمنع اللاحق مثل ما روى انه قال صلى الله عليه ١٠ وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ، الذى لا يعطى شيئا إلا منة والمسبل ازاره والمفق سلعته بالخلف الفاجر ، فلم ينتف بذلك ان يكون غيرهم يلحق بهم اذ قد روى : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، شيخ زان ومك كذاب وعائن مستكبر - وفي حديث آخر ، رجل على فضل ماء بالطريق يمنعه من ابن السبيل ورجل حلف على سلعته بعد العصر ١٥ لقد اخذها بكذا وكذا فصدته الذى باعه منه فأخذها وهو كاذب ورجل باع اما ما لا يبايعه الا لادنيا فان اعطاه وفى وإن لم يعطه لم يف . فان قال كل من الثلاثة الحق بنصوص ولم يوجد نص فى الحاق ما سوى الخمس بها قيل له فكيف ينفى بها غير ما لم يعلم انها قد نفته بالحجة الصحيحة ان الله تعالى عم الصيد بقوله (حرم عليكم صيد البر) فلم يصح ان يخرج من ذلك شئ الا بآية مستورة او سنة ٢٠ ما ثورة او اجماع و اخرجنا الخمس الدواب من ذلك بالسنة المستورة لا ما سواها والله اعلم .

في العمرة في اشهر الحج

روى عن ابن عباس قال كانوا يرون العمرة في اشهر الحج من ابخر الفجود
 وكانوا يسمون المحرم صفر وكانوا يقولون: اذا برأ الدبر وعفى الأثر ودخل
 صفر حلت العمرة لمن اعتمر، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة صبيحة
 رابعة من ذي الحجة وهم ملبون بالحج فأمرهم ان يجعلوها عمرة. فيه ان امره
 صلى الله عليه وسلم الناس بترك الحج بعد احرامهم به واقامة العمرة مكانه
 لنقض ما كانت العرب عليه من تحريم العمرة في اشهر الحج - وما روى عن ابن
 عباس قال والله ما اعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة في ذي الحجة
 الا ليقطع بذلك امر الجاهلية فان هذا الحى من قريش ومن دان بدينهم
 كانوا يقولون اذا عفا الوبر وبرأ الدبر ودخل صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر
 فكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم فهو مستحيل لأن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قبل ذلك امر الناس ان يفتتحو الاحرامهم (١) بالحج ويحرموا
 مكانه بعمرة وفيهم عائشة روى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ولانذكر الا الحج فلما جئنا سرف طمئت فدخل على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأنا انكى فقال ما يبكيك؟ فقلت له لوددت انى لم احج العام
 اولم اخرج العام قال لعلك نفست؟ فقلت نعم قال هذا امر كتبته الله على بنات
 دم فافعل ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفى بالبيت قالت فلما جئنا مكة قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اجعلوها عمرة فخل الناس الا من كان معه
 هدى فكان الهدى معه ومع ابى بكر وعمر وذى اليسارة ثم اهلوا بالحج فلما كان
 يوم النحر طهرت فأرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضت فأقى بلحم
 بقر فقلت ما هذا؟ فقالوا اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر
 حتى اذا كانت ليلة الحصة قلت يا رسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وارجع
 بحجة فأمر عبد الرحمن بن ابى بكر فأردفنى خلفه فانى لأذكر انى كنت انفس

فيضرب وجهي مؤخرة الرجل حتى جفتا التنعيم فأهللت بعمرة حذاء عمرة الناس التي اعتمروها .

ففي هذا الحديث ان عائشة كانت احرمت بالحج كما احرمت الناس ثم عاد احرامها الى العمرة كعود احرام الناس الى مثلها فأمرُوا ان يجعلوها عمرة ثم ادركها الحيض فيها فأمرت برفضها والاحرام بالحج مكانها .

وقد روى عن عائشة ما دل على ما قلنا من انها كانت احرمت بالحج ثم عادت الى العمرة بسبب الحيض الى الحج (١) وروى عنها قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نهل بالحج ومن شاء فليهل بالعمرة قالت فكنت ممن اهل بعمرة فحضت فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني ان اتقض رأسي وامتشطه وادع عمرتي . فبينت في هذا الحديث انها انما خرجت من عمرتها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم اياها بنقض رأسي وامتشطها وتركها اياها ففي هذا كله ما قد دل على ان تقضى النبي صلى الله عليه وسلم لما كان عليه المشركون مما ذكرنا انما كان يفسخهم الحج واحرامهم بالعمرة لا بعمرة عائشة التي كانت ليلة الحصة لانها كانت قضاء لعمرتها التي كانت فيها كسائر الناس فخرجت عنها بالحيض الطارئ

قبل طوافها لعمرتها - وما يدل على ما ذكرناه ما روى ان سراقبة بن جعشم قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما امر اصحابه ان يحلوا من الحج ويجعلوها عمرة يا رسول الله أرأيت عمرتنا هذه لعامتنا هذا ام للأبد ؟ قال فشبك النبي صلى الله عليه وسلم اصابعه في الأخرى فقال دخلت العمرة هكذا في الحج وقوله في حديث ابن عباس الثاني انهم كانوا يحرمون بالعمرة في المحرم والمحرّم ليس من شهود الحج وهم من راويه لأن المستفيض عند الناس من تحريم العرب العمرة انما كان في شهود الحج لا فيما سواها وكذلك نص عليه في حديث ابن عباس الأول لانه قال فيه انهم كانوا يسمون المحرم صفرا فدل انهم كانوا يريدون بقولهم ودخل صفرا أي دخل محرم الذي كانوا يسمونه صفرا وقد روى هذا

(١) هكذا ولعله - ثم عادت الى الحج - ح .

الحديث عن طاووس من وقفه عليه ولم يرفعه الى ابن عباس فقال فيه قد مواء بالحج خالصا لا يخالطه شيء يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يرون العمرة في اشهر الحج من الحجاز الفجور وكان يعجبهم من امر الاسلام ما كان في الجاهلية وكانوا يقولون: اذا برأ الدبر وعفا الوبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر، وهو ايضا وهم وانما هو، ودخل صفر، يريدون به المحرم الذي كانوا يسمونه صفر اذ ليس المحرم ولا صفر من اشهر الحج ورواية من روى عن جابر بن عبد الله قال لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في حجة الوداع سأل الناس بماذا احرمتهم؟ قال انا من اهلنا بالحج وقال آخرون قد منامتمتعين وقال آخرون اهلنا باهلاك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان قدم ولم يسق هديا فليحلل فاني لو استقبلت من امرى ما استدبرت لم اسق الهدي حتى اكون حللا فقال سراقه بن مالك بن جعشم يا رسول الله عمرتنا هذه لعنا من ام للأبد؟ فقال لا بل لأبد الأبد - مستبعدة لانهم لم يكونوا يعرفون العمرة في اشهر الحج فكيف يتمتعون التمتع الذي لا يكون الا بعمره وهو وهم من راويه ورواية من ذكر انهم كانوا احرما بالحج هي الصواب والله اعلم، وكذلك ما روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحج والعمرة فلما قدمنا مكة امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلوا فلما كان يوم التروية اهلوا بالحج .

مما يبعد كانوا لا يعرفون العمرة وكانوا يرونها في اشهر الحج من الحجاز الفجور وكيف يجوز أن يؤمروا بالاحلال من الاحرام الذي كانوا فيه وفيه عمرة الى عمرة وقد كان ابن عمر انكر على انس بن مالك واخبر أن احرامهم انما كان بالحج لاعمره معه وما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس من شاء ان يهل بالحج فليهل ومن شاء ان يهل بالعمرة فليهل هو عندنا والله اعلم على قول كان منه لهم بعد أن فسخوا الحج الذي كانوا احرما به وقد مواء مكة عليه فقال لهم من شاء فليهل بالعمرة حتى يكون بها

متمتعاً ومن شاء أن يهل بالحج بلاعمرة معه لأنه قد قامت الحجة باحلالهم من الحج قبل ذلك فعقل عنهم أن ذلك لم يكن الاسبب أن يريد إباحة الاحرام لهم حيث لا نها كانت محرمة عليهم ولأنه لا يصلح ادخال العمرة على الحج ويصلح ادخال الحج على العمرة فأمرهم بالخروج من الحج لذلك ليتسع لهم الاحرام بالعمرة لمن شاء أن يحرم بها واستثاف حجة لمن شاء أن يحرم بها بلاعمرة معها فيرجع بحجة ولاعمرة معها.

روى عن عطاء عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها إذا رجعت إلى مكة فإن طوافك لحجك يكفيك لحجك وعمرتك - وقد روى عن عائشة هذا الحديث بخلاف هذه الألفاظ من ذلك ما روى عنها من رواية عطاء أيضاً أنها قالت قلت يا رسول الله أكل أهلك يرجع بحجة وعمرة غيري؟ قال انقري فإنه يكفيك - قال حجاج في حديثه عن عطاء فألظت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تخرج إلى التنعيم فتهل منه بعمرة وبعث معها أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر فأهلت منه بعمرة ثم قدمت وطافت وسعت وذبح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الملك عن عطاء بقرة .

ومنه ما روى عن جابر بن عبد الله أن عائشة حاضت فنسكت المناسك كلها غير أنها لم تطف بالبيت فلما طهرت وافاضت قالت يا رسول الله أينطلقون بحجة وعمرة وانطلق بالحج؟ فأمر عبد الرحمن أن يخرج معها إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج في ذى الحجة ، ففي الحديث الأول ما يدل على أنها قد كانت بقيت في حرمة العمرة التي كانت احرمت بها حتى حلت منها ومن الحجة التي كانت احرمت بها في وقت واحد بطواف واحد كما يكون طواف القارن في حجته وعمرته لها غير أن قوله فيه طوافك لحجك يكفيك لحجك وعمرتك ، يبعد في القلوب أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الطواف أن كان للحج فهو له دون العمرة وأن كان الطواف لهما جميعاً لم يجر أن يضاف إلى أحدهما دون الآخر وقولها في الحديث ، أكل أهلك يرجع بحجة وعمرة غيري ،

يدل انها لم تكن حيثئذ في عمرة وانها كانت في حجة لاعمره معها اذ لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من قولها اذ لو كانت في عمرة وحج لكانت هي وغيرها سواء وما فضلوا بشيء. ولما احتاجت الى عمرة بعد الحج وبعد العمرة اللذين كانا منها فاستحال ان يكون الطواف الذي كان منها يجزئها لعمرة لم تكن فيها. وحديث جابر عن عائشة يدل على ذلك ايضا ويخالف الحديث الأول وقد روى عن جابر ايضا ما شد الحديث الأول ان خروجها كان من حجها وعمرتها معا وهو ما روى ابو الزبير عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تبكي فقال ما شانك؟ قالت شأني اني حضت وقد حل الناس ولم احل ولم اطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن قال فان هذا امر كتبته الله على بنات آدم فاغتسلي ثم اهل بالحج ففعلت ووقفت المواقف حتى اذا ظهرت طافت بالكعبة وبالصفا والمروة ثم قال قد حلت من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حتى حججت قال مادمت بها يا عبدالرحمن فاعمرها من التمتع وذلك ليلة الحصة .

قال الطحاوي ولما اختلفت الرواة عن عطاء وجابر في حديث عائشة هذا الاختلاف نظرنا الى رواية غيرهم عنها فوجدنا الأسود بن يزيد قد روى عنها قالت خرجنا ولا نرى الا انه الحج فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة طاف بالبيت ولم يحل وكان معه الهدي فحاضت هي قالت فقضينا منا سكنا من حجنا فلما كانت ليلة الحصة ليلة النفر قالت يا رسول الله ارجع اصحابك كلهم بحجة وعمرة وأرجع بالحج؟ قال أما كنت تطوفين (١) بالبيت لئلا قد منا؟ قالت لا قال فانطلقى مع اخيك الى التمتع فأهل بعمرة ثم موعدك كذا وكذا، قال ففي سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عائشة عن طوافها دليل على انها لو كانت طافت لئلا قد موالت كانت العمرة قد تمت لها فلما لم تطف لم تتم عمرتها وأمرها بالاعتمار من التمتع ليكون لها عمرة مع الحجة

(١) هكذا في النسائي في رواية الاسود - اما كنت طفت .

- التي صادرت لها ويدل على انها قد كانت خرجت من العمرة قبل ذلك انه لا يجوز عند اهل العلم جميعا ان يدخل عمرة على عمرة ويختلفون فيما على من فعل ذلك . فمنهم من يقول لا تلزمه وهو في حكم من لم يحرم بها وهو قول محمد ابن الحسن والشافعي وروى ذلك عن عطاء . ومنهم من يقول قد لزمته فاذا عمل في الاول صار رافضا لهذه التي احرم بها وكان عليه لرفضها دم عمرة مكانها . وهو قول ابي حنيفة ومنهم من يقول لا احرم بها لزمته وكان حينئذ رافضا لها وعليه دم لرفضها وعمرة مكانها وهو قول ابي يوسف - وروى مثله عن محمد بن الحسن ايضا فلما كان ادخال العمرة على العمرة غير محمود عند جميع العلماء استحال ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم امر عاتشة بذلك ودل على انه لم يأمرها بالعمرة الا وقد كانت خرجت من عمرتها التي لم تطف لها لياي .
- ١٠ قدموا اما بتوجيهها الى عرفة مريدة للحج كما تقول طائفة من اهل العلم منهم ابو حنيفة في احد قوليه ان من احرم بعمرة وهو في حجة او كان في عمرة وحجة فتوجه الى عرفة ولم يطف لعمرته انه بذلك رافض لعمرته وعليه لرفضها دم وعمرة مكانها واما بوقوفها بعرفة لحجها كما تقول طائفة انه لا يكون رافضا حتى يقف بعرفة بعد الزوال فيكون حينئذ رافضا لها ويكون عليه دم لرفضها .
- ١٥ وعمرة مكانها وهو قول ابي حنيفة الآخر والله اعلم بأي ذلك كان واستحال بذلك ان تكون قارنة وثبت انها كانت مفردة بحجة لا عمرة اذ كانت قد خرجت من عمرتها قبل ذلك بما خرجت به منها .

- ولا حجة لمن استدل على انها كانت قارنة بما في حديث جابر من ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر عنها بقرة لأنه يحتمل ان يكون نحر عنها لرفضها .
- ٢٠ للعمرة ونحوها منها قبل تمامها كما يقول من ذكرنا عنه من اهل العلم ووجدنا عروة بن الزبير قد روى عنها ما يوجب ايضا خروجها من عمرتها تلك قبل توجيهها الى عرفة وقبل احرامها بالحج وذلك رواية عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فاهلنا بعمرة ثم قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من كان معه هدى فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منها جميعا قالت فقد مت مكة وأنا حائض فلم اطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة فشكوت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انقضى رأسك وامتشطى وأهل بالحج ودعى العمرة ففعلت فلما قضينا الحج أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن فاعتمرت فقال هذه مكان عمرتك قالت فطاف الذين اهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم واما الذين جمعوا الحج والعمرة فانما طافوا طوافا واحدا .

ووجدنا القاسم بن محمد قد روى عنها ما يوجب ذلك غير أنه خالف
 ١٠ الأسود وعروة في شيء من حديثه اذا وقف عليه تبين معناه ثم وافقهما في بقية التي يوجب مما ذكرناه وذلك حديثه عنها انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانذكر الا الحج فلما جئنا سرف طمعت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابكى فقال ما يبكيك؟ فقلت لوددت انى لم احج العام قال لعلك نفست؟ قلت نعم قال فان هذا شيء كتبه الله على بنات آدم فافعل ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفى بالبيت فلما جئنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه
 ١٥ اجعلوها عمرة فحل الناس الامن كان معه الهدى فكان الهدى معه ومع ابى بكر وعمر وذى اليسارة ثم اهلوا بالحج فلما كان يوم النحر طهرت فأرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضت حتى اذا كانت ليلة الحصبه قالت يا رسول الله أيرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع بحجة؟ فأمر عبد الرحمن بن ابى بكر فأرذنى خلفه حتى جئنا التنعيم فأهللت بعمرة جزاء عمرة الناس التي اعتمروها ، ففى هذا الاثر ايضا ما قد حمل (١) على خر وجها من العمرة الأولى التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فى حجبتهم التي كانوا فيها وهى منهم ان يجعلوها عمرة فلم تكن فى وقت طوافها فى عمرة مع الحجة ووافقهم على روايتهم عنها ابن ابى مليكة ايضا وفيما ذكرناه ما يدفع حديث عطاء الذى ذكرناه اولاً لأن النبى

صلى الله عليه وسلم لم يأمرها ان تنقض شعرها وهي في حرمرة عِمرة لأن في ذلك ما يسقط به شعرها ولا يأمرها ان تمتشط والأغلب في الامتشاط انه يكون بالطيب او بما يمنع منه الاحرام سواء وفيه ما هو أدل من هذا وهو قوله هذه مكان عمرتك او هذه قضاء من عمرتك اذ لا يكون الشيء مكان الشيء ولا قضاء منه الاو ذلك الشيء مفقود قبله .

قال الطحاوي ثم رجعنا الى طلب الحكم في ذلك من غير حديث عائشة او في غير قصتها التي ذكرنا فوجدنا ما روى عن نافع ان عبد الله بن عمر اراد الحج عام نزل الحجاج بابن الزبير فقيل له ان الناس كائن بينهم قتال وانا تخاف ان يصدوك فقال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) اذا اصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اشهدكم اني قد اوجبت عمرة ثم خرج حتى اذا كان يظهر البيداء قال ما شان العمرة والحج الا واحد اني اشهدكم اني قد اوجبت حجاج مع عمرتي واهدي هديا اشتراه بقدي فانطلق يهل بهما جميعا حتى قدم مكة فطاف بالبيت وبين الصفا والمروة ولم يزد على ذلك ولم ينحر ولم يقصر ولم يحل من شيء حرم عليه حتى كان يوم النحر فنحر وحلق ورأى ان قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - زاد في حديث آخر وقال وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فدل ذلك على اتصاله لأن قوله في الحديث الأول وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون من كلام نافع .

فان قيل فيه ما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم انما طاف لعمرته وحجه طوافا واحدا قلنا ان سألنا قدروى عن ابن عمر ما ينجز به ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في حجه تلك متمعا لا قارنا روى عنه انه قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى وساق الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج فهذا ينجز أن

طواف العمرة قد كان قبل طواف الحج لأن المتمتع هكذا يفعل ولأن
احرام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج إنما كان بعد ما طاف بالحججة التي
تحوط عمره كما في حديث جابر بن عبد الله روى جعفر بن محمد عن أبيه قال
دخلنا على جابر فسأله عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم اذن في الناس بالعمرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتبس أن يأتي
برسول الله صلى الله عليه وسلم فخر جفا حتى إذا أتينا ذا الحليفة أهل بالتوحيد
وأهل الناس بهذا الذي يهلون به ولم يزد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم
شيئا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته - قال جابر أسألت نوى الحج لستنا
نعرف العمرة حتى إذا كان آخر طواف على المروة قل أنى لو استقبلت من أمرى
ما استدبرت ما سقت الهدى وجعلتها عمرة فن كان ليس معه هدى فليحل وليجعلها
عمرة فحل الناس وقصر والا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان أهدي .

قال الطحاوي فيه ما دل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد طاف
لها حينئذ وعقلنا بذلك أن الطواف الذي طافه بعد أن رجع إلى منى كان طواف
لحجته لا لعمرته لأن المتمتع يطوف لعمرته قبل خروجه إلى منى أو لعمرته
ولحجته على ما يختلف في ذلك لا طواف لعمرته غير ذلك الطواف ثم يكون
الطواف الذي يطوفه بعد أن يرجع من منى إلى مكة إنما هو لحجته لا لعمرته
فاستحال أن يكون ابن عمر يريد بقوله وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي طاف طوافا واحدا لعمرته ولحجته لأن ذلك الطواف الذي كان منه
٢٠ إنما كان منه لحجته لأن عمرته قد طاف لها مرة وإنما للعمرة طواف واحد
والحج له طوافان طواف عند القدوم إلى مكة وطواف بعد الرجوع من
منى - فان قيل - فقد روى عن عائشة في الحديث المتقدم بطوله إلى قوله
وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فأنما طافوا طوافا واحدا - فهذه عائشة تنجز في
هذا الحديث أن الذين جمعوا الحج والعمرة إنما طافوا طوافا واحدا - قلنا

قد روى

- قد روى عن عائشة من رواية عروة عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم تمتع في حجة الوداع وتمتع الناس معه - واذا كان فيها متمتعاً كان طوافه لعمرته انما يكون عند قدميه وطوافه الذي يكون منه بعد أن يرجع من منى انما يكون لحجته دون عمرته واحتمل بذلك ان يكون قول عائشة فانما طأفوا لها طوافاً واحداً اي طوافاً واحداً للاحرام الذي كانوا فيه فكان ذلك الطواف للحج ٥
- للعمره - ومما جقق ان الطواف للقارن طوافان ان علي بن ابي طالب قد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذهبه في طواف القارن انه طوافان وروى عن ابي نصر قال اهللت بالحج فأدر كنت علياً فقلت له ابي اهللت بالحج أفأستطيع ان اضيف اليه عمرة؟ قال لا - لو كنت اهللت بالعمرة ثم اردت ان تضيف اليها الحج ضممته قال قلت كيف اصنع اذا اردت ذلك؟ قال ١٠
- تصب عليك اداة من ماء ثم تحرم بها جميعاً وتطوف لكل واحدة منها طوافاً قال منصور بن ابراهيم راوى الحديث عن ابي نصر فذكرت ذلك لمجاهد فقال ما كنت افقئ الناس الا بطواف واحد ما الآن فلا .
- قال الطحاوي فاحتمل ان يكون على رضى الله عنه يأمره بخلاف ما فعلوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد روى ذلك ايضا عن ابن مسعود ١٥
- انه قال القارن بطواف طوائين ويسمى سعين وهو من قد كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجته واذا كان لا طواف للعمرة الا طواف القدوم وطواف القدوم للحجة ليس يغني عن الطواف لها بعد الرجوع من منى لان الطواف لها بعد الرجوع من منى هو الفرض والطواف للعمرة الذي هو الفرض فيها هو الطواف عند القدوم فكان موضوعهما مختلفاً عقلاً بذلك ان من جمع الحج والعمرة ٢٠
- فقد جمع احرامين الطواف لكل واحد منهما في وقت غير الوقت الذي يكون فيه الطواف الاخر منهما فقلنا بذلك انهما طوافان لا طواف واحد - وروى عن جابر بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج معنا النساء والولدان فلما قدمنا مكة طفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقال لنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه هدى فليحل قلنا اى الحل ؟ قال
الحل كله فأتينا النساء ولبسنا الثياب ومسسنا الطيب فلما كان يوم التروية
اهلنا بالحج وكفانا الطواف الأول بين الصفا والمروة .

هذا مشكل لأن السعى بين الصفا والمروة مما لا بد منه في قول اهل
العلم جميعا فلا يجزى فيه الطواف بينها قبل الدخول في الحج الذى كان
منهم قبل ان يتحول ما كانوا فيه الى العمرة وقد خالف ذلك ما في حديث
عائشة الذى ذكرناه فيما تقدم من قولها فيه فطاف الذين اهلوا بالعمرة بالبيت
وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى
لحجهم هو على طواف كالطواف الأول الذى كانوا طافوه للعمرة وفيه
الطواف بين الصفا والمروة وهو أولى من حديث جابر لما قد بيناه قبل هذا
من وجوب السعى بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، وروى عنه ايضا
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع لسنا نؤى
الا الحج حتى اذا كان آخر الطواف على المروة قال انى لو استقبلت من امرى
ما استدبرت ما سقت الهدى ولعلها عمرة فن كان ليس معه هدى فليحل
اما افرق من ساق الهدى ممن لم يسقه في الاحلال بعد تمام العمرة التى رجعوا
اليها بعد أن كان احرامهم بالحج من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن
تمتع بالعمرة الى الحج اذا لم يسق الهدى انه يحل بعد فراغه من عمرته كما يحل
المعتمر الذى لا يريد التمتع وانه اذا ساق هدى لا يتمتع لم يحل بين عمرته وحجته
حتى يكون احلاله منها معا على ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من رواية حفصة
قالت قلت يا رسول الله ما شان الناس حلوا لم تحلل انت من عمرتك ؟ قال انى
ليدت رأسى وقلدت هدى فلا احل حتى احل من الحج وعلى ما روى عنه صلى
الله عليه وسلم من رواية ابن عباس انه قال هذه عمرة استمتعنا بها فن لم يكن
عنده هدى فليحل الحل كله فقد دخلت العمرة في الحج .

ومنى رواية عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من امرى

- ما استدبرت ما سقت الهدى ولحلت مع الناس حين حلوا من العمرة وهكذا كان ابو حنيفة واصحابه والثوري يقولون في المتمتع بالعمرة الى الحج انه لا يحل بينها اذا ساق الهدى حتى يحل منها جميعا والحجازيون يخالفونهم في ذلك ولا يجعلون لسياقة الهدى في هذا معنى ويقولون ان المتمتع بعد فراغه من عمرته يحل منها سواء كان ساق هديا او لم يسقه وليس لأحد أن يخرج عما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول او فعل بغير خصوصية في ذلك لأحد دون احد وروى عنه ايضا ان عليا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن ومعه هدى فقال له ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فلا تحلل فان معي هديا - وفيما روى عن ابي موسى قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منيخ بالبطحاء فقال لي بما اهلت؟ قال قلت ادلالا كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال قد احسنت طف بالبيت وبين الصفا والمروة ثم احل - انما افرق امرها في الاحلال مع استوائها في الاحلال لأن عليا كان معه هدى ولم يكن مع ابي موسى هدى والاحلال لا يوجب البث بين العمرة والحج حتى يكون الاحلال منها معا انما الذي يوجب ذلك الهدى الذي ساق لها لا ما سواه وفي اهللال كل واحد منهما بمثل ١٥
- اهلال النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعلم ان كان النبي عليه الصلاة والسلام قد احرم ولا بما به احرم دليل على ان من احرم كاحرام فلان دون ان يدرى ما هو أنه يكون محرما كاحرامه ولا يضره جهاه بذلك وان من دخل في شيء قبل علمه بدخول رفته او قبل علمه ان ما كان دخل فيه له قد كان انه يرد الى حقيقة ذلك الشيء فيجعل من دخل فيه على جهله كن دخل فيه على علمه من ذلك ٢٠
- من دخل في صلاة الظهر ولا يعلم ان الشمس قد زالت ثم علم انها قد كانت زالت ان صلاته تجزئه كما تجزئه لو كان دخل فيها بعد علمه بدخول وقتها ومثل ذلك من دخل في صوم يوم على انه يصومه من رمضان ولم يعلم ان الاحلال قدر في قبل ذلك ان الصوم يجزئه من رمضان كما كان ابو حنيفة واصحابه

يقولونه في ذلك وبخلاف ما كان يقول مخالفهم فيه من انه لا يجوز له حتى يعلم وجوب فرضه عليه قبل دخوله فيها وبالله التوفيق .

في الطواف

- عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطواف بالبيت صلاة الا ان الله تعالى احل لكم فيه المنطق فمن نطق فلا ينطق الا بخير فيه دليل ٥
- على ان الطائف ينبغي ان يكون حاله كمال من يصلي في الطهارة وستر العورة والحشوع والحضور وأن لا يخرج الى ما يمنع من مثله المصلي الا الى ما ابيح له مما يكون به طائفا وهذا مثل ما قلنا في بيان النهي عن تشبيك الاصابع في التوجه الى المسجد وروى عن طاووس عن رجل ادرك النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطواف صلاة فاذا طقم فاقفوا ١٠
- السلام فقد يكون ذلك الرجل ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فلا تقوم به حجة على مذاهب اصحاب الاسناد واختلف الفقهاء فيمن طاف الطواف الواجب جنبا فقال بعضهم ان عليه ان يعيده فان لم يفعل حتى يرجع الى اهله عليه بدنة ويجزئه وان كان طافه وهو على غير وضوء ولم يرجع الى اهله ولم يعده كان عليه دم ويجزئه ذلك عن الطواف وهو قول ابي حنيفة واصحابه ١٥
- وقال غيرهم من اهل الحجاز ومن سواهم لا يجزئه وهو عندهم كن لم يطف والأولى بنا اذا لم نجد فيه شيئا من كتاب ولا سنة ان نرجع الى النظر الصحيح ونقول فيه بالجواز قياسا على الاهلال بالحج والعمرة لانهم قد أمروا لا يفعلوه الامع الطهارة كما أمروا ان لا يطوفوا الا وهم طاهرون فاما كان عدم الطهارة لا يمنع صحة الاحرام كان مثله الطواف . ٢٠

في السعي

عن الزهري عن عروة قال سألت عائشة نقلت أرايت قول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الآية؟ فقلت والله ما على احد جناح

الايطوف

الايطوف بين الصفا والمروة فقالت عائشة بشئ ما قلت يا ابن اختي ان هذه الآية لو كانت على ما تأولتها عليه كانت (فلا جناح عليه الا يطوف بهما) وانها انما ازلت في الانصار كانوا قبل ان يسلموا يهلون لمائة الطاغية التي كانوا يعبدون عندا لمشلل وكان من اهل لها يتخرج ان يطوف بالصفا والمروة فلما سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ازل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، قال الزهري فأخبرت ابا بكر بن عبد الرحمن بالذي حدثني عروة عن عائشة فقال ابو بكر إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجلا من اهل العلم يزعمون ان الناس الا من ذكرت عائشة ممن كان يهل لمائة الطاغية كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة فلما ذكر الله عز وجل الطواف بالبيت ولم يذكر الطواف بالصفا والمروة قالوا هل علينا يا رسول الله حرج ان نطوف بالصفا والمروة؟ فأزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) قال ابو بكر فاسمع هذه الآية نزلت في افرقين كليهما في الذين كانوا يتخرجون في الجاهلية ان يطوفوا بالصفا والمروة والذين كانوا يطوفون في الجاهلية بين الصفا والمروة ثم تخرجوا ان يطوفوا بهما في الاسلام من اجل ان الله امر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة مع الطواف بالبيت حين ذكره .

وقد روى عن عائشة انها قالت ما تمت حجة احد ولا عمرته ما لم يطف بين الصفا والمروة ، لا يقال رأيا - فان قيل فقد كانت ابن عباس يقرؤها (فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما) قلنا يحمل لاعلى الصلة كقوله تعالى ٢٥ (لئلا يعلم اهل الكتاب) بمعنى اعلم وكقوله (ما منعك ان لا تسجد) بمعنى ان تسجد فيكون معناه ان يطوف حيث شذ على اعليه القراءة الثابتة في الصحف التي قامت بها الحجة - وقد روى عن انس مثل حديث عائشة بزيادة قوله وهما

تطوع وذلك رأى منه اذ لم يذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد خالفته عائشة في ذلك ورويت انه سن الطواف بهما في الحج والعمرة جميعا ، وقالت هي ما تمت حجة احد ولا عمرته ما لم يطف بين الصفا والمروة ، فكان هذا عندنا اولى من قول انس لاسيا وبقها الامصار لا يختلفون فيه ولم يقولوا ذلك كابرا عن كابر الا بما وجب ان يقولوه به فلا معنى لخلاف ذلك ولا يصلح القول به والله اعلم .

في عرفة والمزدلفة

عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة والمزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن محسر وشعاب منى كلها منحر - يحتاج الى الوقوف على سبب الارتفاع عن بطن عرنة لكون عرنة ليس من عرفة ام لغير ذلك فوجدنا ما روى عن علي بن ابي طالب قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال هذه عرفة وهذا الموقف وعرفة كلها موقف وجمع كلها موقف .

وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل عرفة موقف وكل المزدلفة موقف ، يدل على انه من عرفة قطعا لكن ما روى عن شريحيل قال سمعت عمرو بن معد يكرب يقول كنا عشية عرفة ببطن عرنة نتخوف ان يتخطفنا الجن فقال لنا رسول الله صلى الله عليه عليه اجيزوا اليهم فانهم ان اسلموا اخوانكم ، كذا روى والأصح - فانهم اذا اسلموا اخوانكم ، اى اذ صاروا مسلمين ، فيه انهم كانوا يقفون عشية عرفة ببطن عرنة خوفا منهم على انفسهم ان يتخطفهم الجن وأن النبي صلى الله عليه وسلم امرهم ان يجيزوا اليهم اى الى ما سوى بطن عرنة من عرفة وهى المواضع التى كانت الجن فيها قبل ذلك وكانوا يخافون من غواتهم فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم اخوانهم اذ قد اسلموا فكان هذا الأمر بعد اسلام الجن .

فان قيل فهل كان الجن يحجون قبل اسلامهم ، قلنا وما يمنع من ذلك

كما كان كفار بنى آدم يحجون حتى نسخ بقوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فأذروا في الحجة التي حجها أبو بكر وأما امره صلى الله عليه وسلم فلم بالارتفاع عن محسرو وهو من مزدلفة فذلك بمعنى آخر يحتمل أن يكون لخروجه عن مشاعر إبراهيم فأمر الناس بالرفع عنه وبالرجوع إلى مشاعر إبراهيم والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم .

في الأفاضة من عرفات

روى جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الصبح يوم عرفة بمنى مكث قليلا حتى طلعت الشمس فركب وأمر بقبضة من شعر فنصبت له بنمرة فسار ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فركب حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس . فيه أن قريشا كان موقوفهم يوم عرفة خلاف الموقف الذي يقف فيه الناس اليوم وذلك لأن عرفة ليست من الحرم وقريش لا تجاوز الحرم ولا تقف لحجها في يوم عرفة إلا في موضع الحرم وكان ذلك هو المزدلفة - وروى عن محمد بن جبير عن أبيه قال ذهبت أطلب بعير إلى يوم عرفة فخرجت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة مع الناس فقلت إن هذا من الحرم فقال له خرج من الحرم وكانت قريش تقف بالمزدلفة .

وروى عن عائشة كانت قريش تقف بالمزدلفة ويسمون الحرم وسائر العرب تقف بعرفة فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقف بعرفة ثم يدفع منها وأنزل عليه (ثم افيضوا من حيث أفاض الناس) ففيه دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان في الجاهلية لتوفيق الله إياه يقف يوم عرفة حيث يقف الناس سوى قريش وفي الآية دليل على أن الأفاضة من ذلك المكان وقد كان منهم قبلها وقوف فيه - وقد روى عن يزيد بن سنان

قال انا ابن مريج الانصارى بعرفة ونحن في مكان الموقف فقال انا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يقول لكم كونوا على مشاعركم هذه فانكم
على ارض من ارض ابيكم ابراهيم عليه السلام - فيه دليل على ان عرفة قد كان
من مواقف ابراهيم في الحج حيث يقف الناس اليوم، لحجهم .

في الافاضة من جمع

روى عن الشعبي عن عروة بن مضر قال اتى رجل النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله احفيت وانقبت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ادرك جمعا والامام واقف ووقف مع الامام ثم افاض مع
الناس فقد ادرك الحج ومن لم يدرك فلا حج له ، فوات الحج بفوات
الوقوف بجمع لم ينقله احد عن الشعبي غير مطرف بن طريف فاما الجماعة من
اصحابه فلا يذكر فيه وانما يروون عنه عن عروة قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بجمع فقلت يا رسول الله هل لي من حج وقد انضيت راحتي؟ فقال
من صلى معنا هذه الصلاة وقد وقف معنا قبل ذلك وافاض من عرفة ليلا
او نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه ، وزاد بعضهم من شهد معنا هذه الصلاة
ووقف معنا حتى تفيض وقد كان وقف قبل ذلك بعرفة من ليل او نهار فقد تم
حجه وقضى تفثه ، وزاد بعضهم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين برق
الفجر ثم ذكر الحديث ، وقال بعضهم جئت من جبل طيئ وقد اتعبت نفسي
وانضيت راحتي ولم يبق جبل من جبال عرفة الا قد وقفت به فهل لي من
حج؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معنا صلاتنا هذه - الحديث
فتا ملنا زيادة مطرف عن الشعبي على اصحابه بعد وقوفنا على اتفاق فقهاء الامصار
على ان من فاته الوقوف بجمع وقد كان وقف بعرفة قبل ذلك لا يفوته الحج بل
هو مدرك له ويجبر ما فاته منه بالدم غير شرذمة ذهبت الى فوات حجه ان فاته
الوقوف بجمع بعد طلوع الفجر كفوت الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر ولا نعلم
احدا ممن تقدمهم نقل هذا عنه غير علقمة بن قيس مع انه يحتمل انه اراد به التخليط

في التخلف عن المزدلفة كمثل ما روى : لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له ، فكذلك قوله : لا حجة له ، يريد كحج من ادرك الصلاة معنا بالمزدلفة ووقف بها ويؤيده النظر الصحيح وذلك اننا قد وجدنا الوقوف بعرفة من صلب الحج لا يجزئ الحج الا به كان له عذر او لم يكن - وجمع ليس كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لسودة ان تفيض منها قبل ان تقف - قالت عائشة كانت سودة ثبطة ثقيلة فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم ان تفيض من جمع قبل ان تقف فأذن لها واوددت اني كنت استأذنته فأذن لي . .

وكذا اقدم ضعفة اهله من جمع بليل ويرتفع بعذر فليس من صلب الحج الا ترى ان طواف الافاضة فرض لا يرتفع بعذر وطواف الصدر بخلافه .
فان الحائض عذرت في تركه .

في من ادرك جمعا

روى عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات فأقبل ناس من اهل نجد فسألوه عن الحج فقال الحج يوم عرفة ومن ادرك جمعا قبل صلاة الصبح فقد ادرك الحج ، ايام منى ثلاثة ايام . ايام التشريق (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) ثم اردف خلفه رجلا ينادي بذلك . معنى قوله فقد ادرك الحج اى لم يفته كما فات من لم يدرك الوقوف بعرفة لا انه كمن اكل حبه حتى لا يحتاج الى عمل ما بقي منه عليه ، ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : من ادرك ركعة من الصلاة فقد ادرك الصلاة ، ليس يعنى انه كمن صلاها ولكنه بمعنى انه قد ادرك من ثوابها ما ادركه من دخل فيها من اولها ، ومعنى (ومن تأخر فلا اثم عليه) اى في تركه الترخص برخصة التعجيل في يومين اذ لا يقال لا اثم عليك الا لمن قصر فيما رخص له فيه ومن لم يتعجل في يومين فلم يقصر في شيء فانما رفع الحرج عنه في ترك الأخذ بالرخصة كما لا يقال لمن صلى في اول وقتها لا اثم عليك .

في الجمار

عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة أهله ليلاً من جمع وقال لهم لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس ، وخرجه من طرق كثيرة في بعضها : لا ترموا الجمرة إلا مصبحين ، وتصحيح ذلك مع غيرها من الأحاديث على المنع من جمره العقبة يوم النحر حتى تطلع الشمس وإذا كان هذا حكم المترخص بالتعجيل من هناك كان من لا رخصة له في ذلك بالنهي أولى وبهذا احتج الأوزاعي والثوري على إعادة الرمي أن رمى جمره العقبة قبل طلوع الشمس وهو القول عندنا إذا خرج عما قاله صلى الله عليه وسلم .

وعن أبي مجاز سألت ابن عباس عن رمى الجمار فقال والله ما أدرى بكم رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بست أو بسبع .

وروى عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول لا أدرى بكم رمى النبي عليه الصلاة والسلام ، وعن ابن عباس عن الفضل بن عباس قال كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم فرمى جمره العقبة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منهن فدل ذلك على أنه إنما أخبر في الحديث الأول عن رؤية نفسه ثم أخبر في الحديث الثاني بحقيقة عدد ما رماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه سبع حصيات ومثل هذا يتأول على جابر بن عبد الله فيما روى عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أتى الجمره التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة مثل حصي الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف .

وقد تعاقب قوم بما روى عن ابن عباس وجابر في هذا من قولهما فأباحوا بذلك للحاج أن يرمي الجمره بما شاء من الحصى بغير عدد يقصد إليه قصر عن السبعة أو تجاوزها وذكروا في ذلك ما روى عن أبي حنيفة الانصاري أنه قال لا بأس بما رمى به الإنسان الجمره من الحصى يقول من عددها فبلغ قوله ذلك ابن عمر فقال صدق أبو حنيفة رجل من أهل بدر ، وما روى عن سعد بن أبي وقاص قال قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم في حجته منا من رمى بسبع وأكثر وأقل فلم يعب ذلك

ذلك علينا .

وما روى عنه ايضاً قال رجعتا في الحجّة مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعضنا يقول رميت بسبع وبعضنا يقول رميت بست فلم يعب بعضهم على بعض ولكن قد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى الجمرتين بسبع سبع من رواية عبد الله بن عمر وعائشة وسليمان بن عمرو بن الأحوص عن امه فكان الرمي بعدد معلوم كما كان منه الطواف بالبيت والسعي بعدد معلوم اولى ان يؤخذ به مع انه قال صلى الله عليه وسلم لتأخذوا متى مناسكها فاني لا ادرى لعل لا التاكم بعد عامي هذا - ليتبع في افعاله فكما وجب ان يتبع في عدد الأشواط ولا يخرج عنها بزيادة ولا نقصان فكذلك يجب ان يتبع في عدد الحصى ولا يخالف ولا يعصى .

١٠ وروى عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تواف الضحى معه بمكة يوم النحر (١) لا حجة للشافعي فيه على تجويزه رمي جمرية العقبة قبل الفجر ليلة النحر بعد مضى نصف الليل اذ لا يمكنها الموافقة بمكة ضحى الا وقد دفعت من جمع قبل طلوع الفجر لبعده المسافة بينهما فلا بد من رميها جمرية العقبة قبل طلوع الفجر لأن مداره على ابي معاوية محمد بن خازم الضرب واضطرب فيه فرواه مرة عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب عن ام سلمة ورواه مرة عنها بالسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امرها يوم النحر أن توافي معه صلاة الصبح بمكة وهذا خلاف ما في الحديث الأول لأن فيه امرها يوم النحر بهذا عن اليوم الذي بعده - وذكر احمد بن حنبل الحديث الأول وقال انه خطأ ولم يسنده غير ابي معاوية وقال وروى عن عروة مرسلًا انه امرها ان توافي صلاة الصبح يوم النحر بمكة ، وهو ايضا بحسب وما يصنع ٢٠ النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بمكة ينكر ذلك ، وسألت عن ذلك يحيى بن

(١) بهامش الاصل - قال القاضى كذا وقع في الام واره ان توافي الصبح فهو الذي يدل عليه ما بعده من الاحاديث ويستقيم التعلق به للشافعي رحمه الله تعالى

سعيد فقال انما الحديث ان توافى ليس ان توافيه .

قال الطحاوى وهذا كلام صحيح يجب به فساد الحديث وقد روى
عن هشام بن عروة عن ابيه ان يوم ام سلمة دار الى يوم النحر فامرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع ان تفيض فرمت بحرة العقبة وصلت
الفجر بمكة ، ويحتمل ان يكون رميها كان بغير امره اياها ويكون الذى اراده
صلى الله عليه وسلم منها ما اراده من غيرها من ضعفة اهلها ان يرموها بعد طلوع
الشمس على ما قد ذكرناه وقد روى مسندا عن هشام عن ابيه عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ام سلمة ان توافيه يوم النحر بمكة - زاد
غيره من الرواة وكان يومها فاحب ان توافيه .

وقد روى ان افاضة النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة انما كان في آخر
يوم النحر - وروى عنه انه اخر طواف الزيارة الى الليل - ففى هذا دليل على
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن به حاجة الى موافاة ام سلمة اياه يوم
النحر بمكة - وفيه ما دل على فساد حديث ابى معاوية المبدى بذكره . قال
القاضى ويحتمل ان ياول على ان فيه تقدما وتأخيرا تقديره ان النبي صلى الله
عليه وسلم امرها يوم النحر ان توافى معه الضحى بمكة على ما فى الحديث الذى
بعده فيستقيم معناه ولا يكون لانكار من انكره وجه ويسقط احتجاج الشافعى
لذ هبه الذى قد شذ فيه وخرج به عن الجمهور .

فى المبيت بمنى

روى ان العباس استأذن النى صلى الله عليه وسلم ان يبيت بمكة ليالى
منى من اجل السقاية فأذن له ، فيه ان من سوى العباس ممن لاسقاية له لا يرخص
فى المبيت عن منى ليالى منى وما روى انه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت
كل ليلة من ليالى منى ، لا يضاده لأنه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم يزوره
ويرجع قبل نصف الليل فيبيت فى ايامه تلك بمنى بل فيه دليل على انه لا يلزم
ان لا يبرح الحاج عن منى ليالىها وانما عليه ان لا يبيت الا بها ولهذا يجوز ان يأتوا
مكة

مكة بيليل فيطوفوا طواف الزيارة ثم يرجعون إليها للبيت ألا ترى ان من حلف ان لا يبيت في هذا المنزل الليلة فأقام فيه قبل نصفها لا يحنث ولو أقام أكثر من نصفها ثم خرج عنه الى غيره فأقام فيه بقيتها يحنث لأنه بات فيه بحقه انك اذا لقيت رجلا قبل نصف الليل حسن ان تسأله اين يبيت واذا لقيته بعد نصف الليل حسن ان تسأله اين بات .

في الحلق والتقصير

- روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارحم المخلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال اللهم ارحم المخلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال والمقصرين - سبب تكرار الدعاء للمخلقين هو ما روى انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما بال المخلقين ظهرت لهم بالترحم؟ قال انهم لم يشكوا . ١٠
- وذلك ان يوم الحديبية لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق معه كثير من الصحابة وامسك آخرون فقالوا والله ما طفنا بالبيت فقصر واقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ارحم المخلقين ، الحديبية فلما توقفوا وبادر المخلصون الى الاقتداء به فضلو عليهم لافضل في نفس الخلق لأن الله تعالى ابا حها فقال (مخلصين رؤسكم ومقصرين لا تخافون) ولكن لأن السبق الى المعرفة يوجب ١٥
- الفضيلة للسايقين اليها كما وجبت الفضيلة لأبي بكر بسبقه الى التصديق في اخباره صلى الله عليه وسلم باتيان بيت المقدس من مكة ورجوعه منه الى منزله في ليلته وكما وجبت الفضيلة لخزيمة بنشأته لرسول صلى الله عليه وسلم على الاعرابي حتى سمي ذا الشهادتين لما سبقهم الى معرفة جواز اداء الشهادة بدعواه صلى الله عليه وسلم وان لم يشاهد الحال فكذا المخلصون فضلو على المقصرين بسبقهم الى ٢٠
- الطاعة وانتفاء الشك عن قلوبهم وعليهم ان ما عاينوا منه اولى بهم مما تقدمت معرفتهم به وروى ان المقصرين انما كانوا رجلين احدهما من قريش والآخر من الانصار . قال القاضي ويمكن ان يقال الخلق افضل لكونه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكونه ابلغ في قضاء التفت واشق والأجر على قدر التعب

والاجماع على ان فضيلة الخلق لا تختص بأهل الحديبية بل هي باقية الى يوم
القيامة فالعبارة اعموم اللفظ لالخصوص السبب .

في نفى الحرج عمن قدم أو أخر

روى عن اسامة بن شريك قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم حاجا
فكان ناس يأتونه فمن قائل يقول له يا رسول الله سمعت قبل ان اطوف
وأخرت شيئا وقد مت شيئا فكان يقول لا حرج لا حرج الا رجل اقترض
عرض رجل مسلم وهو ظالم له فذلك الذي حرج وهلك .

أكثر الفقهاء على ان من سعى قبل الطواف لا يجزئه وهو كمن لم يسع
ونعلم لأهل الحجاز والعراق مخالفا غير الأوزاعي فانه قال يجزئه ولا يعبد
بعد الطواف وروى عن عطاء مثله ولكنهم اختلفوا في القارن اذا حلق قبل
ان يذبح هديه ، قال ابو حنيفة ومالك وزفر أن عليه الفدية لأنه حلق قبل
اوانه واكثرهم كأبي يوسف ومحمد والشافعي يقولون لا شيء عليه في ذلك
ويحتجون بما روى عن علي قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
فقال يا رسول الله اني افضت قبل ان احلق قال فاحلق ولا حرج وجاءه آخر
فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج .

وبما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عمن
حلق قبل ان يذبح او ذبح قبل ان يحلق قال لا حرج لا حرج . قال القاضي صوابه
ذبح قبل ان يرثي لأن الذبح حقه ان يكون قبل الخلق - وبما روى عن ابن عباس
ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل له يوم النحر وهو بمنى في النحر والخلق
والرمي والتقديم والتأخير فقال لا حرج - وبما روى عن عبد الله بن عمر وأنه قال
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع للناس يستأوننه بخاءه
رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فخلقت قبل ان اذبح فقال اذبح ولا حرج بخاءه .
آخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فاستل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شيء قدم ولا أخر الا قال افعل ولا حرج .

ولا حجة لهم في هذه الآثار على عدم وجوب الفدية على القارن لانه
يحتمل ان يكون السائل غير قارن فيكون الذبح عليه غير واجب فيكون ما فعل
من ذلك قد فعله ولا شيء يمنعه منه وان كان قارنا فنفي الحرج والأثم عنه اذالم
يشعر لا يستلزم نفي الفدية كالم يستلزم نفي الحرج في حديث اسامة نفي اعادة
السعي الواقع قبل الطواف ويؤيده قول ابن عباس فيما روى مجاهد عنه من
قدم شيئا من حجه او اخر فليرق دما وهو واحد من روى ذلك فدل انه لامتناف
بين وجوب الفدية ورفع الحرج .

في المحصر

عن عكرمة عن الحجاج بن عمر والأسلمى قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من كسرا وعرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال فحدثت
بذلك ابن عباس و ابا هريرة فقالا صدق - قوله فقد حل اي له ان يحل بما يحل
به مما هو فيه من الاحرام كما يقال للطهارة بعد انقضاء عدتها حلت الا زواج اي
تزوج ويستأنف عليها بطريقه حتى يصير حلالا وكذا قوله تعالى (فلا تحل له
من بعد حتى تنكح) فانها بنكاح الزوج الثاني لا تعود حلالا للأول
ولكنها تعود الى حال يحل استئناف النكاح عليها بطريقه فمن كسرا وعرج لم يخرج
عن احرامه ، ولكنه سبب حل له به ان يفعل فعلا يخرج به من احرامه بان
يبعث هديا الى مكة فاذا نحر الهدى حل على ما روى ان رجلا من النخع
اهل بعمرة فلدغ فيهما هو صريع في الطريق اثنى طلوع عليهم ركب فيهم ابن
مسعود فسأله فقال ابعثوا بالهدى واجعلوا بينكم وبينه اماراة فاذا كان ذلك
فليحل ، فقد عاد بما ذكرنا هذا الحديث الى ان لا استحالة فيه .

وروى عن ابن عباس قال جاءت ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني امرأة ثقيلة واني اريد الحج
وكيف تأمرني ان اهل؟ قال اهل واشترطي ان محلي حيث حبستني فادركت الحج ،
ونخرجه من طرق كثيرة قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله فقد حل له ان يحل من غير

دليل يوجب هذا التأويل ويمنع غيره ثم ظهر لنا بحديث ضباعة ان المراد بالحل الخروج من الاحرام حقيقة لا لاجازة التي منعتها من النفوذ في حجه ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديثين بهدى فعقلنا بذلك ان الحكم كان كذلك اولاً ثم جعل الهدى بعد ذلك لمن يصير محصر الا يخرج عن احرامه الا ينحر هـ الهدي بقوله تعالى (فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) وهي آية محكمة .

ثم روى عن علقمة في قوله تعالى (واتموا الحج والعمرة لله) الآية ، قال اذا احصر الرجل بعث بالهدى ولا يحلق رأسه حتى يبلغ الهدى محله فمن كان به مرض او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك صيام ثلاثة ايام او يتصدق على ستة مساكين كل مسكين نصف صاع والنسك شاة فاذا أمن بما كان فيه (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) فان مضى من وجهه ذلك فعليه حجة وان أخر العمرة الى قابل فعليه حجة وعمرة (وما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج) آخرها يوم عرفة (وسبعة ايام اذا رجعت) وذكر ذلك لسعيد بن جبير فقال هذا قول ابن عباس وعقد ثلاثين - فعقلنا بمنع ابن عباس في رواية سعيد عنه من الاحلال مع الكسر والعرج حتى ينحر الهدى انه قد رجع الى ذلك عن تصديق الحجاج وحديث ضباعة على مثل ما كان عليه حديث الحجاج وان النسخ قد لحقها جميعاً بما في هذه الآية من منع المحصر ان يحل حتى ينحر عنه وقد كلن ابن عمر ينكر الاشتراط في الحج ويقول حسبكم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم انه لم يشترط فان حبس احدكم حابس فاذا وصل الى البيت طاف وسعى ثم يحلق او يقصر ثم يحل وعليه الحج من قابل ومحال ان يكون ابن عمر انكر ذلك الا بعد ان بلغه ما روى في ذلك لأن علمه وورعه يمنعه ان يدفع شيئاً روى له الا بما يجب له دفعه من نسخ وغيره .

لا يقال ان كان ابن عمر دفعه فغيره عمل به ، روى ان عثمان كان واقفا بعرفة اذ جاء رجل فقال اما اشترطت وهلا اشتطت ؟ لأنه منقطع لا يحتاج بمثله

- وما روى عن عروة ان عائشة امرته ان يشترط اذا حج ويقول اللهم الحج اردت واليه عمدت فان تيسر لي فانه الحج وان حبست فانها عمرة ، يدل على نسخ حديث ضباعة لأن الذي في حديثها اشتراطها احلالا يخرج به من الحج لا الى عمرة والذي امرت به عائشة انما هو على نحر وجه ان حبس من حج الى عمرة وهي العمرة التي تجب على من يفوته الحج حتى يحل بها من ذلك الحج .
- وما روى عن ابراهيم انه قال كانوا يشترطون عند الاحرام يحتمل ان يكون كاشترائط ضباعة او كاشترائط عروة وقد روى عنه قال كانوا يقولون اللهم اني اردت الحج ان تيسر لي والا فعمرة ان تيسرت والا فلا حرج ، فعلم انه كان على ما امرت به عائشة عروة فيكون مؤكداً للنسخ حديث ضباعة ، ومعنى قوله فلا حرج اى على ان لم آت بما احرمت به على ما يوجب احرامى على لان ذلك ليس باختيارى واتفاق فقهاء الامصار كابى حنيفة واصحابه وغيرهم على خلاف ما في حديث ضباعة دال على نسخه اذ لا تجتمع الامة على خطأ .

في الهدايا

- روى عن علي بن ابي طالب قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقوم على بدنه وان اقسم جلودها وجلالها وامرني ان لا اعطى الخاز منها شيئاً وقال نحن نعطيها من عندنا ، ونخرج الحديث من طرق في بعضها ولا نعطي في جزارتها منها شيئاً ، وفي بعضها انه كانت مائة جمل لأبي جهل مزوم بيرة فضة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر منها بيده ستين واعطى علياً اربعين . فيه فوائد من الفقه ، منها جواز تولية النحر لغيره وقيام نحر المأ مور مع نيته مقام نحر الآمر ونيته ومنها امره صلى الله عليه وسلم بتصدق اجلة بدنه وخطمها كما يتصدق بلحمها واجزائها اعطاء للجلال والخطام حكماً ، ومنها تجوز الاستعجار على نحرها باجرة في ذمة الآمر او المأ مور من غير تعيين وجاز في ذلك ملك عمل بغير عينه على الجزاء باجرة بغير عينها يملكها على جزارته

مخالفاً للعقود في البياعات على الأشياء التي ليست بأعيان بالابدال التي ليست بأعيان لا فضايتها إلى الكالي بالسكالي المنهى عنه، ومنها جواز الأكل من لحومها لمن نحر من ملاكها، ومنها جواز الشركة في الهدايا الماروي أنه صلى الله عليه وسلم اشرك علياً في هديه ثم امر من كل بدنة بيضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، الحديث، ومنها وجوب الأجرة على الوكيل فيما يستأجره لغيره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب علياً أن لا يعطيه عن أجرته من لحوم البدن شيئاً ولو لم يكن لعل ذلك لاستغنى عن المنهى لأنه غير مطلوب به لأن الأجرة ليست عليه ومنها استعمال الفضة في البرة للهدايا بخلاف استعمالها في الأكل والشرب.

في البدنة عن سبعة

١٠

وروى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنها قالاً خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى وكان الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعة رجل فكان كل بدنة عن عشرة - انفرد محمد بن اسحاق برواية هذا الحديث عن ابن شهاب وخالفه سواء عنه فيه فقالوا ان عدد القوم الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ كانوا بضع عشرة مائة وهو الصواب، لأن الجماعة اولى بالحفظ من الواحد ولأن جابر والبراء شهدا القصة قالوا ان عددهم كان ألفاً وأربعمائة وروى عن جابر أيضاً كانوا ألفاً وخمسمائة والبدن يحتمل ان تكون سبعين أو غير ذلك الا أنا وقفنا على انه انما نحر كل بدنة منها عن سبعة، كذا روى عن جابر من وجوه كثيرة ففيه ان السبعين لم تنحر الا عن خاص من القوم الذين عددهم ألف وأربعمائة، وما روى عن ابن عباس انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فضحينا البعير عن عشرة - ففيه موافقة جابر في السبعة وزيادة عليها فصارت السبعة اجاعاً والزيادة مقبولة الا انه قد عارضها ما روى عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجزور عن سبعة فكان اولى لأن فيه من

التوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبعة ما يمنع ان يجزئ عما هو اكثر من ذلك وقد احتج بعض الناس للسبعة بما روى ابن عباس قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على ناقة وقد عذبت على (١) ، فقال اشترسبعا من الغنم ، وهو حديث فاسد الاسناد لا يوبه به .

في الفرق بين البقر والبدنة

وروى عن ابن عباس قال قلت البدن فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقر ، ليس فيه انه امر بالبقر لانها بدن فيحتمل أنه امر بها لأنها تجزئ مما تجزئ عنه البدن بدليل حديث المهجر الى الجمعة انه كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي شاة ، الحديث ، ففرق بين البدن والبقر في الاسم والثواب والذي يروى عن جابر من ادخال البقر في البدن لا يعارض ١٠ ما تقدم لانه موقوف على جابر من قوله .

في نهية لحم الهدايا

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النهية وانه قال انت النهية لا تحل ، وانه قال من اتى به فليس منا ، المراد به اتياب ما لم يؤذن في اتيابه بدليل ما روى عن عبد الله بن قرط انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الايام الى الله يوم النحر ثم يوم القر ، فقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنانة خمس اوستا فطفقن يزادفن اليه بأيتن بيد أفلها وجبت جنوبها قال كلمة خفية لم افقهها ، فقلت للذي كان الى جنبي ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال قال من شاء اقتطع ، وما روى ان صاحب هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف اصنع بما عطي من الهدى ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انحرها ثم التقي فلاندها في دمه ثم خل بين الناس وبينها يأكلونها لانه صلى الله عليه وسلم اباح في هذين الحديثين للناس الذين يحل لهم ذلك الهدى أخذ ما يجوز لهم اخذه منه بغير قصد

منه الى ناس بأعيانهم والى مقدار من الهدى لمن يأخذه منهم فتبين بذلك ما قلنا .

فى الحج عن الغير

عن على بن ابى طالب قال استقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية شابة من خثعم فقالت ان ابى شيخ كبير وقد ادر كته فريضة الله تعالى فى الحج أفيجزينى ان احج عنه؟ قال حجى عن ابيك ولوى عنق الفضل فقال له العباس لويت عنق ابن عمك ، فقال انى رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما ، وروى عن ابن عباس ان رجلا قال يا رسول الله ان امى بحوزة كبيرة ان انا حملتها لم تستمسك وان ربطتها خشيت ان اقلها ، قال أرأيت لو كان على ابيك او على امك دين أكننت تقضية؟ قال نعم قال فاحجج عن ابيك او عن امك ، وخرج الآثار بذلك من طرق بالفاظ مختلفة ومعان متفقة - لا يقال فيه دليل على ان الحج يسلك به مسالك الديون حتى يكون ما يحج به عنه من المال ديناً عليه فى تركته وان لم يوص بذلك - لانه لو كان ديناً لما شبه بالدين اذ الشئ لا يشبه بنفسه وانما هو حق فى بدن من هو عليه حتى يخرج الى الله تعالى منه عنه كالدين فى ذمة من هو عليه حتى يخرج صاحبها منه او يخرج اليه منه غيره عنه فلا دليل فى هذه الآثار على وجوب قضائه من جميع المال ولا من ثلثه ، وفيه ان من قضى دين غيره بغير امره لم يكن له به عليه رجوع وهو قول ابى حنيفة واصحابه والشافعى خلافاً لما لك ومن يتابعه عليه .

فى حج الصرورة

روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول ليبيك عن شربة قال ومن شربة قال اخ او قريبلى قال هل حججت قط؟ قال لا قال اجعل هذه عن نفسك ثم احجج عن شربة - استدل بعض بهذا ان من حج عن غيره قبل ان يحج عن نفسه فهو عن نفسه ثم قاسوا عليه انه لو حج عن نفسه تطوعا

- تطوعاً قبل حجة الاسلام ان حججه يكون عن الفرض ثم ناقضوا في صوم رمضان ، فقالوا من صام في رمضان تطوعاً لا يجزيه من الفرض ولا من التطوع وكان الواجب عليهم على قياس الحج ان يجعلوه من رمضان لا من التطوع بالطريق الاولى لان رمضان وقت للفرض ومعيار له لا يسعه غيره بخلاف وقت الحج ثم هذا الحديث معلول ، والصحيح انه موقوف على ابن عباس غير مرفوع .
- ٥ الى النبي صلى الله عليه وسلم وروى انه قال فابدأ أنت فحج عن نفسك ، ثم حج عن شربة والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى من رواية ابن عباس انه سئل عن رجل لم يحج أ يحج عن غيره ؟ قال دين الله احق أن تقضيه ، وليس فيه انه لو احرم عن غيره كان ذلك الاحرام عن نفسه والذي يدل على جواز الحج عن غيره وان لم يحج عن نفسه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل الذي عن غيره اطلق له ذلك ولم يسأل له أحجبت عن نفسك حجة الاسلام ام لا ؟ والذي يدل على ان حج التطوع ممن لم يحج حجة الاسلام جائز ، ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان اكلها كتبت كاملة وان لم يكن اكلها قال الله تعالى انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع ؟ فاكلوا به ما ضيع من فريضته والزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الاعمال على حساب ذلك - فد لنا ما في هذا ان الرجل قد يكون منه ١٥
- حج تطوع وان لم يكن له حج فرض وكما ان من لم يصل الفرض بعد دخول وقته وصلى تطوعاً ثم صلى بعد ذلك الفرض كان كذلك من دخل عليه وقت الحج ووجب عليه فرضه له ان يحج تطوعاً عن نفسه او فرضاً عن غيره ثم يحج الفرض لنفسه (١) .

- ٢٠ (١) قال القاضي وهذا الاختلاف عندي جار على اختلافهم في الحج هل هو على الفور او على التراخي ، قلت لو جرى على ذلك الاختلاف ، لكان الحكم بالعكس لأن عند الشافعي وجوب الحج موسع لا مضيق وليس على الفور عنده فافهم . فوائد جمالية . هكذا وجد في هامش الاصل .

في حج الصغير

- روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بامرأة وهي في محفها فقيل لها هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بعضد صبي معها فقالت ألهذا حج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر ، اختلف اهل العلم فيما يفعله الصبي من المحظورات فقال بعضهم لاشيء فيه عليه ولا على غيره وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقال بعضهم الكفارة على من ادخله فيه وقال بعضهم كفارته على الصبي ولا وجه للقولين الاخيرين لان الاحرام المجني عليه لم يكن للذي ادخل الصبي فيه حتى يجب عليه ما يجب فلا يكون عليه تخليص الصبي مما وجب عليه والاجماع منعقد على ان كفارة اليمين وسائر الكفارات لا تجب على الصبي لانه رفع القلم عنه وكفارات الحج عقوبات ونكال قال تعالى في جزاء الصيد (ليذوق وبال امره) والعقوبات مرتفعة عن الصبي فلم يبق الا القول الاول وهو الاول ودخوله في الاحرام لا يلزمه ما يلزم البالغين كدخوله في الصلاة لا يجب عليه فيها ما يجب على البالغين واصله ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر وضربه لان يعتادها ليكون خلقا له بعد بلوغه .

في بعث ابي بكر ثم على بسورة براءة

- روى عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث براءة الى مكة مع ابي بكر الصديق ثم اتبعه بعلي فقال له خذ الكتاب وامض به الى اهل مكة فلحقته فاخذت الكتاب منه فانصرف ابو بكر وهو كثيب فقال يا رسول الله انزل في شيء ؟ قال لا ، الا اني امرت ان ابلغه انا ورجل من اهل بيتي .

وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر وامره ان ينادي بهؤلاء الكلمات ثم اتبعه عليا فبينما ابوبكر في بعض الطريق

اذ سمع رغاء ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء نخرج ابو بكر وظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا على فدفع اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به على الموسم وامر عليا ان ينادى هؤلاء الكلمات فانطلقا فقام على ايام التشريق فقال ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك فسيحوا في الارض اربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يدخل الحنة الامو من ، فكان على ينادى بها فاذا بح (١) ابو هريرة فنادى بها ، وخرج الآثار في ذلك اكلها حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم حين رجع من عمرة الجعرانة بعث ابا بكر على الحج حتى اذا كنا بالعرج ثوب باصبح ثم استوى ليكبر فسمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال هذه رغوة ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بداله في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه فاذا على عليها فقال له ابو بكر امير او رسول قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم براءة أقرأها على الناس في موقف الحج فقد منا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس فحمد الله وحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم خرجنا معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب حتى اذا فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النحر فافضيا (٢) فلما رجع ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون فعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . ولا يعارض هذا قول ابي هريرة بعثني ابو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان - فان الامر كانت لابن بكر في تلك الحجة فكانت الطاعة في الامر والنهي له فابو هريرة من جملة المؤذنين الذين نديهم ابو بكر ليمثلوا ما يأمرهم به على فيما بعثه رسول الله

(١) كذا والمحمفوظ « قام » في الاصل (٢) كذا بل الصواب « فافضنا » - ح

صلى الله عليه وسلم فكان نداء ابى هريرة بما كان يلقيه عليه على رضى الله عنه
 وكان مصيره الى على ابى بكر وفيما ذكرنا علوا المرتبة لابي بكر فى امرته
 وفيه علوم مرتبة على ايضا فى اختصاصه بما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من التبليغ عنه وما روى ان ابابكر لم يقرب الكعبة ولكنه انشمر الى ذى الحجاز
 فيغير الناس بمناسكهم ويلتفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عرفة
 من قبل ذى الحجاز وذلك لأنهم لم يكونوا تمتعوا بااعمره الى الحج . لا استبعاد
 فيه لان الذى فعله ابوبكر كان معنى وذلك لان سوق ذى الحجاز آخر الاسواق
 التى تجتمع العرب فيها للتبايع ومنهم من ينصرف الى داره بلا حج فاراد
 رضى الله عنه بانشاره الى ذى الحجاز اسماع جميع من وافى الموسم ما يقرأ هناك
 مما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسى ان يكون ما موراذلك من جهة
 الرسول صلى الله عليه وسلم ثم صار الى عرفة بالناس فوقف بها وهى الركن
 الاعظم الذى لا بد منه ثم رجع الى مكة بعد ان صار الى المزدلفة بعد أن رمى
 وحلق حتى طاف طواف الزيارة التى لا يتم الحج الا به ورمى فى الاشواط
 الثلاثة وسعى بين الصفا والمروة لأنه لم يتقدم له طواف القدوم والسعى اولا
 ولم يهمل رضى الله عنه الخطبة التى قبل يوم التروية بمكة لأن عتاب بن اسيد
 عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس مكانه بمكة فى ذلك العام ثم
 وافى بهم ابابكر بعرفة حتى قضى بهم بقية حجهم ولا يظن بابي بكر ان ينقص
 شيئا مما يجب ان يفعله امير الحاج فى حجه بالناس وهى حجة لم يكن قبلها فى
 الاسلام الا حجة واحدة حجها بالناس عتاب بن اسيد فى سنة ثمان وقيل انها
 كانت فى غير ذى الحجة لان الزمان انما استدار الى ذى الحجة فى الحجة التى
 حجها ابوبكر بالناس واقر الحج فيه وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
 السنة التى بعدها فى ذى الحجة وجرى الامر على ذلك الى يوم القيامة .

فى الحج الاكبر

عن ابن عباس قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع
 فقال

فقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة ولاء، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والآخر رجب الذي بين جمادى وشعبان.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال كانت العرب يجعلون

- عاما شهرا وعاما شهرين فلا يصيبون الحج في ايام الحج الا في كل خمس وعشرين سنة وهو النسيء الذي ذكر في القرآن فلما حج ابو بكر بالناس وافق ذلك العالم الحج فسماه الله الحج الاكبر وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل الناس الالهة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض، ففيه ما دل على استدارة الزمان حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وفيه المعنى ١٠ المراد بقوله تعالى (يوم الحج الاكبر) ان الاكبر نعت للحج لا لما سواه مما قال بعضهم انه يوم النحر متشبها بما روى عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال لما كان ذلك اليوم خطب صلى الله عليه وسلم وفيها أى يوم يومكم هذا؟ قال فسكتنا حتى رأينا ان ليس فيه غير اسمه ثم قال أليس يوم النحر الاكبر؟ .

- وبما روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يومئذ قال ١٠ ان يوم الحج الاكبر يوم النحر، لكن معنى الحدِيثين هو معنى حديث عبد الله ابن العاص ويوم الحج الاكبر نعت للحج لا لليوم حتى يتفق معاني هذه الآثار وقال بعضهم يوم الحج الاكبر يوم عرفة متمسكا فيه بقول ابن ابي اوفى . فان قيل قد قال ابو هريرة بعثني ابو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويوم الحج الاكبر ٢٠ يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس الحج الاصغر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .

قلنا اما قوله صلى الله عليه وسلم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر فيحتمل ان يكون الاكبر فيه نعتا للحج لا لليوم ويكون موافقا لحديث ابن العاص واما

قوله قيل الحج الا كبر من اجل قول الناس فلا يدري ما هو ولا عمن حكى ذلك
ويحتمل ان يكون من كلام الزهري فانه كان يخط كلامه بالحديث ولذلك
قال له موسى بن عقبة افصل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كلامك .

واذا كان يحتمل ما ذكرنا كان ما رواه ابن العاص من حقيقة
المعنى في ذلك اولى منه وهو المعقول اذ قد كان الحج بعد استدارة الزمان
رجع الى شهر بعينه مجرى عليه حج الناس فكان ذلك اما ما لهم لان الاكبر
من الحج هو الذي يرجع اليه غيره من الحج الذي يكون بعده الى يوم
القيامة في قدوة اهله بما فيه .

١٠ في حرم مكة المشرفة

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق الله السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم
القيامة وانه لم يحل فيه القتال لأحد قبلي ولم يحل لي الاساعة من نهار فهو حرام
بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من
عرفها ولا يختلي خلاه . فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيتهم
ولقبورهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا الاذخر .

وخرج من طرق كثيرة . لا وجه لانكار مثل هذا من العباس لان
عليه بحاجة اهل مكة الى الاذخر دعاه الى طلبه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم مراجعة ربه في ذلك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم التخفيف
عن امته في حديث المعراج مرة بعد اخرى حتى ردها الى خمس صلوات
وكما راجع امر القراءة على حرف مرة بعد مرة حتى ردها الى سبعة احرف
واكتفى بقوله الا الاذخر ايجاز العلم به فهم النبي صلى الله عليه وسلم مراده
من ذلك والايجاز من محاسن كلام العرب من ذلك قولهم كفى بالسيف
شاى شاهدا وفي التنزيل (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض

او كلم به الموقى) ثم قطع بقية الكلام حتى قيل هو لكفر وابه وقيل هو لكان هذا القرآن ومثله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) الآية ومثله في القرآن كثير ثم جوابه صلى الله عليه وسلم على فوره لمحجى الوحي اليه على فوره وان كنا لانعقل ولا ينكر مثله من لطيف قدرة الله تعالى الازندى ويحتمل ان يكون جبريل معه حينئذ فالتى ذلك اليه كما قال للذى سألته في حديث ابى قتادة رأيت ان قتلت في سبيل الله صابر احتسبا مقبلا غير مدبرأ يكفر الله عنى خطا ياي؟ فقال نعم فلما ولى قال له الا ان يكون عليك دين كذلك قال لى جبريل فدل ذلك على حضور جبريل جوابه الاول واذا كان جبريل مع حسان بن ثابت على ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اهجههم وجبريل معك فكونه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته التى يخبر فيها عن الله شوائع دينهم اولى. ١٠ قلت كان للطحاوى مندوحة عن التأويل الثانى وان كان محتملا ايضا بقوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) وبقوله (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وصى يوسف).

فان طريق الوصى ليس بمنحصر فى وساطة الملك قد يكون بالهام خفى وبنفس روعى وحضوره صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى على حد معرفته وعلمه بالله لا يسهه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فلا يستبعد الوصى اليه فى كل لحظة ولحمة اراد الله سبحانه ان يوحى اليه ولا يحتاج الى معية جبريل معه فانها محتملة ومعية الله تعالى معه محققة دائما فاندفع بذلك ما اعترض عليه القاضى ابوالوليد وقال لا معنى لقوله يحتمل ان يكون جبريل معه لان جبريل لا يلتقى ذلك اليه الا بأمر ربه وزواله عليه من عند ربه فى الحين نفسه ايسر عليه من صعوده اليه من عنده ثم رجوعه اليه فى ذلك الحين وان كان ذلك كله سواء فى قدرة الله ثم قال وغير هذا التأويل اشبه عندى وهو ان الخلا افظ عام اريد به الخصوص وكان المراد ما عدا الاذخر المحتاج اليه فلما كان ظاهره العموم قال له العباس الا الاذخر فوافق بذلك مراده صلى الله عليه وسلم بقوله لا ينجلى خلاها فقال له الا

الاذخر اعلاما منه انه هو الذي كان المراد اولاً، لا انه رجع الى رأى العباس
 باجتهاداً ووحى اذ لا يصح الرجوع عن الوحى باجتهاد ولا دلالة في الحديث
 على انه كان بوحى (١) وكذلك قوله في حديث ابى قتادة نعم، عام اريد به
 الخصوص فلما ادبر الرجل خشى النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل قوله على العموم
 في جميع الخطايا فيبين له ان الشهادة لا تكفر الدين لانه من حقوق الناس وقوله
 صلى الله عليه وسلم ان جبريل قال لى ذلك يعنى فيما تقدم لا انه طرأ عليه العلم
 بذلك حينئذ ولان قوله نعم لو كان عاماً لكان قوله بعد ذلك الا الدين فاسخاً له
 لكن الفضائل لا تنسخ فان الكريم اذا تفضل على عباده بالتجاوز لا يقطعه
 عنهم ولا ينقص منه بل يزيدهم من فضله .

قلت ما ذكره القاضى ابو الوليد وولد خاطره في غاية الحسن ولكن
 قوله لا معنى له اى تأويل الطحاوى ليس بانصاف منه والحق ان ما تأوله في
 حيز الجواز والله اعلم بالصواب .

في حشيش الحرم

اختلف اهل العلم فيما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصده
 واعلافه على ثلاثة اقوال . احدها انها لا ترمى ولا تحتش وهو قول ابى حنيفة .
 والثاني ابا حتهما وهو قول ابن ابى ليلى .

(١) فيه نظر لانه اذا حصر الامر بين اجتهاد ووحى وانتهى الاجتهاد تعين
 الوحى وقوله ولا دلالة في الحديث على انه كان بوحى لا يلزم من عدم دلالة
 فيه ان لا يكون على الوحى دليل آخر وهو حاله صلى الله عليه وسلم فان اقواله
 لا تخلو عن احد الوجهين اما الاجتهاد او الوحى لاثالث لهما وانتهى الاجتهاد
 لأن شرطه عند من جوزه مضى مدة انتظار الوحى ثم بعد اياسه عن الوحى
 يجتهد والكلام هنا على الفور من غير لبث كما تقدم فيه فتعين الوحى وهو غير =

والثالث قول عطاء انها ترى ولا تحتش واختاره ابو يوسف والاولى
اولى لما روى ان عمر رأى رجلا يقطع من شجر الحرم ويعلف بعيره الله فقال
علي به فاقى به فقال يا عبد الله أما علمت ان مكة حرام لا يعضد عضاها ولا ينفر
صيدها ولا يحل لقطتها الا لعرف فقال والله ما حملني على ذلك الا ان مى نضوا
لى فخشيت ان لا يباينى اهلى وما مى من زاد ولا نفقة فرق عليه عمر بعد ما هم
به وامر له ببيع من ابل الصدقة موثر طحيناً فاعطاه اياه وقال لا تعد ان تقطع
من شجر الحرم شيئاً .

وفى الحديث الذى تقدم منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اختلاء خلا مكة فذهب قوم الى ان الاختلاء ما اخذ باليد دون ما سواه من
اعلافه الا بل على ما اختاره ابو يوسف وقد روى فى حرم المدينة حديث
فى المنع من الاختلاء من خلاها الا ان يعلف رجل بعيره فاستدلوا بذلك
على مثلها من شجر مكة وخلاها وهو حديث منقطع الاسناد ، وبعد ثبوته
لا يجوز قياس خلا مكة على خلا المدينة لان احكامها فى هذا قد تفرق كما
اقرت فى وجوب جزاء الصيد لحرم مكة دون المدينة وفى المنع من دخول
مكة الا بالاحرام بخلاف المدينة .

فى حرم المدينة

روى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض والشمس والقمر ووضعها بين
هذين الاخشين لم تحل لأحد قبلى ولم تحل لى الاساعة من نهار ولا ليحتمل خلاها
ولا يعضد شجرها ولا يرفع لقطتها الا مشد ، فقال العباس الا الاذخر فانه لا غناء
لأهل مكة عنه لبيوتهم وقبورهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر .
وروى عن ابي شريح الخزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

== منحصراً بأنه يكون بواسطة الملك فان له انوا عا انحر كما عرف ، انتهى جماليه .

ان الله حرم مكة ولم يحرمها الناس فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسفكن فيها دما ولا يعضدن فيها شجرا فان ترخص مترخص فقال قد حلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل احلها لي ولم يحلها للناس وانما احلها لي ساعة من نهار .

وروى عن ابي هريرة قال لما فتح الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فقتلت هذيل رجلا من بني بكر بقتيل كان لهم في الجاهلية مقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله حبس عن اهل مكة القيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وانها ساعتى هذه حرام لا يعضد شجرها ولا يختل شوكها ولا يلتقط لقطتها الا منشد ففي هذه الاثار ان الله حرم مكة وانها لم تحل لأحد قبلي النبي صلى الله عليه وسلم وكان الواجب على من انتهك حرمة صيدها الواجب على قاتل الصيد في الاحرام كما ذكر تعالى في كتابه بقوله (لا تقتلوا الصيد واتم حرم) الآية الا ما اختلف اهل العلم فيه من الصوم في ذلك فذهب ابو حنيفة واصحابه الى انه لا يحزى في ذلك صوم وذهب غيرهم الى ان الصوم يحزى في ذلك كما يحزى في القتل في الاحرام وهو القول عندنا وما نبأنا الله به من قول ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمنا) .

ليس من التحريم الذي كان من الله في شيء كما لم يكن الربا (١) الذي حرمه الله في كتابه في شيء لان الربا الذي في كتابه في النسيئة والذي حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم في الثفاضل فالذي دعا به ابراهيم لاهل مكة هو الامان دل عليه (اولم يروا انا جعلنا حرمنا آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وكان ذلك استجابة لدعوة ابراهيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ان ابراهيم حرم مكة ودعا لهم واني حرمت المدينة ودعوت لهم بمثل ما دعا به ابراهيم لاهل مكة ان يبارك لهم في صاعهم ومدهم - فقيه ان الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة مثل الذي كان من ابراهيم في مكة في امان

(١) يظهر أن هنا سقطا كما يدل عليه السياق - ح (٢٥) اهله

اهلها بما يتميزون به عن سائر البلدان وما روى جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم بيت الله وآمنه واني حرمت المدينة ما بين لابتها لا يعضد عضاهها ولا يصاد صيدها .

- يحتمل ان يكون هذا زيادة زادها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدينته على ما كان من ابراهيم في مكة بركة دعائه واجابة الله تعالى اياه .
 فيه ولكن حكم منتهك حرمة الصيد والعضاء بين اللابتين غير حكم المنتهك في حرم مكة على ما روى عن سعد بن ابى وقاص انه اخذ عبد اصاد في حرم المدينة فسلبه ثيابه بفاء مواليه الى سعد فكلوه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم هذا الحرم وقال من اخذ من يصيد فيه شيئا فلن اخذه سلبه فلم اكن لأرد عليكم طعمتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ١٠ ان شئتم اعطيتم ثمنه .

- والواجب في جزاء صيد مكة ما ذكر الله تعالى في كتابه ليس كذلك ووجدنا فقهاء الامصار اجمعين يجمعون على ترك اخذ سلب منتهك حرمة الصيد والعضاء بالمدينة فعقلنا بذلك ان اجماعهم على ترك ما روى انما كان لو قوفهم على نسخه لا يظن بهم خلاف السنة بلا خلاف لانهم المأمونون على ما روى او على ما قالوا سيما فيما اجمعوا لحاشا لله ان يتركوا ذلك الا لما هو اولى منه وذلك مثل تركهم ما روى في مانعي الزكاة عن النبي صلى الله عليه وسلم انا آخذوها منه وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا .

- وما روى في حريسة الجبل ان فيها غرامة مثلها وجلدات نكال ، وما روى فيمن وقع على جارية امرأته مستكرها لها انها تعتق عليه ويكون عليه ٢٠ مثلها وان كانت طائعة كانت له وعليه مثلها لزوجته ، فمن ذلك والله اعلم ما روى عن السلب فيما ذكرنا يحمّل انه كان ثم نسخ بنسخ اشكاله التي ذكرناها .

في لاصرورة في الاسلام

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا صرورة في الاسلام ،
 قيل معناه نفي ما كان في الجاهلية على ما روى عن ابن عباس قال كان الرجل في
 الجاهلية يلطم وجه الرجل ويقول انه صرورة ، فاحتمل ان يكون المظلوم
 هو الصرورة لأنه لم يحج ولم يستمر ويحتمل ان يكون اللاطم فيعذر لجهله وهذا
 اولى لأنه روى عن عكرمة انه قال كان الرجل يلطم وجه الرجل في الجاهلية
 ويقول انا صرورة فيقال دعوا الصرورة لجهله وان رمى بحجره ، فيرجله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صرورة في الاسلام .

وقيل معناه لا يبقى احد في الاسلام حتى يحج وهذا بعيد لأنه من
 عجز عن الحج ازمالة او قلة يكون مذموماً ولكن لا يلحق من كانت هذه
 صفة ذم في ترك الحج ، وقيل معناه النهي عن تسمية احد في الاسلام بالصرورة
 وهو الاظهر لأنه روى عن عبد الله انه قال لا يقوان احدكم اني صرورة فان
 المسلم ليس بصرورة ولان الصرورة في اللغة الصر على الشيء ومنه قوله تعالى
 (ولم يصروا على ما فعلوا) فمن كان تخلفه عن الحج ليس لاصراده على تركه بل
 لهجزه وانحوه مما يسقط به الفرض فليس صاحبه بمصر الاصرار المذموم
 فلا يكون صرورة وقد كان عطاء بن ابي رباح يقال له الصرورة فلا ينكره
 وما ذكره من كراهية هذا القول اولى لأنه وصفه بحال مذمومة .

كتاب الجهاد

فيه تسعة وخمسون حديثاً في فضل الجهاد

روى ان رجلين من بني وهوش من قضاة قتل احدهما في سبيل الله
 وَاخر الآخر بعده سنة ثم مات قال طلحة فرأيت في المنام الجنة دخل الآخر
 فيها قبل الاول فتعجبت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صام بعده رمضان وصلى بعده ستة آلاف

ركعة وكذا وكذا .

- وذكره من طرق بالفاظ مختلفة ومعان متفقة منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين من اصحابه فقتل احدهما وعاش بعده الآخر ما شاء الله ثم مات فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون له وكان منتهى دعائهم له ان يلحقه الله باخيه الذي قتل قبله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها تقواون افضل قالوا الذي قتل قبل يا رسول الله قال اما تجعلون لصلاة هذا ولصيا مه بعده وصدقته وعمله فضلا؟ لا بينهما ابعد مما بين السماء والارض . اشكل على بعض الناس معنى هذا الحديث وقال كيف يجوز ان يفضل من مات على فراشه من مات شهيدا ؟ قد روى ان من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان له اجر صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا جرى له مثل ذلك .
 ١٠ من الابحار واجر على الرزق وأمن الفتان وان كل ميت يحتم على عمله الا الرابط في سبيل الله فان عمله لينمو له الى يوم القيامة ويؤمن من فتنه القبر .
 ففيه فضل الرابط الذي مات ومن قتل مرابطا كان فوق من مات مرابطا وليس ذلك لمن مات غير مرابط لانه ينقطع عمله بموته الا من ثلاثة اشياء ، على ما روى في ذلك ولكن المعنى بين لان الرجلين المتواخين هاجرا الى الله ورسوله معا فاما معه مهاجرين باذلين انفسهما في الجهاد وغيره فاستويا في ذلك وان كان قد فضله صاحبه بالشهادة فقد بذل هو نفسه لها ولعله قد تمنّاها وسألها وقد روى مرفوعا من سأل الله عز وجل الشهادة صادقا من قلبه بلغة الله منازل الشهداء وان مات على فراشه وله من الفضل ما تقر به من الاعمال الصالحة بعده فلا ينكر تجاوزه اياه في الميزة واستحقاق سبقه الى الجنة والله يؤتي فضله من يشاء .

قال القاضي ولا تضاد بين ما روى من نمو عمل الرابط الى يوم القيامة وبين ما روى من انقطاع العمل بالموت الا من ثلاث ، لان عمل الرابط بعينه هو الذي ينمو له بمعنى انه يتوفر ثوابه له وهو عمل سبق موته لاعمل سواه

يلحق به لم يتقدم موته وانما كان منه سببه .

في الشهيد

روى عن عمر بن الخطاب انه قال واخرى تقولونها في مغازيكم
هذه لمن قتل او جرح قتل فلان شهيد امات فلان شهيد او عسى ان يكون
قد اوقر رد ف راحلته او عجز راحلته ذهابا او فضة يبتغى الدنيا فلا تقولوا ذلك
ولكن قولوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات في سبيل الله او قتل
في سبيل الله فهو في الجنة ، فيه ان من قتل او مات في سبيل الله فهو الشهيد الذي
يستحق ما يستحقه الشهيد لا من سواه ممن مراده غير سبيل الله ، لا يقال قد جعل
من سوى المقتول في سبيل الله شهيدا كما روى ان الغريق شهيد والحريق
شهيد وغيرهم جعلهم الله شهداء بما حل بهم .

١٠ وروى جابر بن عتيك قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود
عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب ، الحديث بطوله ، الى ان قال والمرأة
تموت بجمع شهيد ، لان المذكورين في الحديث شهداء انما هو لاجل ثباتهم
على الشهادة او ثباتهم على الطاعة استحقوا مرتبة الشهداء يدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث المذكور ان الله قد اوقع اجره على قدر نيته ، ولما
كان كذلك في عبد الله بن ثابت كانت فيمن سواه كذلك وقد روى عن
عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من قبض في شيء
منهن فهو شهيد ، المقتول في سبيل الله شهيد ، والغريق في سبيل الله شهيد ،
والمبطون في سبيل الله شهيد ، والمطعون في سبيل الله شهيد ، والنفساء في سبيل
الله شهيد ، وسبيل الله طاعاته فمن كان في شيء منها فاصابه شيء مما في هذه الآثار
٢٠ كان من اهل الشهادة ومن لم يكن قصده المثابرة على الطاعات لم يكن منهم
ولا يقال درجاتهم ، يؤيده حديث ابي موسى الاشعري قال قال رجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل يقاتل للغنمة او للنعم والرجل يقاتل للذكر
والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي

العليا فهو في سبيل الله .

ففيه ان المقاتل لا يستحق الشهادة بقتاله حتى يكون معه من نيته ان تكون كلمة الله تعالى اعلى كما ذكر في الحديث ، وقد شد ذلك قوله انما الا اعمال بالنية وانما لامرئ ما نوى .

- وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سأل الله عز وجل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه ، ففيه ان الشهادة تكون لمن يتمناها من قلبه وان لم يصبه القتل فكذلك ما ذكر من الشهداء بغير قتل انما هو فيمن كان له نية الشهادة او بذل الروح في الطاعة لا فيمن سواهم .

في الاشتغال بالحرب عن الجهاد

- روى عن ابي امامة الباهلي انه رأى سكة او شيئا من آلة الحرب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دخلت هذه بيت قوم الا ادخله الله الذل ، يعني من اشتغل بالحرب عن الجهاد عاد مطلوبا بما كان به طالبا لان ما يطلبه ولاية المسلمين من العشر والخراج فالسالمون هم الطالبون فهذا وجه الذل الداخل على الجارث ، وقال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالفني ومن تشبه بقوم فهو منهم .

في الجهاد في الابوين

- بروى عمر بن العاصي ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد الجهاد فقال أتي ابوك؟ فقال نعم قال ففيها فجهاد انما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك الجهاد ولزوم ابويه مع الوعيد على تركه بقوله (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) لانه فرض كفاية بخلاف الحج فانه فرض عين وبر الوالدين فرض عين فاذا بر والديه سقط الفرضان احدهما بفعله والآخر بفعله غيره ومنه ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني جئت اباي على الهجرة وتركت ابوي يكيان فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا يعك حتى ترجع اليها فتضحكها كما ابكيتهما، ولا فرق بين الابوين وبين احدهما لما روى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني جئتك ابا يعك على الهجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألك اب او ام؟ قال نعم قال فقيمها فجاهد.

وروى ان رجلا اتاه فقال اني اردت ان اغزو وقد جئتك استشيرك فقال هل لك من ام؟ فقال نعم فقال صلى الله عليه وسلم فالزمها فان الجنة تحت رجلها.

في خير الاصحاب و السرايا و الجيوش

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الصحابة اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف ولن يغاب اثنا عشر الفا من قلة. ١٠
المنعنى في ذلك ان الله تعالى كان فرض ان لا يفر واحد من عشرة ثم خفف بان لا يفر واحد من اثنين والنسخ عام في قليل الاعداد وكثيرها ثم خصص على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم من العموم الاثنا عشر الفا بما ذكرها به من انه لا يغلب من قلة وفرض عليهم ان لا يفر وا من فوقهم وان كثرت وهو قول محمد بن الحسن في سيره الكبير ولم يحك خلافا وعليه حمل الامر بالمعروف والنهي ١٥
عن المنكر جماعة من اهل العلم منهم ابن شبرمة الا انه جعل ذلك مطلقا في قليل الاعداد وكثيرها وعن مالك ما يدل على ان الاثنى عشر الفا مخصوصة من ذلك فانه روى ان عبد الله العمري العابد جاء اليه فقال قد ترى هذه الاحكام التي نزلت أفيضعنا التخلف عن مجاهدة من بدلها؟ فقال له مالك ان كان معك اثنا عشر الفا مثلك لم يسعك وان لم يكن معك فانت في سعة من التخلف وهذا جواب ٢٠
حسن اخذه من هذا الحديث والله اعلم.

في المسافرة بالقرآن الى العدو

عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن

بالقرآن الى ارض العدو وخافة ان يناله العدو وهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا من كلام الراوى فانه روى فاني اخاف ان يناله العدو .

- وقد اختلف اهل العلم في السفر به الى ارض العدو فابو حنيفة وصاحباها ذهبوا الى ابا حته وبعضهم الى كراهته، منهم مالك وعن محمد ان كان ماء ونا عليه من العدو فلا بأس وان كان مخوفا عليه فلا ينبغي ان يسافر به اليهم، وهذا احسن الاقوال وعليه يحمل القول الاول منهم، وما روى عن ابن عباس انه قال اخبرني ابوسفيان بن حرب من فيه الى في ان هرقل دعاهم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجره مرتين، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين و(يا اهل الكتاب تعاوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية، ليس بمعارض انهيه صلى الله عليه وسلم من المسافرة بالقرآن الى ارض العدو وخافة ان يناله العدو ولان محل النهي السفر بجملته القرآن وما في كتابه صلى الله عليه وسلم انما هو بعضه فالجمع بينهما باباحة السفر بالاجزاء التي فيها من القرآن بعضه وبالكراهة في السفر بكليته اليهم عند خوفهم عليه، وقواه عليك اثم الاريسيين ١٥ اى مثل اثمهم لقوله تعالى (فعلين نصف ما على المحصنات من العذاب) اى مثل نصف العذاب الذي يكون عليهن والاريسيون هم الخدم والحولة .
- قاله ابو عبيد في كتاب الاموال وقيل عليه اثمهم لصده اياهم عن الاسلام بملكه لهم ورياسته عليهم كقوله تعالى (انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا) وكما قال مخررة فرعون لما قامت عليهم الحجة لموسى (وما اكرهتنا عليه من السحر) اى استعملتنا فيه واجبرتنا عليه وقيل منسوب الى قرية يعرف بالاروسية اهلها يوحدون الله ويقرؤن برسالة عيسى وعبوديته ويحدون بما يقوله النصارى سوى ذلك وقيل اريس اسم رئيس لهم فنسبوا اليه كما يقال يعقوبيون لقوم ينسبون الى يعقوب .

في القتال في الأشهر الحرم

روى عن سعد بن أبي وقاص قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا انك قد نزلت بين أظهرنا فآوئنا حتى تأمنك وتأمنا فآوئنا لهم ولم يسلموا فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب وأمرنا أن نغير على حى من كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم فكانوا كثيرًا فلجأنا إلى جهينة فممنونا وقالوا لم تقا تلون في الشهر الحرام؟ قلنا إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام فقال بعضهم لبعض ما ترون؟ قالوا نأتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فنخبره، وقال قوم لا بل نقيم ههنا وقلت أنا في أنا من ممي لا بل نأتى غير قریش هذه فنقتطعها فانطلقنا إلى العير وكان النبی اذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له فانطلق أصحابنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقام غضبنا محر الوجه، فقال ذهبت جميعاً وجئتم متفرقين إنما اهلك من كان قبلكم الفرقة لأبعث عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبداً لله ابن جحش الأسدي فكان أول أمير في الإسلام، فيه ما دل أن الجيش لم يكن عليه أمير وذلك قبل قوله صلى الله عليه وسلم إذا كنتم ثلاثة في سفر فامر واحدكم أحدكم وكان منهم ما كان من الخلاف فكرهه الله تعالى وأجرى أمور نبيه صلى الله عليه وسلم في السانف على خلافه من التأمير ليرجع أمر الجماعة إلى واحد يجب عليهم طاعته وترك مخالفته. يؤيده قوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). ومنه ما روى عن جابر بن عبد الله قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام، أحسبه قال إلا أن يغزى فإذا حضر أقام حتى ينسلخ. ومنه ما روى عبد الله بن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال قفلة كنزوة وهو تمة كلام تقدمه لم يحضره عبد الله يحتمل أن يكون سئل عن قوم قتلوا الخوفهم من عدو أكثر منهم عدد يزيد صلى الله عليه وسلم في عددهم ما يقولون به على عدوهم فيكرون عليهم. ومثله ما روى عن عائشة في سبب

قوله صلى الله عليه وسلم في الشوم، وعن زيد بن ثابت في سبب النهي عن كراء المزارع كما تقدم والله اعلم (١).

وما روى عن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً وبعث عليهم اباعبيدة أو عبيدة بن الحارث فلما مضى انطلق بكى صباية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير فلما بلغ المكان قرأ الكتاب فاسترجع وقال سمعاً وطاعة لله ولرسوله قال فرجع منهم رجلان ومضى بقيتهم فلقوا أبا بن الحضرمي فقتلوه ولم يروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى فقال المشركون قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية وقال المشركون أن لم يكن وزر فليس لهم أجر فأنزل الله (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) الآية.

ما فيه من تحريم القتال في الشهر الحرام منسوخ بما في سورة براءة، عن ابن عباس قال لما نزلت براءة انتقضت اليهود وقالوا المشركين حيث وجدوهم وقعدوا لهم كل مرصد حتى دخلوا في الإسلام. فدل هذا على أن اليهود كلها انقطعت وحل القتال في الزمان كله.

في تولية الامراء

روى عن عبد الله بن جعفر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب زيد قتل أو استشهد فأميركم جعفر فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة فاخذ الراية زيد فقال تلحقني قتل، ثم أخذها جعفر فقال تلحقني قتل ثم أخذها عبد الله فقال تلحقني قتل وأرى ذلك سقط عن بعض رواه، ثم أخذها خالد ففتح الله عليه فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن

(١) هكذا في الأصل ولا تظهر مناسبتة للباب وستجىء هذه العبارة بعينها

في باب الفرار من الزحف.

أخوانكم لقوا العدو وإن زيد أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده سيف بن سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عز وجل عليه ثم أمهل آل جعفر لم يأتهم ثم أتاهم فقال لا تبكوا على أخى بعد اليوم ادع لى بنى أخى فجيء بنا كأننا أفراخ فقال ادعوا إلى الخلاق فجيء بالخلاق فخلق رؤسنا ثم قال أما عهد فشبه عمى أبى طالب وأما عون (١) فشبه خلقي وخلقى ثم قال اللهم اخلف جعفر فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه ثلاث إمرات ، فجاءت امرأة فذكرت يتمنا فقال العيلة تحافين عليهم فانا وإيهم فى الدنيا والآخرة . ففيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل بعض الأمراء واليا بعد قتل غيره فدل على جواز تعليق الامارة بخطر فيجوز تعليق الوكالة أيضا لأنه مثله كما يقوله أبو حنيفة وأصحابه خلافا لبعض ، وفيه جواز الامارة بغير تولية إذا احتيج إليها كما كان من خالد فإنه لما وجد من نفسه قوة القيام على مصالحهم والذب عنهم وجب عليه ذلك ووجب على الناس الطاعة له وكذلك فعل على رضى الله عنه لما حصر عثمان فى صلاة العيد صلاها وخطب لما خاف أن لا يكون للناس يومئذ صلاة عيد ، ولذلك قال عهد إذا شغل السلطان عن إقامة الجمعة ولم يحضر أحد من قبله نائباً أن من قدر على القيام بها قام بها وعلى الناس اتباعه فيها كما أوامره السلطان الذى إليه القيام خلافاً لأبى حنيفة وأبى يوسف رضى الله عنهما والمختار ما قال لا ما قالاً ، وما يدل عليه حديث أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ الراية جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله ابن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد من غير امرأة ففتح الله عليه ، وإن عينيه لتدرفان قال وما يسرنى أنهم عندنا أو قال ما يسرهم أنهم عندنا - شك الراوى

فى تخريب العامر

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى

النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان .

وهان على سراة بنى لوى حريق بالبويرة مستطير

- فانزل الله تعالى (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله) الآية ، لا يقال انزال الله الآية لان تعبد بها الامة معنى يستعملونه فيما تعبدهم به فاي فائدة في نزولها؟ بعد القطع والتحريق؟ لان سبب نزولها على ما روى ابن عباس هو أنه لما استنزلوهم من حصونهم وامروا بقطع النخل قال المسلمون قد قطعنا بعضها وتركنا بعضها فلنستلن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من اجروا علينا فيما تركنا من وزر؟ فانزل الله (ما قطعتم من لينة او تركتموها) الآية ، فلم المسلمون ان الذى كان من قطعهم لما قطعوا من النخل وتحريقها مباح لهم لا اثم عليهم فيه ولا في ترك ما تركوه منها فلم يقطعوه فبان موضع ١٠
- الفائدة في نزولها فان قيل قد نهى ابو بكر الصديق امراء الاجناد لما بعثهم الى الشام عن القطع والتحريق بمحض من الصحابة من غير تكبر وهو مخالف لما ذكر عن ابن عمر وابن عباس قلنا ان ابا بكر كان على علم من عود الشام الى ايديهم ومن فتحهم لها وغلبتهم الروم عليها بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمهم اياه من ذلك ما روى عن سفيان بن ابي زهير (١) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح اليمن فيأتى قوم ييسون فيتحملون باهلهم ١٠
- ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ويفتح الشام فيأتى قوم ييسون فيتحملون باهلهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، الحديث ، فكان النهى من ابي بكر لهذا ولما قد خصهم عليه من الصلاة بايلاء ومن شد المطايا اليها ؛ ولما قد روى عنه من قوله ومنعت الشام مدها ودينارها اى انها ستمنع المد والدينارا الواجبين في اراضيها وذلك لا يكون الا بعد ٢٠
- افتتاحهم وغلبتهم عليها وقد عرف ذلك في موضعه .

(١) كان في الاصل عن سفيان مولى ابن ازهر والتصحيح من مشكاة المصابيح .

في قتل النساء والصغار

روى عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيوشه قال اخرجوا بسم الله تقاتلون من كفر بالله لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا الولدان ولا اصحاب الصوامع .

لا يعلم نهى قتل اصحاب الصوامع في غير هذا الحديث ومداره على ابراهيم بن اسمعيل بن ابي حبيبة الاسلمى رواه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وروى عن ابي بكر انه اوصى به امراء جيوشه الى الشام لا تقاتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء .

وعن حنظلة الكاتب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت امرأة لها خاق وقد اجتمعوا عليها فلما جاء افرجوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت هذه تقاتل ثم اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا ان لا تقتل ذرية ولا عسيقا ، ففي قوله ما كانت هذه تقاتل انه لا يقتل في دار الحرب الا من يقاتل فمن كان مقاتلا حل قتله من رجل او امرأة فالقتال هو علة القتل والله اعلم .

في الفرار من الزحف

عن صفوان بن عسال قال رجل من اليهود لا خرا ذهب بنا الى هذا النبي فقال له الآخر لا تقتل هذا النبي فانه ان سمعها كانت له اربعة اعين فانطلقا اليه فسألاه عن تسع آيات ، فقال تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تفرقوا من الزحف ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بغيرى الى سلطان وعليكم يهود الاتعدوا في السبت . فقالوا نشهد انك رسول الله . وفي بعض الآثار فقبلوا ايديه ورجليه وقالوا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ان لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناكم ان تقتلنا يهود .

ففيه ان التسع الآيات التي آتاها الله موسى عبادات لا تخوفات

وفيه ان الفرار من الزحف حرام، تعبد الله به موسى ولم ينسخ في شريعة نبينا
فظهر به فساد قول من قال انه كان في يوم بدر خاصة لقوله (ومن يولهم يومئذ
دبره) الآية وكذا اعلم به ضعف ما روى عن عكرمة عن ابن عباس انه قال في
تفسير تسع آيات هي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والسنين ونقص الثمرات، اذ لا حجة لأحد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم.

ومنه ما روى عن ابن عمر قال كنت في سرية من سرى ايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع
وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالفضب فقلنا لود خلنا المدينة فبتنا فيها، ثم قلنا
لوعرضنا انفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت لنا توبة والا
ذهينا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم فقلنا، نحن الفراريون
قال بل اتم العكارون انا فتكم اوانا فئة المسلمين فأتيناه حتى قبلنا يديه.

العكارون هم الكرادون يعني لما كروا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليرجعوا الى ما يأمرهم كان ذلك عودة الى ما كانوا من بذل النفس
في سبيل الله استحقوا بذلك الاسم وفيه رد القول بالتخصيص باهل بدر لان
ابن عمر انما لحق باثنا تلة يوم الخندق بعد أن رده النبي صلى الله عليه وسلم قبل
ذلك فدل على ان حكم الفرار من الزحف باق الى يوم القيامة وداخل في
الكبائر، ونزول الآية في اهل بدر ليس بمانع ثبوت حكمها في غيرهم.

ومنه ما روى عن عبد الله بن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال قلنا
كفرؤة، وهو تمة كلام تقدمه لم يحضره عبد الله فيحتمل ان يكون سئل
عن قوم قتلوا الخوفهم من عدوا اكثر منهم عدد او عدد ايزيد صلى الله عليه
وسلم في عددهم وعدددهم ما يقوون به على عدوهم فيكرون عليهم، ومثله
ما روى عن عائشة في الشؤم، وعن زيد في كراه المزارع والله اعلم.

في حمل واحد على جيش

روى عن اسلم ابي عمر ان قال كنا بالقسطنطينية وعلى اهل مصر عقبة
ابن عامر وعلى اهل الشام رجل فخرج من الروم صف عظيم فصفقنا لهم فحمل
مسلم منا على الروم حتى دخل فيهم ثم خرج اليها فصيح اليه سبحان الله اتى
بيديه الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصارى رد عالمهم ايها الناس ان الآية
قد اترأت فينا معشر الناس (١) فان الدين لما اعزه الله وكثرنا صروه قلنا فيما
بيننا سرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت فلوا قفوا
فيها فاصلحنا ما ضاع فانزل الله تعالى هذه الآية يرد علينا ما هممنا به (وانفقوا
في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فكانت التهلكة الاقامة التي
اردناها فامرنا بالغز ونماز ال ابو ايوب غازيا حتى قبضه الله تعالى فيه ان التهلكة
في الآية التهلكة في الدين وهي والهلكة واحد قاله ابو عبيد يعني ان ترك
الغز والالتحاق في سبيل الله هلاك ومثله قوله صلى الله عليه وسلم اذا سمعت
الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم يعني في الدين وقال البراء الا انما
التهلكة ان يذنب الرجل الذنب ثم يلقى بيديه ويقول لا يغفر لي، وعن ابن
عباس في تفسيرها انفقوا ولا تمسكوا في سبيل الله فتهلكوا .

وقال ينفق في سبيل الله وان لم يكن له الا مشقة يريد التحذير من
الامساك في قليل المال وكثيره مخافة ان يدخل في الوعيد، وعنه ولا يقولن
احدكم اني هالك لا اجد شيئا ان لم يجد الا مشقة فليجاهد به في سبيل الله .
فعلم ان التهلكة في الآية ليست في لقاء العدو الذي يخشى عليه وانه في
فعله ذلك غير مذموم، وماروى ان في محاصرة دمشق اسرع رجل الى العدو
فعاب المسلمون عليه ورفعوه الى عمرو بن العاص وهو على جند من الاجناد
فارسل اليه عمرو وفرده وقال (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كما هم
بنيان مرصوص - ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) لا يعارض ما قال ابو ايوب لانه
اخر بسبب نزولها توقيفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان تأويل عمرو

لا يكافئ ذلك ويحتمل الخفاء عليه ولو وقف على ما وقف عليه ابو ايوب لردنا ويلها اليه وقد روى عن جعفر بن ابى طالب حين زاحمه القتال يوم موقعة الجمل من فرس شقراء له ثم عرقها وقاتل حتى قتل فكان اول عاقر في سبيل الله .

وكان ذلك بمحض من اكابر الصحابة مثل عبد الله بن رواحة وخالد

وغيرهما فلم ينكروا عليه وبلغ امره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكروا عليه ولم ينه عن مثله فدل على انه من اجل الانفال واعظمها في الثواب وان تاويلها ما روينا عن ابى ايوب لاغيره مما يخالفه .

في قتل الكافر بعد قول لا اله الا الله

روى ان المقداد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت ان لقيت

رجلا من الكفار فقاتلني فضرب احدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذمني بشجرة فقال اسلمت لله أقتله يا رسول الله بعد ان قالها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلة من قبل ان تقتله وانك بمنزلة من قبل ان يقول كلمته التي قال . يعنى يعود باسلامه مثلك مسلما وتصير انت من اهل النار كما كان هو قبل ان يسلم من اهلها . ومنه ما روى عن اسامة قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش الى الخرجات من جهينة فلما هزمناهم ابتدروا ١٥ انا ورجل من الانصار رجلا منهم بالسيف فقال لا اله الا الله فكف عنه الانصارى وظننت انه يقوله تعوذ امن القتل فقتلته فرجع الانصارى الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث ، فقال صلى الله عليه وسلم يا اسامة قتلت رجلا بعد ان قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله يوم القيامة ؟ فما زال يقول ذلك حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ . ٢٠

انما بقيت احوال اسامة عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وجد

منه ما وجد على ما كانت لانه اجتهد في اسلام الكافر بعد ان حاق به القتل جزاء على كفره فأدى اجتهاده الى عدم صحته كايما فروعون لما ادركه الغرق وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله) الآية وبين النبي صلى الله عليه وسلم

خطاه في اجتهاده بالفرق بين محيى الباس من الله ومحبيته من قبل عباده وعذره على ذلك قال عليه الصلاة والسلام في القاضى اذا اجتهد فأخطأ ان له اجرا .

ثم فيما كان من اسامة دليل على جواز استعمال الرأى عند نزول الحوادث وردها الى مثلها من الاحكام وان وقع خطأ فاجتهده غير ملوم ،

ومنه ما روى عن عبد الله بن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد

ابن الوليد الى بنى حذيمة فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا ان يقولوا اسلامنا

بفعلوا يقولون صبا نا وجعل يقتل ويأسر ودفع الى كل واحد منا اسيره حتى

اذا كان ذات يوم امر خالد كل رجل من ان يقتل اسيره فقلت لا والله

لا اقتل اسيرى ولا يقتل احد من اصحابى اسيره فلما قدمنا على النبي صلى الله

عليه وسلم ذكرنا صنيع خالد فرفع يديه ثم قال اللهم انى ابرأ اليك مما صنع

خالد مرتين .

انما لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم خالد بما وجب لهم عليه بسبب قتله

اياهم بعد اسلامهم لان قولهم صبا نا ما كان صريحا في اسلامهم لانه قد يكون

على الدخول في دين الصابئين لانه زال عن شىء الى شىء وتعنيفه اذ لم يستثبت

في امرهم حتى يقف على قصدهم بقولهم صبا نا ولذا تبرأ الى الله من بخلته ولم يأخذه

لهم بما لم يعلم يقينا وجوبه عليه . ومنه ما روى خالد قال بعثنى رسول الله

صلى الله عليه وسلم انا وعمارا في سرية فأضفنا اهل بيت قد كانوا وحدوا فقال

عمار ان هؤلاء قد احتجزوا منا بتوحيدهم فسفهنه ولم احفل بقوله فلما رجعنا الى

النبي صلى الله عليه وسلم شكنا في اليه فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم

لا ينتصر له منى ادبر وعيناه تدمعان فقال صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب

عمارا فانه من يسب عمارا يسبه الله عز وجل ومن تسفه عمارا تسفه الله تعالى

قال قلت والله يا رسول الله ما من ذنوبى شىء اخوف على منهن فاستغفر لى

قال فاستغفر لى النبي صلى الله عليه وسلم .

فعل خالد في اهل ذلك البيت كفعل اسامة في قتيابه بعد توحيدهم

فأصاب عمار حقيقة حكم الله فيهم وأخطأه خالد فحمد في اجتباؤه كاسامة ولكن
عمار أصاب الحق الحقيقي. ومنه ما روى عن خالد أنه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى
ناس من خثعم فاستعصموا بالسجود فقتلهم فوداهم النبي صلى الله عليه وسلم
بنصف الدية ثم قال أنا بريء من كل مسلم مع مشرك لا تراهي ناراهما، السجود
في احتماله الإسلام وغيره كقولهم صباؤنا وكان على خالد التثبت في أمرهم
فقصّر في ذلك ولا جله وداهم النبي صلى الله عليه وسلم بما وداهم به تطوعا منه
وتفضلا، وأما قوله لا تراهي ناراهما يعني لا يحل لمسلم أن يسكن بلاد المشركين
فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهما نار صاحبه، قال الكسائي العرب
تقول دارى تنظر إلى دار فلان ودورنا تتناظر، وقيل المراد بذلك نار الحرب
(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطلقوا الله) وعلى هذا ناراهما مختلفان هذه
تدعو إلى الله وهذه تدعو إلى الشيطان فكيف يتفق أهلها في بلاد واحدة .
ومنه ما روى عن عمران بن حصين قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سرية فحمل رجل من ورائي على رجل من المشركين فلما غشيه بالرمح
قال إني مسلم فقتله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني
قد أذنبت فاستغفر لي قال وما ذاك فقال قصته وقال ظننت أنه متعوذ فقتلته قال
أفلا شققت عن قلبه ؟ حتى يستبين لك وقال ليتبين لي قال قد قال لك بلسانه فلم
تصدقه على ما في قلبه فلم يلبث الرجل أن مات فدفن فأصبح على وجه الأرض
فقلنا عد ونبشه فامرنا عبداً وموالينا فخرسوه فأصبح على وجه الأرض فقلنا فلعلهم
غفلوا فخرسنا فأصبح على وجه الأرض فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرناه
قال إن الأرض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أحب أن يخبركم بعظم الذنب
ثم قال اتهبوا به إلى سفح هذا الجبل فأقصدوا عليه من الحجارة ففعلنا .

فيه أن القاتل وهو الخزاعي علم حرمة قتل من قتله ولهذا قال أذنبت
فاستغفر لي وقوله ظننت أنه متعوذ زيادة منه في الاعتذار في قتله لأن قتل
المتعوذ أيسر من قتل من قاله صادقا من قلبه فلم يكن ظنه ذلك دافعا عنه عقوبة

ذنبه فمأقبه الله تعالى من أجل ذلك بما عاقبه والله اعلم بحقيقة الأمر .

في الوصية بالقبط

روى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستفتحون
أرضاً يذكرفيها القيراط فاستوصوا بأهلها فان لهم ذمة ورحماً فاذا رأيتم رجلاً (١)
يقتتلان في موضع لبنه فاخرج منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل
ابن حسنة يتنازعان في موضع لبنه فخرج منها ، ليس المراد قيراط الدرهم
والمقال المعروف في كلام الناس ولا الذي ورد في الحديث في اجر المصل على
الحنافة والمشيع لها وفي وزر مقتني الكلاب وانما المراد به السب من قولهم
أعطيت فلاناً قراريطه اذا سمع منه ما يكره واجابه بما يكرهه ويحذر بعضهم بعضاً
فيقول اذهب عني لا اعطيك قراريطك يعني سبابك واسماك المكروه ولا يعرف
هذا اهل مدينة سوى اهل مصر فكان الاخبار بهذا علماً من اعلام النبوة
والمراد بأهلها القبط ، يوضحه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
تفتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمة ورحماً ، لان هاجرام اسمعيل
كانت منهم ، فهذه الرحم ، واما الذمة مع انها كانوا اهل حرب وليس لهم ذمة
فان المراد بذلك الحق الذي لهم برحمهم فكان ذلك ذماً ما لهم يجب رعايته كقوله
تعالى (الاولاد ذمة) فانها هي التذمة .

في فتح مكة وقتل من امر بقتله

روى مصعب بن سعد عن ابيه قال لما كان يوم الفتح فتح مكة
آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الاربعة نفر وامراتين وقال اقتلوهم
وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة ، عكرمة بن ابي جهل ، وعبد الله بن خطل
ومقيس بن صباية ، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ، فاما عبد الله بن خطل فاق
وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن يا مر فسبق
سعيد عمارا وكان اشد الرجلين فقتله .

- واما مقيس بن صبابه فادركه الناس في السوق فقتلوه، واما عكرمة
فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف فقال اصحاب السفينة لاهل السفينة اخلصوا
فان آلهتكم لا تنجي عنكم شيئا ههنا وقال عكرمة والله لن لم ينجني في البحر الا
الاخلاص لا ينجني في البر غيره اللهم ان لك على عهدا ان انجيتني بما اتا فيه ان
آتي عهدا اضع يدي في يده فلا جد نه عفو اكرما فنجا فاسلم، واما عبد الله بن ابي
سرح فانه اختبى عند عثمان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للبيعة
جاء به حتى اوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع
رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث مرات ثم اقبل على اصحابه
فقال اما كان فيكم رجل يقوم الى هذا حين رآ في قد كففت يدي عن مبايعته
فيقتله فقالوا ما دريت يا رسول الله فهلا او مات الينا بعينك؟ فقال انه لا ينبغي لنبي
ان يكون له خائنة اعين، فيه انه صلى الله عليه وسلم امر في الاربعة بقتلهم
مطلقا ثم خرج من ذلك عكرمة وعبد الله باسلامهما فحقن دمهما وقتل
الآخران بالكفر الذي ثبتا عليه وخروجهما بطريق الاستثناء الشرعي دون
اللساني فكذلك تكون امور الائمة بالعقوبات مستثنى منها بما يدفع العقوبات
بالشرعية وان لم يستثنوا ذلك بالسنتهم.
- ١٥ ومنه ما روى مطيع بن الاسود وكان اسمه العاصي فباه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مطيعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امر بقتل
هؤلاء الرهط بمكة يقول لا تغزى مكة بعد هذا العام ابدا ولا يقتل رجل من
قريش صبرا بعد اليوم. لم يذكر الراوى لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم معربا
وذلك مما يقع فيه الاشكال لانه ان كان لا يقتل بالجزم كان ذلك على الامر وفيه
٢٠ خلاف حكم الله لان حكم الله ان القرشي يقتل قودا ويرجم اذا زنى محصنا
وحاشا ان يكون لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجا له عن هذه الاحكام
فتاويله والله اعلم لا يقتل مرفوعا على الخبرية كقوله لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين، وسياق بيانه.

فان قيل قد قتل كثير من قریش صبرا بعد الاسلام قلنا ان المراد هو أنه لا يقتل قرشي بعد ذلك العام صبرا على ما اباحه صلى الله عليه وسلم من قتل الاربعة عامئذ فانه كان قتلا على حراب الكفر ولم يكن بمحمد الله عاد قرشي كافرا محاربا لله ورسوله في دار الكفر الى يومنا هذا ولا يكون الى يوم القيامة لان الله تعالى لا يخلف وعده ورسوله . يؤيده ما روى عن الحارث ابن البرصاء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة لا تغزى مكة بعد هذا اليوم ابدا - قال سفيان يعني انهم لا يكفرون فلا يغزون على الكفر - فكذلك معنى لا يقتل قرشي لا يعودون كفارا يغزون حتى يقتلوا على الكفر كما لا تعود مكة دار كفرا بدا تغزى عليه .

في قتل على اهل الاهواء

روى عن على قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما افتتح مكة واتاه اناس من قریش فقالوا يا محمد انا حلفاؤك وقومك وانه قد لحق بك ابناؤنا وارقاؤنا وليس بهم رغبة في الاسلام انما فروا عن العمل فاردهم علينا فشاؤا ابائكم فقال صديقوا يا رسول الله فتغير وجهه فقال يا عمر ما ترى فقال مثل قول ابي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعثن الله عليكم (١) رجلا امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم على الدين، قال ابو بكر انا هو يا رسول الله قال لا ولكنه خاضع النعل في المسجد قال وكان قد اتى الى على نعله يخضعها وقال على اما اني سمعته يقول لا تكذبوا على فانه من يكذب على يابج النار - الفتح المذكور هو فتح الحديبية السابق على فتح مكة وفيه نزلت (انا فتحنا لك فتحا مبينا) - والصحابه يخاطبون الحزن والكآبة لما حيل بينهم وبين نسكهم ونحووا بالحديبية فقال صلى الله عليه وسلم لقد نزلت على آية هي احب الى من الدنيا جميعا فقرأها فقال رجل هنيئا مريئا يا نبي الله

(١) كذا في الاصل وفي سنن الترمذي في هذه القصة استثنى اولي عثن الله

- قد بين ما يفعل بك فاذا يفعل بنا؟ فآزل الله (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية واضيف الفتح الى مكة لانه جعل سببا لفتحها والوعيد الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم للاذنين جاؤه من قريش فسألوه ان لم ينتهوا الا يكون الا وهم على الكفر والا ومكة دار حرب ثم كفاه الله ذلك منهم وفتح عليه مكة ودخلوا بذلك في الاسلام على ما دخلوا به فيه .
- من طوع ومن كره ، ومنه ما روى عن ابي سعيد الخدري قال كنا جلوسا نتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج اليها من حجرة عائشة فاقطعت نعله فرمى بها الى على ثم جلس فقال ان منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن كما قالت على تنزله فقال ابوبكر انا ؟ قال لا قال عمر انا ؟ قال لا ، ولكنه خاضف النعل في الحجرة ، قال رجاء الزبيدي فأتى رجل عليا في الرحبة فقال يا امير المؤمنين هل كان في حديث النعل شيء ؟ قال اللهم انك لتشهد أنه مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسره الى . فيه وعد لعلي بن ابي طالب بانه يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو صلى الله عليه وسلم على تنزله ولا بد من انجازه بخلاف الحديث الاول فانه وعيد لاهل مكة من اجل سؤالهم والوعيد قد ينجز وقد لا ينجز ، روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ١٠ من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمل عقابا فهو بالخيار . وسئل ابو عمرو بن الدلاء أيجوز أن يعد الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه فقال لا ، فليل واذا اوعده على عمل عقابا فلا بد أن ينجزه فقال ابو عمرو لسائله ومن قبل المعجزة أتيت ان العرب كانت اذا وعدت فشرها ان تفي واذا اوعدت فشرها ان لا تفي .

٢٠

ولا يرهب ابن العم والجار صوتي ولا اختشى من خشية المهتدد
 وافي وان اوعده او وعدته لأخلف ايعادى وانجز موعدى
 وما في الحديثين من خصف النعل فيجوز أن يكون في يومين وذلك
 اولى ما حملت عليه لثلاث ، واما حقق الوعد ما كان من قتال على الصوارج

وقتلهم اياهم ووجودهم على الصفة التي وصفهم عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من الخصائص التي اختص الخلفاء بها فاخص ابا بكر بقتال اهل الردة، وعمر بقتال العجم حتى فتح الله على يديه واظهر به الدين، وعلى بن ابي طالب بقتال الخوارج المقاتلين على تأويل القرآن، وعثمان بن عفان بجمع القرآن على حرف واحد فقامت به الحجة وابان به ان من خاف حرفا منه كان كافرا . واعاذنا به ان نكون كأهل الكتابين قبلنا الذين اختلفوا في كتابهم حتى تهايا منهم تبديله فرضوا ان الله على خلفاء رسوله جزاهم الله عنا افضل ما جازى به احدا من خلفاء انبيائه على طاعتهم اياه ونحمد الله على ما عرفنا به من امانتهم وفضائلهم وخصائصهم ولم يجعل في قلوبنا غلا لأحد منهم ولا لمن سواهم من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انه ارحم الراحمين .

في الهجرة بعد الفتح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فاقرؤا، وفيما روى عن مجاشع بن مسعود انه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح بأخي معبد ليايعة فقلت يا رسول الله جئت بك بأخي معبد ليايعة على الهجرة فقال ذهب اهل الهجرة بما فيها فقلت على اى شيء تبايعة؟ فقال على الايمان او على الاسلام والجهاد، زاد في حديث آخر، فانه لا هجرة بعد الفتح ويكون من التابعين باحسان - وروى عن عوفان انه قال لما فتحت مكة جاء بابنه فقال يا رسول الله اجعل لي نصيبا من الهجرة فقال لا هجرة اليوم فدخل على العباس فخرج العباس في قميص ليس عليه رداء فقال يا رسول الله قد عرفت فلا تأو الذي كان بيني وبينه وانه جاء بابنه فما يمنعه قال لا هجرة، فقال العباس يا رسول الله اقسمت قد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومسح عليه وادخل يده وقال ابررت عمي ولا هجرة . وروى عن عائشة انه قيل لها يا ام المؤمنين هل من هجرة اليوم؟ قالت لا ولكن جهاد ونية انما كانت الهجرة قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

يفر الرجل بدينه الى النبي صلى الله عليه وسلم . ففيها ان الهجرة قد انقطعت
بفتح مكة وفي حديث عائشة بيان السبب ودل على ذلك ايضا ما كان من
الاطلاق لصفوان بالرجوع الى مكة لما قدم عليه بالمدينة حين قيل له قبل
ذلك لادين لمن لم يهاجر اذ لو كان الحكم على ما كان عليه لما اباح له الرجوع
الى الدار التي هاجر منها كما لم يطلق ذلك للمهاجرين اليه قبل الفتح حتى جعل
لهم اذا قدموها لحجهم اقامة ثلاثة ايام بعد الصدر لازيادة عليها وكان
المهاجرون يشفقون من اذراك الموت اياهم بها ويعظمون ذلك ويخشونه كما
في حديث سعد بن ابى وقاص في مرضه عام الفتح بمكة واشفاؤه ان يموت
بمكة وقوله اخلف عن هجرتي ، قال صلى الله عليه وسلم انك لن تخلف بعدى فتعمل
عملا تريد به وجه الله الا ازددت به درجة ورفعة ولعلك ان تخلف حتى ينتفع
بك اقوام ويضربك آخرون اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم
اكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة .
فلادليل ادل على انقطاع الهجرة بعد فتح مكة من الآثار التي ذكرنا .

وروى عن ثلاثة من الصحابة ما يؤكد ، عن ابى سعيد الخدري قال لما نزلت
(اذا جاء نصر الله) قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ختمها ثم قال انا
واصحابي خير لا هجرة بعد الفتح ، قال لحدثت بذلك مروان وكان على المدينة فما
صدقني وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قتل اما هذين لو شاءا حدثاك
والكن زيد يخاف ان تعزله عن الصدقة ورافع يخاف ان تعزله عن عرافة قومه ،
قال فنبذ علي بذرته فلما رأيا ذلك قالا صدق . ولا يخالف هذا ما روى عن جنادة ان
رجلا حدثه ان رجلا من الصعابة قالوا ان الهجرة انقطعت واختلفوا في ذلك
قال فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضت القصة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد .

وما روى عن عبد الله بن السعدي قال وفدت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفر من بني سعد فقلت يا رسول الله اخبرني عن حاجتي فقال

وما حاجتك فقلت انقطعت الهجرة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت خيرهم حاجة لا تنقطع الهجرة ما توتل الكفار اذ يحتمل ان يكون المراد به كفار مكة الذين يقاتلون على فتح مكة حتى فتحت بما فتح الله عز وجل عليهم به . وكذلك لا يخاف ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة وحتى تطلع الشمس من مغربها قال ذلك ثلاث مرات ، لان هذه الهجرة هجرة السوء التي يهجر بها ما كان قبلها مما قطعه التوبة ليست المهاجرة من بلد الى آخر يدل عليه ما روى عن صالح بن بشير بن فديك قال خرج فديك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انهم يزعمون ان من لم يهاجر هلك فقال يا فديك اقم الصلاة وآت الزكاة واهجر السوء واسكن من ارض قومك حيث شئت تكن مهاجرا فيمن ان الهجرة بعد فتح مكة هي هجرة السوء وانها لا تمنع النكس في غير المدينة . وفيما ذكرنا من هذا بيان لما وصفنا وقد وجدنا ما هو اذلى على ما ذكرنا من هذا قول الله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان) الآية السابقين من المهاجرين من هاجر من مكة وغيرها من بلاد الكفر الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (والذين اتبعوهم باحسان) هم الذين دخلوا في الاسلام بعد ان صارت مكة دار الاسلام يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لجاشع لما اتاه باخيه بعد الفتح ليبايعه على الهجرة لابل نبايع على الاسلام فانه لا هجرة بعد الفتح ويكون من التابعين باحسان .

في قدوم مسيلمة الكذاب

روى عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فجعل يقول ان جعل لي عهد الامر من بعده تبعته وقد مها في خلق كثير من قومه فأقبل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس وفي يده صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال لو

سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ولن تعد وأمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإنى لأراك إلا الذى رأيت فيه ما رأيت وهذا ثابت يجيبك غنى، ثم انصرف قال ابن عباس فسألت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيه ما رأيت فأخبرني أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا قائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فهمني شأنهما فأوحى الله إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذا بين يخرج جان بعدى فكان احدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلة صاحب الحمامة .

فان قيل كيف لم يقتل مسيلة بابائه الذخول في الاسلام؟ قلت يحتمل انه جاء على جوار ليخاطبه بما يجيبه اليه او يمتنع عليه قال تعالى (وان احد من المشركين استجارك فأجره) الآية فلم يقتله لذلك .

١٠

في تأمين رسل الكفار

روى سلمة بن نعيم عن ابيه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسل مسيلة بكتابته ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها واتما تقولان مثل ما يقول؟ فقالا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما .

١٥

وروى عن حارثة بن مضرب انه اتى عبد الله بن مسعود فقال ما بيني وبين احد من العرب حنة وانى مررت بمسجد بنى حنيفة فاذا هم يؤمنون بمسيلة فارسل اليهم عبد الله فجاءهم فاستتابهم غير ابن النواحة فقال له ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا انك رسول لضربت عنقك فاليوم انت لست برسول فأمر قرظة بن كعب فضرب عنقه في السوق ثم قال من أراد ان ينظر الى ابن النواحة قتيل بالسوق فلينظر .

٢٠

انما لم يقتل الرسل وان كان منهم مثل ما كان من ابن النواحة وصاحبه مما يوجب قتلها لو لم يكونا رسولين لقوله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) اى فيتبعه فيجب عليه المقام حيث يقيم المسلمون اولا يتبعه فيبلغه

مأمنه اذ في تركه اتباعه بقاؤه على كفره الذي يوجب سفك دمه لو لم يأته طالبا لاستماع كلام الله تعالى فكما حرم سفك دمه حتى يخرج من ذلك المطلب فكذلك سفك دم الرسول حتى يخرج من تلك الرسالة بالرجوع الى مرسله فيقبل ما جاء به فهو من اولاء فيبقى حربيا ويحمل سفك دمه .

في قبول هدايا اهل الحرب

روى عن عياض بن حمار كان حرمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية انه اهدى له هدية فردها وقال انا لا تقبل زبد المشركين ، والعرب تسمى الهدية زبدا والحرمي يكون من اهل الحرم ويكون الصديق ايضا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية يعني بكتابه معه اليه فقبل كتابه واكرم حاطبا واحسن نزله ثم سرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين احدهما ام ابراهيم والاخرى وهبها لجهنم بن قيس هي ام زكريا بن جهنم الذي كان خليفة لعمر بن العاصي على مصر ، وروى انه اعطاها حسان بن ثابت .

ردهدية عياض وقبول هدية المقوقس مع انها كانا كافرين لا فراق كفرهما فان عياض بن حمار من المشركين كالمجوس من العجم لا يؤمنون بالبعث لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم والمقوقس اهل كتاب يؤمن بالبعث وتقبل منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم وتنكح نساؤهم فكل مشرك كافر من غير عكس وقد امرنا ان لا نجادل اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقبول هديتهم احسن من ردها والمشركون في ذلك بخلافهم لانا امرنا بمناذلتهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما في خطبته ، روى عن ابي امامة الباهلي قال شهدت الخطبة يوم افي حجة الوداع فقال صلى الله عليه وسلم قولوا كثيرا احسنا جميلا وفيها من اسلم من اهل الكتاب فله اجره مرتين واه مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا ومن اسلم من المشركين

فله اجره وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا . قال القاضي هذا خاص بالنصارى على دين عيسى من غير تبدل كما سيجي .

- ومنه عن علي بن ابي طالب قال اهدى كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل منه واهدت اليه الملوك فقبل منهم ، وعن ابن عباس قال اهدى كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل منه واهدت اليه الملوك فقبل منهم ، وعن ابن عباس قال اهدى المقوقس صاحب مصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدحاً من زجاج فكان يشرب فيه ، وعن انس ان ملك ذى يزن اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة بثلاثين قلوفاً وبثلاثين بغيراً ، وعن عبد الله بن بريدة عن ابيه ان صاحب الحشة اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين ساذجين فلبسهما ومسح عليهما ، وعن عبد الرحمن القاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطباً الى المقوقس فاكرمه واهدى معه بغلة بسرجهما وجاريتين ، الحديث ، وكان عبد الرحمن حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - لذلك ادخل حديثه في المسند - وعن عبد الرحمن ابن يزيد عن ابيه قال اهدى امير القبط لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاريتين اختين قبطيتين وبغلة فاما البغلة فكان يركبها واحدى الجاريتين تسراها فولدت له ابراهيم ، واما الاخرى فاعطاها حسان بن ثابت .

انما خالف امر الامة في الهدايا امر النبي صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختصه في اموال اهل الحرب بخاصة خالف بها غيره من امته فقال (ما افاء الله على رسوله منهم فإا وجفتم عليه من خيل ولا ركاب) الآية .

من ذلك اموال بنى النضير كانت له خالصة فكان ينفق على اهله منها نفقة سنة ويجعل الباقي في الخيل والكراع في سبيل الله .

ومن ذلك الهدايا لانه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب والذي يروى من رده هدايا المشركين بقوله انا لا تقبل زبد المشركين كان قبل ان تنزل عليه

هذه الآية فلما نزلت اباحت له من امواله ما صار اليه بشيرا يخاف خيل عليه ولا ركاب .

في قسم ما افاء الله عليه

روى عن مسود بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقية فبانح ذلك اباه مخرمة فقال يا بنى انه قد بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقية فهو يقسمها فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال اى بنى ادع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسود فاعظمت ذلك وقلت ادعوك رسول الله ! فقال اى بنى انه ليس بمجار فدعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وعليه قباء من ديباج مزور بذهب فقال يا مخرمة هذا خيأتك فاعطاه اياه . ١٠

وفي رواية اخرى فكأ في النظر اليه يرى محاسن القباء ويقول خيأت هذا لك خيأت هذا لك ، وفي حديث آخر فقال رضى مخرمة ولبعض روايته انما فعل ذلك بمخرمة اتقاء من لسانه وكان ذلك قبل تحريم لبس الحرير ولذلك لبس الرسول صلى الله عليه وسلم القباء وكانت مما اوجف عليه بغير خيل ولا ركاب وكان خالصا له فلم يستأثر بالاقية لنفسه ورددها في اعزاز الاسلام واصلاح قلب من يخاف فساد عليه طلبا لللفة بين الامة ودفعاً للكره الذى يخاف من بعضها على بقيتها وانطلق له لباسه لانه غير مشترك بينه وبين امته ولا وجب لمخرمة الابتسليمه اياه اليه ولو كانت الاقية من الصنف الذى قال الله تعالى فيه (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) الآية لما لبس صلى الله عليه وسلم منها شيئا . ٢٠

في الاستعانة بالمشرك

روى عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة ادركه رجل قد كان يذكر منه جرأة وتجدد ففرح اصحاب

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما ادركه قال يا رسول الله جئت لا تبعك واصيب معك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتؤ من بالله عز وجل؟ قال لا قال فارجع فلن نستعين بمشرك ، الحديث بطوله ، الى قوله اتؤ من بالله ورسوله ؟ فقال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق .

- وروى ابن شهاب ان صفوان بن امية سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد حنيئا والطائف وهو كافر ، وهو يسند من رواية جابر بن عبد الله قال لما انهزم الناس يوم حنين جعل ابوسفبيان بن حرب يقول لانتهي هنيمتهم دون البحر وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع اخيه لامة صفوان ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لان يربني رجل من قريش احب الى من يربني رجل من هوازن . لا مخالفة بين حديث صفوان وبين قوله ١٠ لانتعين بمشرك لان صفوان قتاله كان باختياره دون ان يستعين به النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك والاستعانة بالمشرك غير جائزة لكن تخليتهم للقتال جائزة لقوله تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم) والاستعانة اتخاذ منه لهم بطانة فاما قتالهم معه دون استعانة فبخلاف ذلك وكذلك دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اليهود لما بلغه جمع ابى سفیان ليخرج اليه يوم احد فانطلق الى اليهود الذين كانوا في ١٥ النضير فوجد منهم نفرا عند منزلهم فرحبوا به فقال انا جئناكم نخبر انا اهل كتاب وانتم اهل كتاب وان لا اهل الكتاب على اهل الكتاب النصر فاما قاتلم معنا واما اعزتمونا سلاحا ، ليس بخلاف لان الممتنع الاستعانة بالمشرك ، واليهود الذين دعاهم الى قتال ابى سفیان معه اهل كتاب ليسوا من المشركين ، فلما اجتمع اهل الكتاب معنا في الايمان بالانبياء الذين ارسلهم الله على من ارسل من انبيائه وفي الايمان بالبعث بعد الموت كانت ايدينا واحدة في قتال عبدة الاوثان والعلبة لنا لأننا الاعلون وهم اتباع لنا في ذلك وهكذا حكمهم الى الآن عند ابى حنيفة واصحابه اذا كان حكمنا هو الغالب بخلاف ما اذا لم يكن حكمنا غالبا فعوذ بالله ، وليس هذا بخلاف ايضا لما روى ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع إذا هو بكتيبة حسناء فقال من هؤلاء؟ قالوا بنو قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام وقوم عبد الله بن سلول فقال اسلموا فأبوا قال قل لهم فإيرجعوا فأبوا لا نستعين بالمشركين على المشركين ومعنى قوله وهم قوم عبد الله بن أبي ليس المراد أن عبد الله منهم لأنه ليس من اليهود لأنه من الرهط الذين يرجع الانصار اليهم بانسابهم ولكنه خذل بنفاقه فما نسبته فيهم فقام وقيل لهم قومه بمحالفته لا بما سوى ذلك وإن كان فيه تسحية اليهود مشركين ومنعهم من القتال معه لأن بني قينقاع بمحالفتهم عبد الله صاروا كالمتردين عما كانوا عليه إلى ما هو عليه لأن المحالفة هي الموافقة بين المتحالفين فخرجوا به عن حكم أهل الكتاب فصاروا كمن ارتد عن الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية لا يكون بذلك يهوديا ولا نصرانيا في أكل ذبائحهم وحل نسائهم فكذلك هؤلاء لما حالفوا المنافق صاروا كالمشركين فكان لهم حكمهم فلذلك منعوا وسموا مشركين .

في أسهام من لم يشهد الحرب

روى عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد على سرية من المدينة قبل نجد فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما فتحنا وإن حرم خيلهم لليف فقال أبان أقسم لنا يا رسول الله قال أبو هريرة لا تقسم لهم شيئا يا نبي الله فقال أبان أنت بهذا يعني يا وبر نجد قال صلى الله عليه وسلم اجلس يا أبان فلم يقسم لهم شيئا .

فيه أن السائل هو أبان وروى أن السائل كان أبا هريرة فإنه روى عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما فتحوها فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسهم لي من الغنيمة فقال بعض بني سعيد ابن العاصي لا تسهم لهم يا رسول الله فقلت يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل فقال ابن سعيد وأصحابي لو يرتد لي علينا من قديم ضان ينمي على قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي ولم ينمي على يديه .

قال

قال سفيان لا ادرى اسمهم اولم يسهم له ، قاله اعلم من السائل منهما
وروى ان ابا هريرة قدم المدينة هو ونفر من قومه وقد خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى خيبر واستخلف على المدينة رجلا من بني غفار يقال له
سباع بن عرفة قال فأتيناه فوجدنا شيئا حتى قد منا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في سها مهم .

ففيه دليل على ان السائل في هذه القصة هو ابو هريرة وابان بن سعيد
وقد اختلف العلماء في هذا المعنى من الفقه فطائفة منهم توجب لمن كانت حاله
حال ابي هريرة وابان الدخول في الغنيمة المغنومة قبل قدومه لان الامام
لا يأمن من العدو مادام في بلدهم فلما جئته إلى المدد قائمة وهو قول ابي حنيفة
واصحابه وطائفة منهم لا يشركونهم وهم الشافعي ومالك واختلف في ذلك عمار
ابن ياسر وعمر بن الخطاب فلما من الامام عود العدو اليه ثم لحقه المدد
فلاحق لهم اتفاقا فيما غنموه قبل قدومهم ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابان وابا هريرة من تلك الغنيمة يحتمل ان خيبر قبل قدومهما عليه صارت
دارا اسلام استغنى عن المدد ويحتمل ان يكون لا اختصاص خيبر باهل الحديبية
بقوله (وعذكم الله مغنا كثيرة تأخذونها) . يريد اهل الحديبية (فعجل
لكم هذه) يعني خيبر وعن ابي هريرة ما شهدت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مغنا الا قسم لي الاخير فانها كانت لاهل الحديبية خاصة - وفي سؤال
ابان او ابي هريرة وهو فقيه صحابي وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكار ذلك السؤال عليه دليل على ان ما سألناه ما كان محالا اذ لو كان لبينه
وما روى انه اشرك ابا هريرة في تلك الغنيمة فكان بعد مسامحة اهل الحديبية
لابي هريرة وايثارهم له ذلك باشارة الرسول صلى الله عليه وسلم كما روى
عن ابي موسى انه قال قد منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر
بثلاث فقسم لنا وما قسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا وكان ذلك بمساحتهم ايضا
وسماحتهم بعد مشاورته صلى الله عليه وسلم معهم على ذلك .

في مال العبيد من المغمم

عن عمير مولى آبي اللحم قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فقامت فقلت يا رسول الله ، سهمي ، قال خذ هذا السيف فتقلده قال فتقلده فخطت نعله في الارض قال فامرني من الخرنبي ، وروى عنه في حديث آخر قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخبر وعنده الغنائم وانا عبد مملوك فقلت يا رسول الله اعطني قال تقلد هذا السيف فتقلده فوقع بالارض فاعطاني من خرنبي المتاع ، فعلمنا بذلك على انه كان عبدا وامره صلى الله عليه وسلم بتقلد السيف ليعلم قدر غناؤه في القتال ليعطى له ما يعطى مثله دون ان يضرب له بسهم كالأحرار الذين ساوى الله بين قلوبهم وضعيفهم في ذلك .

روى ان نجدة بن عامر كتب الى ابن عباس يسئله عن المرأة والعبد اذا حضر البأس هل يسهم لها فكتب اليه ابن عباس لم يكن يسهم لها الا ان يحذيا من غنائم القوم ، وانما اعطى صلى الله عليه وسلم عميرا بقتاله وانما الذي يجب له في ذلك لمن يملكه ، روى عنه قال شهدت خيبر مع ساداتي فكلموا في رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه اني مملوك فأمرني فتقلدت السيف فاذا انا اجره فامرني بشيء من خرنبي المتاع .

في الغنائم والاسرى

روى عن ابن عباس قال لما اسروا الاسارى في يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ويا عمر ماترون في هؤلاء الاسارى؟ قال ابو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى ان تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى يا ابن الخطاب؟ قال عمر والله ما ارى الذي رأى ابو بكر يا نبي الله ولكن ارى ان تمكنا منهم فنضرب اعناقهم وتمكن علينا من عقيل

فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء اثمة الكفار وصناديدها وقادتها فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وابو بكر قاعدان يكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اى شيء تبكى انت وصاحبك ؟ ه
فان وجدت بكاء بكيت بيكا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى للذي عرض على من الفداء اقد عرض على عذابكم اذى من هذه الشجرة، الشجرة قرية من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يتخن في الارض) الى قوله (حلا لا طيبا) فأحل الله الفدية لهم .

- وروى عن ابي هريرة قال لما كان يوم بدر تعجل ناس من المسلمين فأصابوا من الغنائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤس قبلكم كان النبي اذا غنم هو واصحابه جمعوا غنائمهم فتزول نار من السماء فتأكلها فانزل الله تعالى (اولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلا لا طيبا) هذا شبه بالآية من حديث ابن عباس لانه اثبت فيها اخذا متقدما كان الوعيد عليه بقوله (لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) وهو ١٥
اخذهم ما اخذوا من الغنائم قبل ان تحل لهم وليس في حديث ابن عباس انهم اخذوا شيئا انما فيه ان ابا بكر اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ منهم الفداء لا غير . فيه معنى يجب الوقوف عليه والحذر من الله في التقدم لأمره لان هذا الوعيد لما لحق اهل بدر وقيل فيهم (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)
كان لمن سواهم ممن هو دون رتبهم الحق . واختلف في المراد بالآية قال ابن عباس سبقت لهم من الله الرحمة قبل ان يعملوا بالعصية ، وقال الحسن سبق ان الله مطعم هذه الامة الغنيمة ففعلوا الذي فعلوا قبل ان تحل لهم الغنيمة وروى عنه قال سبق من الله انه كان مطعما هذه الامة الغنائم وانهم اخذوا الفداء من القوم يوم بدر قبل ان يؤمروا بذلك فتاب الله عليهم وعابه عليهم ثم احله لهم وجهه غنيمة ، وروى عنه انه قال سبق من الله ان لا يعذب قوما الا بعد تقدمه

ولم يكن تقدم اليهم فيها . وروى عنه قال سبق من الله الغفران لاهل بدر
وهذه التاويلات كلها محتملة للآية والله اعلم بما رآه فيها .

ومنه ما روى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو كانت مطعم بن عدى حيا فكنتى في هؤلاء التنى لأطلقتهم له يعنى
اسارى بدر، وكانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد، ان الله تعالى خير النبي
صلى الله عليه وسلم بين ان يطلق منا منه او يأخذ الفداء عن يفتدى به من القتل
الواجب عليه بقوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) الآية فلا وجه لانكار من
انكر ذلك وقد من على غير اسارى بدر وهم سبى هوازن لما كسوه فيهم
وخيرهم بين المال والسبى فاختروا السبى فأطلقهم لهم على ما روى انه قال
صلى الله عليه وسلم أما بعد فان اخوانكم هؤلاء قد جاؤا تائبين وانى قد رأيت
ان ارد اليهم سيبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك فعل ومن احب منكم ان
يكون على حقه حتى نعطيه اياه من اول ما يقىء الله تعالى علينا فليفعل، فقال
الناس قد طيبنا لك يا رسول الله ولهم فقال انا لاندري من اذن منكم في ذلك
عن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عر فاؤكم امركم فرجع الناس فكلهم
عر فاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم
قد طيبوا واذنوا .

انما استأذن صلى الله عليه وسلم في سبى هوازن الناس وقال في
اسارى بدر او أن مطعم بن عدى كلمنى فيهم لتركتهم - لان في اسارى بدر
ما كانوا يملكوا وكان السبيل فيهم اما القتل او المن او الفداء منهم فاكان حاجة
الى استئذان احد بخلاف سبى هوازن فانهم قسمن وملكن فلا يجوز لآخر اجهن
عن ملك الغزاة بغير رضاهم يؤيده ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطى عمر بن الخطاب جارية من سبى هوازن فوهبها لعبد الله ابنه فبعث بها
الى اخواله من بنى جمح ليصلحو اليه منها حتى يطوف بالبيت وهو يريد أن
يصيبها اذ ارجع اليها فخرج من المسجد حين فرغ فاذا الناس يشتدون فقال

ما شانكم

ما شاء نكم؟ فقالوا ارد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءً واولياءنا قال قلت تيكم صاحبكم في بني جمع فاذهبوا فخذوها فذهبوا فاذهبوا فخذوها .

- في اطلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم السبي الى قومهم بحجر د
نقل العرفاء انهم اذنوا دليل لمن يقول يقبل اقرار الوكيل على موكله فيما وكله
به عند الحاكم لان العرفاء مقام الوكلاء وهو ابو حنيفة ومحمد بن الحسن .
وهو احتياج صحيح خلافاً لمن يقول لا يقبل اقرار الوكيل على موكله وينعزل
به وهو زفر وابويوسف وغيرهما وروى عن عطاء انه كان يكره قتل الاسير
صبراً ويتلو هذه الآية (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها)
وقال ابن خديج فنسخها قوله تعالى (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) .
قال الطحاوي - دل قوله تعالى (ما كان للنبي ان يكون له اسرى)
حتى يثخن في الارض (على ان القتل فيهم اولى من الاسر وقوله (فاما منا
بعد واما فداء) كان نزولها بعد احلال الله تعالى لهم الفنائم، ألا ترى الى
قوله (تريدون عرض الدنيا) اي منافعها بالاسر الذي فعلتموه حتى تأخذوا
الفداء ممن اسرتموه ثم اتبع ذلك بقوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم) والاخذ هو الاسر الذي يكون سبباً لذلك الاخذ ومما يدل
على قتل الاسرى ما روى ان الضحاك بن قيس اراد ان يستعمل مسروقاً
فقال له عمارة بن عتبة ألتستعمل رجلاً من بقايا قتلة عثمان؟ فقال له مسروق حدثنا
عبد الله بن مسعود ان اباك لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتله فقال
من للصبية يا محمد؟ قال النار، فقد رضيت لك ما رضيت لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

٢٠

وما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة فبطوه بسارية المسجد
فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي
يا محمد خير ان تقتل تقتل ذاكم وان تنعم تنعم على شاكروا ان ترد المال فسل

تقط منه ما شئت ، الحديث ، فعدم رد الرسول صلى الله عليه وسلم قوله
 ان تقتل تقتل ذاكم دل على ان قتله كان اجراؤه وان كان اسيرا ، وماروى
 عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر
 فلما فرعه قيل له هذا ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه ، وابن خطل
 حينئذ كان في حكم الاسير وماروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن
 الناس يوم الفتح الا اربعة نفر وامراتين وقال اقتلوه وان وجدتموهم
 متعلقين باستار الكعبة فقتل منهم عبد الله بن خطل ومقيس بن صبابه وركب
 عكرمة بن ابى جهل البحر فاصابهم ريح عاصف فعاهد الله لياتين رسول الله
 صلى الله ان نجافنجا واسلم ، واما عبد الله بن ابى سرح فانه اختبى عند عثمان بن
 عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للبيعة جاء به حتى اوقفه
 على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه
 ثلاثا كل ذلك يابى ان يبايعه فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان
 فيكم رجل يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ قالوا ما درينا
 يا رسول الله ما في نفسك نهلا او مات الينا بعينك فقال انه لا ينبغي لنبى ان يكون
 له خائنة الا عين . ١٥

أفلا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك وعبد الله
 اسيره اذ ذاك ومثل ذلك حديث انس في الذى كف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن بيعته ليبنى بنذر الذى كان نذرا ان يقتله لما رأى شدته على المسلمين ،
 ويدل عليه ايضا قوله صلى الله عليه وسلم لابن النواحة وصاحبه الوافدين عليه
 من عند مسيلة اذ قال لهما أ تشهدان انى رسول الله (١) فقالا له أ تشهدان ان
 مسيلة رسول الله : لو كنت قاتلا وفد القتل لكما وكانا كالا سيرين ، فهاذا كراتنا
 ما دل على اباحة قتل الاسرى .

و ماروى عن عبد الله بن مغفل قال اصبت جرابا من شحم يوم خيبر

فالتزمته فقلت لا اعطى احدا اليوم من هذا شيئا فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم .

قد عارضه بعض بما روى عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يواذى القرى فقلت يا رسول الله لمن المغنم؟ قال لله عز وجل سهم وهؤلاء اربعة اسهم قلت فهل أحد احق بشئ من المغنم؟ من أحد؟ قال لا حتى السهم يأخذه أحدكم من جنبه فليس بأحق به من أخيه وهذا جهل من معارضه لانه حديث لا يحتاج بمثله لان روايته تعود الى مجهول ولان عبد الله بن مغفل إنما أخذ من طعام كان محتاجا اليه وقد كانت الصحابة في المغازي يصيبون العنب والعسل والطعام ويتناولونه من غير أن يرفعوا منه شيئا فاذا كان واسعاهم أخذ ما تقدمت غنيمة المسلمين اياه حتى يستأثرون به لاحتهم دون من ليس له حاجة به اليه كان ما كان من ابن مغفل مما لم يتكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذه بيده وقوله بلسانه اوسع بخلاف حديث البلقيني فانه لا حاجة بالمرمى اليه حتى لو احتاج ان يرمى به من رماه او سواه من عدوه يحبسه لذلك فبان ان لا تضاد بينهما .

ومنه ما روى عن عائشة قالت لما بعث اهل مكة في فداء اسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء زوجها ابى العاصي بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها بها على ابى العاصي حين بنى عليها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم القلادة رق لها رقة شديدة حتى دمعت عيناه وقال ان رأيتم ان تطلقوها لاسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا فقالوا يا رسول الله بآبائنا انت وامها تنا فاطلقوه وردوا عليها الذى لها .

لا يقال كان المنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اليهم حتى قال في مطعم لو كلمني فيهم لا طلقتهم له نأى حاجة كانت في مشاورتهم لان قوله في مطعم كان في الوقت الذى كان له قتلهم فكان اليه المنى عليهم وقوله في القلادة كان بعد أن حقق فداؤهم دماءهم وعاد الفداء في حكم الغنيمة المشتركة

فلم يصلح منها ان يطلق الا ما طابت به انفسهم .

في الغلول

- روى ان مسلمة بن عبد الملك دخل ارض الروم فغل رجل فبعث مسلمة الى سالم بن عبد الله فقال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذتموه قد غل فاضر بواعقه و احرقوا متاعه فكان في متاعه ازاره قال مصحفا فسأل سالما فقال بيعوه و تصدقوا بشمنه .
- وفي رواية حدثني ابي عن عمر فاضر بوه مكان فاضر بواعقه والأولى اصح وأكثر ، ضرب عنق النبال و حرق رحله لم يسمع في غير هذا الحديث ولا قال به من الفقهاء غير مكحول فانه قال يحرق متاعه ، و كتاب الله يخالف ذلك قال الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا) .
- فاذا لم يكن في سرقة مال ليس للسارق فيه شركة سوى قطع يدا لاجراء له غير ذلك فاجرى ان لا يجب عليه في غلول مال له فيه حظ احراق رحله ، واما انتفاء القتل فيقول صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث ، الحديث ، ولم يثبت بالحجة ان الحكم في الغال كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما في هذا الحديث المقبول فيلحقه بها و احتمال ان يكون قبله فيكون هذا الاثرنا سخا له فوجب ان يكون الحظر على حاله حتى تقوم الحجة باطلاق شيء مما في ذلك الحظر فيطلقه .

في السلب

- روى عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على جمل احمر فاخاه ثم انتزع طلقا من حقه فقيد به الجمال ثم تقدم فتصدى مع الناس وجعل ينظر اليه (١) وفيما ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة فخرج مشتدا

(١) كذا في الاصل والظاهر ينظر اليها .

فأتى جملة فاطمى قيدة ثم اناخه فقعده عليه فأثارة واشتد به الجمل واتبعه رجل على ناقة ورقاه فرأس الناقة عند ورك الجمل قال سلمة ونحرجت أشدت حتى كنت عند ورك الجمل ثم تقدمت حتى اخذت بخطام الجمل فأنفخته فلما وضع ركبتيه فى الارض اخترطت سيفى فضربت رأس الرجل فندرفجت بالجمل اقوده وعليه رحله وسلاحه فاستقبلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فقال من قتل الرجل، قالوا ابن الاكوع قال له سلمة اجمع .

وفى رواية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو فى سفر فيجلس فتحدث عند اصحابه ثم النسل فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم اطلبوه فاقتلوه فسبقتهم اليه فقتلته واخذت سلمة فنقلنى اياه ، فيه اشارة الى ان من دخل من العدو دار الاسلام بغير امان فقتله احد او اسره يكون سلمة له دون الذين كانوا معه ولم يقتلوه ولم يأسروه وهو مذهب ابى يوسف ومحمد فالامرة لان خمس فيه وقالامرة فيه الخمس خلافا لابي حنيفة فان سلمة لجميع المسلمين لأنه مغنوم بقوة دار الاسلام والحجة لها ما قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركاز الموجود فى ارض الاسلام انه لواجده خاصة غير الخمس فيه فانه لاهله ، وذلك لأن الواجد هو الغانم له فاستحقه على الخصوص بعد الخمس وقد يمتثل حديث سلمة ان يكون كذلك فيه الخمس لاهله ولكن تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمة لأنه من اهله كما قال عمر بن الخطاب لابي طلحة فى سلب البراء بن مالك لما قتل مرزبان انا كنا لانخمس الا سلاب وان سلب البراء قد بلغ ما لا عظميا ولا ارانا الا خامسه قال فخمسه .

٢٠

وقول سلمة فى الحديث فنقلنى اياه اخبار من سلمة لا يصح ان يكون معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم له سلمة اجمع لأن ذلك يوجب ان يكون له باستحقاقه اياه بقتله دون ان ينقله اياه .

ومنه ما روى عن ابى قتادة بن ربيع انه قال خرجنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة قال فرأيت رجلا
 من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فاستدرت له حتى أتته من ورائه
 فضربته بالسيف على حبل عاتقه ضربة قطعت بها الدرع فأقبل على فضمى ضمة
 وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلقيت عمر بن الخطاب
 فقلت ما بال الناس فقال امر الله ثم إن الناس رجعوا فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من قتل قتيلًا له عليه بيعة فله سلبه فقلت من يشهد لي ثم جلست
 ثم قال ذلك الثانية ثم قال ذلك الثالثة فقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مالك يا أبا قتادة؟ فالتصمت عليه القصة فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله
 وسلب ذلك القليل عندي فأرضه منه يا رسول الله فقال أبو بكر لاها الله إذا
 لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صدق فأعطه إياه، قال أبو قتادة فأعطانيه فبعت الدرع فابتعت
 به خمرًا فافى بنى سلمة فانه لأول مال تأكلته في الإسلام، قيل فيه إن القاتل يستحق
 السلب قال الإمام ذلك أولم يقل لأن قوله صلى الله عليه وسلم يدل على قتل
 متقدم لذلك القول ولادليل فيه إذ قد يجوز أن يكون قال صلى الله عليه وسلم
 من قتل قتيلًا فله سلبه قبل ذلك القتل فكان ما قانه في هذا الحديث ليعلم من
 القاتلون فيدفع إليهم أسلاب قتلاهم، وروى عن انس ما يدل على ذلك قال لما
 كان يوم حنين جاءت هوازن تكرر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابل
 والغنم والنساء والضيأن فانهزم المسلمون يومئذ فجعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول يا معشر المهاجرين أنا عبد الله ورسوله، يا معشر الانصار أنا
 عبد الله ورسوله فهزم الله المشركين من غير أن يطعن برمح أو يضرب بسيف
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من قتل مشركًا فله سلبه فقتل أبو طلحة
 يومئذ عشرين فأخذ أسلابهم، وقال أبو قتادة يا رسول الله انى ضربت رجلا
 على حبل العاتق فأجهضت عنه وعليه درع فانظر من اخذ الدرع، فقام رجل
 فقال يا رسول الله انى اخذتها فأعطيتها وأرضه منها وكان رسول الله صلى الله
 عليه

عليه وسلم لا يستل شيئا الا اعطاه اويسكت فقام عمر بن الخطاب فقال ولا والله لا يفيها الله عز وجل على اسد من اسد الله ثم يعطيكها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر، فدل هذا الحديث ان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان منه عند انهزام الناس عنه وتفرقهم وعند حاجته الى رجوعهم اليه فكان ذلك تحريضا لهم على القتال وعلى الرجوع اليه فدل ذلك ان قوله الثاني الذي كان في حديث ابي قتادة انما كان لقوله الاول الذي كان في حديث انس وفي ذلك ما قد دل على ان من قتل قتيل في الحرب لا يستحق سلبه اذا لم يكن قال الا امام قبل ذلك من قتل قتيل فله سلبه كما يقوله ابو حنيفة واصحابه وما لك واصحابه لا كما يقول من خالفهم فيه وفي قول مالك لا يجوز ان ينفل الا امام القاتل بالسلب الا من الخمس .

١٠

ومنه ما روى عن جبير بن نفير عن عوف ان مدديا واقفهم في غزوة موتة وان زوميا كان يشد على المسلمين فتلطف له المددي فقعده تحت صخرة فلما مر به عرقب فرسه ونحر الرومي لقفاه وعلاه بالسيف فقتله فأقبل بفرسه بسرجه ولحامه وسيفه ومنطقته وسلاحه مذهب بالذهب والجوهر الى خالد بن الوليد فأخذ خالد طائفة ونقله بقيته فقلت يا خالد ما هذا ما تعلم ان رسول الله صلى الله

١١

عليه وسلم سلب القاتل السلب كله؟ قال بلى ولكني استكثرته فقلت ايم الله لأعرفنكمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قد منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته فدعاه وامره ان يدفع الى المددي بقية سلبه فولى خالد ليفعل فقلت كيف رأيت يا خالد اولم اوف لك بما وعدتك؟ فغضب رسول الله

١٢

صلى الله عليه وسلم وقال يا خالد لا تعطه واقبل على فقال هل اتمت تاركون امرأتى لكم صفوة امرهم وعليهم كدره . عوف هذا هو عوف بن مالك بن ابي عوف الاشجعي اول مشاهده خيبر مات سنة ثلاث وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان ففي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسامح القاتلين بالأسلاب من غير أن تعجب لهم يدل عليه ما روى ان البراء بن مالك اخا انس

ابن مالك بارز مرزبان الزائرة قطعته طعنة فكسر القربوس وخلصت اليه فقتله
فقوم سلبه ثلاثين الفا فلما صلينا الغداة غدا علينا عمر فقال لابي طلحة انا كنا
لأنه سلب الاسلاب وان سلب البراء قد بلغ مالا ولا ارانا الا خامسة فقومناه
ثلاثين الفا فدفعنا اليه ستة آلاف وهذا مع حضور عمرو ابي طلحة وانس
ابن مالك ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين من قوله من
قتل قتيلا فله سلبه .

وفي ذلك ما ينبغي ان يكون فيه خمس وقد طلب عمر الخمس من
سلب البراء فدل انهم كانوا يتركون الخمس الاسلاب مساحة لاجوباء عليهم
تركها اذا كان كذلك في الخمس الاسلاب كان كذلك في بقيتها فانما امضى
خالده ما كان له ان يسمح به ومنع ما كان له ان يمنعه وامضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل قول عوف وبعده ما امضى لما قد كان له ان يمضيه عليه وفي
مادل على ان اسلاب القتلى لا تستحق الا بقول متقدم من الامام من قتل قتيلا
فله سلبه ، فذلك الذي لا يجوز أن يمنع منه بحال .

قال الطحاوي وقال محمد بن الحسن لو أن عسكرا من المسلمين دخل
ارض الحرب وعليهم امير فقال الامير من قتل قتيلا فله سلبه فضرب رجل من
المسلمين رجلا من المشركين فصرعه واحتز رأسه فاسلب للذي صرعه
وان كان لم يقتله، وان كان صرعه وضربه ضربا يقدر على التحامل معه فاسلب
للذي احتز رأسه ، قال وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من قتل قتيلا
فله سلبه فضرب ابن عفران ابا جهل فأنخنه وقاتله ابن مسعود فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم سلبه لابن مسعود، وكذلك ان كان الذي صرعه وضربه ضربا
لا يعاش من مثله ويعلم ان آخره الى الموت الا انه ربما عاش اليوم واليومين
واثلاثة او اكثر الا ان آخر احتز رأسه فاسلب للذي احتز رأسه، وان كان
الاول ضربه فنثر ما في بطنه فألقاه او قطع اوداجه الا ان فيه شيئا من الروح
ثم ان الآخر احتز رأسه فاسلب للذي صرعه لان هذا انما بقي منه مثل الذي

يكون

يكون من الحركة عند الموت فالفقهاء ما قاله محمد ولكنه وهم في امر أبي جهل
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم منه أنه قال من قتل قتيلًا فله سلبه
الا يوم حنين فقط وإنما كانت الامور تجري في الاسلاب على ما قد ذكرنا
ولا يحتاج لمحمد بن الحسن بما روى عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم نفعه
يوم بدر سيف أبي جهل لأن الحجاة عليه لاله لا أنه لو كان صلى الله عليه وسلم
قد قال قولاً يوجب السلب للقاتل ادفع سلب أبي جهل كله الى قاتله .

وقد روى عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لقاتم يوم بدر بين غلامين حديثه اسمائهما
تمنيت لو اني بين اضلع منهما فغمزني احدهما وقال يا عم أتعرف ابا جهل ؟
فقلت وما حاجتك اليه يا ابن اني ؟ قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت
الاجعل مناء فعميت لذلك وغمزني الآخر فقال مثلها فلم انشب ان نظرت الى أبي
جهل يرفل في الناس فقلت ألا تريان صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه فضرباه
بسييفيهما حتى قتلاه ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما
قتله قال كل واحد منهما انا قتلته فقال امسحتما سيفيكما قال لا فانظر في السيفين
فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذين
عمر بن الجموح ومعاذ بن عفراء ففي قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسلبه لأحد الرجلين اللذين اخبرا انها قتلاه جميعا بعد أن نفل منه بعضه لعبد الله
بن مسعود دليل على أنه لم يتقدم منه القول بان السلب للقاتل كما قال محمد
وهم فيه وان السلب الى ما يراه الامام وان ذلك كان مما يسمح به للقاتل في
الأغلب من غير وجوب والله اعلم .

في حكم من خرج اليما من عبيد هم

روى عن ابن عباس قال كان من خرج من عبيد الطائف الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف اعتقه فكان منهم ابو بكره فهو
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف فكان ممن اعتق يومئذ ابو بكره

وغيره فكانوا موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم. يعنى اعتقه بخر وجه اليهم
 لا باستئناف اعتاقهم بعد خروجهم اليه وليس المراد بقوله فهو مولى رسول الله
 الولاء الذى موجب له الا عتاق بل المراد به الولاء الذى موجب له الولاية التى
 منها من كنت مولاة فعلى مولاة ألا ترى الى اتباعه بقوله صلى الله عليه وسلم
 اللهم وال من والاه وعاد من عاداه يؤيد ما ذكرنا ما روى الشعبي عن رجل
 من ثقيف قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد علينا ابابكرة فأبى وقال
 هو طليق الله وطلبنى رسوله وكان ابوبكرة خرج الى النبی صلى الله عليه وسلم
 حين حاصر الطائف .

ولأن الأصل المتفق عليه ان من خرج من عبيد هم الى المسلمين
 مسلما مرانما لمولاه كان حرا لخروجه غانما لنفسه لا لولاء لأحد عليه وقد كان
 خروج ابى بكرة مسلما بدليل ما روى عن ابى عثمان النهدي قال سمعت
 سعد بن مالك وابابكرة يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى
 الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قال فقلت له لقد حدثك
 رجلان وای رجلين فقال وما يمنعهما من ذلك اما احدهما فاول رجل روى
 بسهم في سبيل الله واما الآخر فأول رجل نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلولا انه خرج مسلما لما كان محمودا على ذلك وان من خرج اليانا من عبيد هم
 على كفره عاد غنيمة لكننا باحراز ديارنا اياه كما قال ابو حنيفة - او لمن
 سبقت يده منا كما قال من غير تخميس - او بعد اخراج الخمس في رواية
 عنهما وكان ابوبكرة لحقه الرق لما كان في الجاهلية من استرقاق اولاد امائهم
 منهم ومن غيرهم .

في نقل رأس الكافر

روى عن علي بن ابي طالب قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 برأس مرحب - وروى عن البراء قال قال لقيت خالى معه الزايه فقلت اين
 تذهب فقال ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل زوج امرأة
 ابيه

ابيه من بعد ابيه ان آتية برأسه .

وعن عبد الله الديلمي عن ابيه قال انينا رسول الله صلى الله عليه وسلم برأس الاسود العنسي الكذاب فقلت يا رسول الله قد عرفت من نحن قالى من نحن؟ قال الى الله عز وجل والى رسوله، وكان اتيانهم به من اليمن ليقف صلى الله عليه وسلم على نصر الله وعلى كفايته المسلمين شانه .

وفيه اجازة نقل الرؤس نكالا من بلد الى بلد ليقف الناس على النكال الذى نزل بهم، ومن هذا الجنس قوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وقوله فى آية المحاربين (ان يقتلوا او يصلبوا) ليشتهر فى الناس امرهم، وانكار ابى بكر على عمرو بن العاص وشر حبيب بن حسنة حين بعثا رأسا اليه اجتهد منه لما ظهر اليه من الاستغناء عنه، ألا ترى ان امراء الاجناد منهم يزيد بن ابى سفيان وعقبة بن عامر بحضرة من كان معهم لم ينكروا ذلك لما رأوا فيه من اعزاز دين الله وغلبة اهله الكفار فالرجع فى مثله الى اراء الأئمة يفعلون من ذلك ما يرونه صوابا مناسبا لوقتهم ويتركونه اذا استغنوا عنه وقد أتى عبد الله بن الزبير برأس المختار فلم ينكر ذلك روى ان البريد لما وضعه بين يديه قال ما حدثنى كعب بحديث الا وجدته كما حدثنى الا هذا فانه حدثنى انه يقتلنى رجل من ثقيف وها هو قد قتلته - قال الاعمش ولا يعلم ان ابا محمد يعنى الحجاج مرصده بالطريق .

فى قتل كعب بن الاشرف

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الاشرف واذن له ان يقول ما شاء وانه لما ناداه فخرج اليه وريح الطيب تنضخ استأذنه ان يشم رأسه فأذن له فوضع يده على رأسه فشمه ثم استعاده ذلك فأذن له فأعاد فلما استمكن من رأسه قال دونكم ثلاثة نفر او اربعة كانوا معه فضربوه حتى قتلوه .

لا يقال فيه ختر بالامان وانه منهي عنه على ما روى السدي عن رفاة
قال دخلت على المختار فاذا وساد تان مطر وحتان فقال يا جارية هلمى لفلان وسادة
فقلت ما بال هاتين؟ فقال قام عن احدها جبريل وعن الاخرى ميكائيل فما منعني
ان اقتله الاحديث عمرو بن الحمق ، قلت وما حدثك؟ قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من آمنه رجل على نفسه فقتله فانا منه برىء وان كان
المقتول كافرا .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من آمنه رجل على نفسه فقتله
اعطى لواء غدريوم القيامة ، لأننا نقول معنى قوله صلى الله عليه وسلم من
آمن رجلا (١) على نفسه انما هو فيمن هو آمن اما بالاسلام واما بدمه واما بالامان
باعطاء المسلمين اياه ذلك حتى صار به آمنا على نفسه وصار دمه حراما وكان
ما كان من ائمان كعب بن مسleme على نفسه كلا ائتمان وانه كان بعده في حل
دمه كما كان قباه .

في كتابه صلى الله عليه وسلم

لاهل ايلة ببحرهم

روى عن ابي حميد قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك
حتى اذا جئنا وادي القرى جاء ملك ايلة فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا وكتب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببحرهم ، يحتمل ان يكون المراد ببحر ايلة هو السعة التي
يدخل فيها عن الماء وما سواه كذلك يقول اهل اللغة في البحر سميت بحر السعة
وانبساطها ومنه استبحر فلان في العلم اذا اتسع فيه واستبحر المكان اذا دخل
فيه الماء وانبسط عليه وبحرت الناقة اذا شققت اذنها طولا ومنه البحيرة
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في فرس ابي طلحة انه بحر وانا وجدناه بحرا .
وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى عن عمرو

ابن الزبير - بسم الله الرحمن الرحيم وهذه امانة من الله عز وجل وعهد النبي صلى الله عليه وسلم لخنجة بن روبة واهل ايلة لسيارتهم ولبجرهم ولبرهم ذمة الله عز وجل وذمة عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولمن كان معهم من كل ما ومن الناس من اهل الشام واليمن واهل البحر فن حدث حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس ولا يحل ان يمنعوا ماء يردونه . ولا طريقا يريدونها مؤبدا ، ومحو هذا كتاب جهيم بن الصلت والمعنى فيه هو أن اهل اليمن والشام على كفرهم كانوا وحكمهم ان يغنموا لدخولهم بلا امان في بلادنا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كتب لهم آمنين على انفسهم واموالهم اذا دخلوا تلك المواضع وكان لهم في ذلك اعظم المنافع لأنهم يميرونهم ويحملون اليهم الاطعمة التي يعيشون بها وغير ذلك . مما ينتفع بها لاسيما وايلة لا زرع فيها فيحتمل ان يكونوا يمشرون كتجار اهل الحرب اذا دخلوا دارنا بأمان ويحتمل ان يكون ذلك مما رفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغبوا بذلك في الجمل الى ذلك المكان كما خفف عمر بن الخطاب عن كان يقدم المدينة من ناحية الشام بالتجارات فردهم الى نصف العشر وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوجب ذلك مذكور ١٥ في موضعه .

في عطاء المحررين

روى عن عبد الله بن عمر قال لما وية امسكت عطاء المحررين ولم ار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بشئ اول منهم حين وجد ، وقال له لما قدم المدينة عام حج ابدأ بالمحررين فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٢٠ قسم قسما فبدأ بهم فبدأ معا وية فأعطى المحررين قبل الناس ، واحسن ما قيل فيه ان المحررين وهم المعتقون كانوا اعداء المسلمين يقاتلونهم وكان المسلمون في قتالهم اياهم مع عداوتهم محسنين اليهم اذ هو سبب لدخولهم الجنة واليه

يشير قوله صلى الله عليه وسلم جواباً للذي سأله عن ضحكته الذي كان منه فقال
 رأيت قوماً يجرّون إلى الجنة في السلاسل ، بخلاف الكفار فانهم يسبّثون
 إلى من يأسرون من المسلمين ، ثم للمسلمين احسان آخر اليهم باعتبارهم بعد
 الاسلام والخالقهم بالأحرار ابتغاء مرضاة الله تعالى فأراد النبي صلى الله
 عليه وسلم ان يتصل الاحسان اليهم فلا يفارقهم ما كانوا في الدنيا
 والله اعلم .

في كسرى وقيصر

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى
 بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفق كنوزها في سبيل
 الله تعالى حتى ان قريشا كانت تنجر بالشام والعراق كثيراً فلما دخلت
 في الاسلام خافت من انقطاع معاشهم من الشام والعراق لمعاداة ملكيها
 لأهل الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ،
 فلم يكن بارض العراق كسرى ثبت له امر بعده وكذا لم يكن بارض الشام
 قيصر بعده جواباً لهم على ما ذكرنا وقطع الله الأكراسة عن العراق وفارس
 وقيصر عن الشام وثبت لقيصر ملك ببلاد الروم ، وقيل ان معنى قوله صلى الله
 عليه وسلم اذا هلك اى سيهلك ولا يكون بعده كسرى الى يوم القيامة وكذا
 اذا هلك قيصر لكنه لم يهلك الى الآن ولكنه هالك قبل يوم القيامة ؛ واختلاف
 هلاكهما تعجيلاً وتأخيراً الاختلاف ما كان منها عند ورود كتاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عليهما وذلك لأن كسرى مزقه فدعا صلى الله عليه وسلم ان
 يمزقوا كل ممزق وقيصر لما قرأ كتابه وسأل ابا سفيان عما سأله عنه قال ان يكن
 ما قلت حقاً فيوشك ان يملك موضع قدمي هاتين ولوارجو أن اخلص اليه
 لتجشمت لقاءه ؟ ولو كنت عنده لفسلت قدميه - الحديث ، وهذا اشارة لأن
 قيصر لم يهلك وانما تحول من الشام الى الروم ، بحقيقته قوله لتنفق كنوزها

في سبيل الله وقد اتفق كثر كسرى ولم ينفق كثر قيصر في مثله الى الآن
وسينفق على ماروى جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الله قال ستغزون
جزيرة العرب وتفتح عليكم وتغزون فارسا وتفتح عليكم وتغزون الروم
وتفتح عليكم ثم الدجال قال جابر ولا يخرج الدجال حتى تفتح الروم،
فأخبر أن فتح الروم المقترن بفتح كسرى لم يكن وأنه كائن البتة وإذا يكون
يكون كفتح كسرى الذي قد كان ، وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن عمر أن بيت المقدس نراب يثرب و نراب يثرب نروج الملحمة ونروج
الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية نروج الدجال ثم ضرب على
فيخذي أو فيخذ الذي يجنيه أو منكبه ثم قال أما إنه لحق كما أنك ههنا. ففيه ان هلاك
قيصر اذا هلك لا يكون بعده قيصر الى يوم القيامة كما لا يكون بعد كسرى
كسرى الى يوم القيامة وتخلوا الارض من كل منهما وتصرف كتوزها الى
ما أخبر صلى الله عليه وسلم انها منفقة فيه .

في المسابقة

روى عن عائشة انها قالت سأبقت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبقته فلما حملت اللحم سأبقته فسبقني فقال هذه بتلك. وفيما روى عنها انها قالت
خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر الآخرة حتى اذا كنا بالأنيل
انصرفت لبعض حاجتي فنكبت عن الطريق فيبينما أنا كذلك اذا راكب يضرب
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرغت من حاجتي ثم جئت فقال تعالى
اسألك ، فأرمني بدرعي خلف ظهري ثم أجعل طرفه في حجرى ثم خططت
خطا برجلي ثم قلت تعال فقم على هذا الخط فنظر في وجهي وكأنه عجب فقمنا
على ذلك الخط ، قالت فقلت اذهب قال اذهبي فخرنا فسبقني وخرج بين يدي
فقال هذه بيوم ذى الحجاز فتذكرت ما يوم ذى الحجاز فتذكرت انه جاء وأنا
جارية وكان في يدي شيء فسألني ففنته فذهب يتعاطاه ففررت فخرج في أثرى
فسبقته ودخلنا البيت ، وفيما روى عن سلمة بن الأكوع انه قال قدمنا من

الحدبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأردفني راجعين الى المدينة على
ناقته العضباء فلما كان بيننا وبين المدينة وكرة وفيما رجل من الانصار لا يسبق
عدوا فقال هل من مسابق الى المدينة قالها مرارا وانا ساكت فقلت ما تكرم
كرما ولا تنهاب شريفا؟ قال لا الا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت
يا رسول الله ائذن لي فلا سا بقنه فقال ان شئت فعلت فقلت اذهب اليك
فخرج يشتد وانطلق (١) عن الناقة ثم أعاد وفر بطت على شرفا وشرفين - فسألت
ماربطت؟ قال استيقيت نفسي ثم انى عدوت حتى الحقه فاعك بين كتفيه وقالت
سبقتك والله قال فنظر الى فضحك .

ففي هذه الآثار اباحة السبق على الاقدام وبه كان يقول محمد بن الحسن
خلافا لمن قال انه لا مسابقة الا في خوف او حافر احتجاجا بما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قوله لا سبق الا في خوف او حافر، ذهب آخرون الى خلاف ذلك
ايضا فقالوا لا سبق الا في نصل او حافر او خوف .

فهذه اقوال ثلاثة احتج قائلوها بروايات تدل على مدعاهم ولاهل
المقالة الاولى عليهم ان ذلك انما يكون كذلك لو وقفنا على ان ما في الآثار
التي احتجاجها بما ينفي السبق على الاقدام كان بعد ما روته عائشة في ذلك
ولكن يحتمل ان مروى عائشة كان بعدها فيكون مبيحا للسبق على الاقدام
ناحضا لخطره السابق ولا ينبغي رفع ما ثبت يقينا وهو اباحة السبق بالاقدام الا يبين
مثله وليس فليس .

وفما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم لا جلب ولا جنب ، المراد
بالنهي عن هذين المعنيين هو في السبق بما يجوز السبق بمثله ، سئل مالك هل
سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا جلب ولا جنب وما تفسرهما؟ فقال
لم يبلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتفسيره ان يجلب وراء الفرس حين
يدبر ويحرك وراءه الشيء يستحث به فيسبق فذلك الجلب ، والجنب ان يجنب
مع الفرس الذي يسابق به فرس آخر حتى اذا دنى من الغاية تحول صاحبه على الفرس

المجنوبة. وروى عن الأبيث قال في تفسير لاجلب ان يجلب وراء الفرس في السباق والجنب ان يكون الى جنبه تخفيف به للسباق ، ولا يعلم في ذلك قول غير هذين القولين فالواجب في ذلك استعمال التأويلين حتى يحيط مستعملها علما انه لم يدخل فيما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وفما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابى هريرة انه قال ٥
 من ادخل فرسا بين فرسين وهو لا يؤمن ان يسبق فلا بأس ومن ادخل فرسا بين فرسين وهو يؤمن ان يسبق فذلكم القمار . يعنى ان الرجلين اذا سابقا بفرسين يدخلان بينهما دخيلا يجعل فالعرب تسمى الدخيل محلا فيضع الاولان رهنين ولا يضع المحلل شيئا ويرسلون الافراس الثلاثة فان سبق احد الاولين اخذ رهن صاحبه فكان طيبا له مع رهنه وان سبق المحلل ولم يسبق واحد من الاولين أخذ ١٥
 الرهنين وكانا له طيبين وان سبق هو لم يكن عليه الاولين شيء ، ولا خلاف ان المراد بقوله وهو يؤمن ان يسبق انه المبطل من الخيل الذى يؤمن منه ان يسبق . قال الطحاوى وجعل الدخيل في هذا في حكم المتسابقين انفسهما بلا دخيل بينهما برهن يجعله احدهما ان سبق الذى هو من عنده سلم له ولم يكن له على المسبوق شيء . وان سبق الذى ليس هو له أخذ ذلك الرهن فكان طيبا حللا له ١٥
 وان كان الرهان وقع بينهما على انه ان سبق غرم شيئا لصاحبه سميا ذلك الشيء . كان ذلك قارا ولم يحل فيسلك بالحلل الدخيل بينهما هذا المعنى ان سبق أخذ الرهنين جميعا وان سبق لم يكن عليه شيء . لصاحبيه ولا لواحد منهما .

- وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد لا نعلمه ، روى عنه في الرهان غيره روى عن ابى ليلى ارسلت الخيل زمن الحجاج والحكم ابن ايوب امير على البصرة قال فله انصرفنا من الرهان قلنا لوملنا الى انس ٢٠
 ابن مالك فسألناه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن على الخيل قال فسئل انس عن ذلك فقال نعم والله لقد راهن على فرس يقال له سبعة فسبقت الناس فيهش لذلك واعجبه .

فاما السبق بغير ذكر رهان كان فيه فقد رويت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثار صحاح منها حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي قد اضمرت من الخيلاء وكان امدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بنى زريق وان عبد الله ابن عمر فيمن سابق بها .

وروى عن انس انه قال كانت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسا بقها فسبقها فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيق على الله عز وجل ان لا يرتفع شيء من الدنيا الا وضعه .

في الجزية

١٠

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله ليو سكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية . وفي رواية واتذهبين الشحناء والتباغض وليدعون الى المال فلا يقبله احد وليتركن القلائص فلا يسعى عليها . يعنى يعود الناس كلهم اغنياء ولا يوجد للزكاة اهل توصع فيه فيسقط فرضها لعدم محلها وكذلك الجزية اذا لم يوجد ما تصرف فيه من قتال او مما سواه يسقط فرضها .

وروى ان رجلا قام فقال يا عجبا اعلى ياخذ الجزية من المجوس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال وان لا يؤخذ الجزية الا من اهل الكتاب ، فأخذه المستورد التميمي وذهب به الى علي رضي الله عنه فقال ان المجوس كانوا اهل كتاب فانطلق ملك منهم فوقع على اخته وهو نشوان فلما افاق قالت له اخته اى شيء صنعت وقعت على وقد رأك الناس والآل يبرجونك قال أفلا حجزتني قالت واستطعت جئت مثل الشيطان ولقد رأك الناس ولا يبرجونك غدا الا ان تطيعني قال وكيف اصنع قالت ترضى اهل الطمع

ثم تدعو الناس فتقول ان آدم كان يزوج ابنته او قات ابنته ابنته قال وجاءه القراء فقالوا قم يا عدو الله قال هو هذا قد جاؤا فقام اليهم اولئك فداسوهم حتى ماتوا فن يؤمئذ كانت المجوسية، وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر.

- يحتمل ان يكون المجوس اهل كتاب ونسخ كتابهم فلم يبق كتاب الله .
 كما نسخ بعض القرآن فعاد غير قرآن كقوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة بما قضيا من اللذة ، وقوله لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتنى اليهما ثالثا ، الى غير ذلك مما نسخ ونرج من ان يكون قرآنا ويكونوا كاليهود والنصارى من اهل الكتاب في اكل ذبائحهم واستحلال نساءهم وانما اخذت الجزية منهم لأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها منهم على ما في حديث علي وعبد الرحمن على ما روى ان عمر لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهداه عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل من مجوس اهل البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم وعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمئذ على البحرين الاله بن الحضرمي ، وليس الاخذ منهم لأنهم اهل كتاب بل لما كانت الجزية تؤخذ من اهل الكتابين مع اننا نؤم من بكتابهما لا قرارنا اياهم في دار الاسلام آمنين وهم ايضا اقرب من المجوس الذين لا كتاب لهم فن المجوس اولى لمشاركتهم في المعنى الموجب للاخذ وهو القرار في دارنا آمنين فلا يلزم به حل نساءهم وذبائحهم وكذلك امتثل فيهم الخلفاء الراشدون منهم عمرو بن عثمان على ما روى عنه انه اخذها من برب .

٢٠

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى عمه يعوده وعند رأسه مقعد رجل فقام ابو جهل فقعده فيه فقال ما بال ابن اخيك يذكرك آلهتنا قال ما بال قومك يشكونك قال يا عماء اريدكم على كلمة تدين لهم العرب وتؤذي اليهم اعجم الجزية قال ما هي قال لا اله الا الله فقال اجعل الآلهة الها واحدا ؟ فانزل الله

تعالى (ص والقرآن ذى الذكر) الى قوله (ان هذا الشئ عجاف) فيه ما دل على دخول المجوس فيمن تؤخذ منهم الجزية .

وقد روى محمد بن الحنفية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى مجوس البحرين يدعوهم الى الاسلام فن اسلم منهم قبل منه ومن ابى ضربت عليه الجزية ولا يؤكل لهم ذبيحة ولا تنكح لهم امرأة ، وما روى عن حذيفة بن اليمان انه قال لولا انى رأيت اصحابى اخذوا من المجوس يعنى الجزية ما اخذت منهم وتلا قوله تعالى (قا تلوا الذين لا يؤمنون بالله) الآية فذلك لأنه لم يقف على ما وقف عليه الخلفاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فعله فاستدل بفعل الخلفاء لعلمه انهم لم يفعلوا الا ما ينبغى لهم ان يفعلوه .

في الجعائل

روى شفى الاصبهى عن عبدالله بن عمرو بن العاصى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال للغازى اجره وللجاء على اجره واجر الغازى . وشفى بضم الشين من اصبح واما الهيثم بن شفى، فهو بافتح وثمامة بن شفى بافتح ايضا . اختلف اهل العلم فى الجعائل فى الغزو فأعلى ما وجد فيه ما روى ان معاوية كتب الى جرير بن عبدالله البجلي فى بعث ضربه، اما بعد فقد رفعتا عنك وعن والدك الجعل ١٥ فكتب اليه جرير انى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فاشترط على والنصح لكل مسلم فان انشط فى هذا البعث نخرج والاعطينا من اموالنا ما ينطق المنطلق قال المسعودى هذا احسن ما سمعنا فى الجعائل ومذهب ابى حنيفة كراهة الجعل اذا كان للمسلمين ٢٠ فى فان لم يكن فى فلا بأس ان يقوى بعضهم بعضا، رواه محمد ولم يحك خلافا بينه وبين ابى يوسف فيكون ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مما ظهره اباحة الجعائل محض صا بحالة الحاجة وما روى عن جرير مما لم ينكر معاوية عليه محمول على الحاجة لان المسلمين اذا كان لهم فى كان الاولى بهم التتره عن الصدقة وعما

هو في حكمها اعني الجعائل اذ الاستغناء بالفيء عما هو غسالة الذنوب اولى فان لم يكن ابا حنيفة الحاجة قبول الجعل للضرورة اليه .

ومنه ما روى ان ابا ايوب الانصاري كتب الى ابن اخيه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الا مصار وتضرب عليكم بعوث يكرهها الرجل منكم يريد أن يتخلص منها فيأتى القبائل يعرض نفسه عليهم ويقول من اكفيه بعث كذا وكذا ألا فذللكم الاجير الى اقصى نظرة من دمه . في هذا ما يوجب ان الثواب في ذلك النزول للجاعل وقد ذكرنا في حديث شفي الاصحى ان الجاعل اجر الجاعل واجرا لغازي وفي ذلك ما قد ينفي ان يكون للغازي على ذلك اجر اذ كان انما غزاه بما له قد اخذه عوضا على غزوه فاذا قتل في ذلك فقد قتل اجيرا فيما لا ثواب له فيه من ربه اذ كان ثوابه في الجعل الذي اخذه ممن يغزونه .

كتاب النذور والايمان

فيه اثنا عشر حديثا .

ما جاء في الاستثناء باليمين

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف بيمين فقال ان شاء الله فقد استثنى . يعني اذا وصل الاستثناء باليمين ، كان يقول ابن عمر لاحث في يمين موصول آخرها بان شاء الله وعليه مدار هذا الحديث ولا يظن به مع كمال فضله وورعه تخصيص ماعه النبي صلى الله عليه وسلم الا ما يجب له تخصيصه به وما روى عن ابن عباس في قوله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت) اذا قلت شيئا فلم تقل ان شاء الله فقل ان شاء الله اذا ذكرت لا يخالف ما ذكرنا عن ابن عمر انما هو في الاشياء التي يقول الرجل انه يفعلها في المستقبل فعسى لا يتيسر له فعلها فيذم فاذا االحق بكلامه ان شاء الله يتخلص من الذم لان الايمان اذلو استطاع ان يلحق الاستثناء بيمينه لما احتاج الى الكفارة حالف اذن ، يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ثم رأى غيرا خيرا منها فليأت

الذى هو خير ولا يكفر عن يمينه او يكفر عن يمينه وياقنى الذى هو خير ،
فلو كان الحاق الاستثناء منفصلا ممكنا لعاد بذلك الى حكم من قالها موصولة
فلم يحتج الى الكفارة ، وما روى مسعر عن سبائك عن عكرمة عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأغزون قريشاً ثم قال ان شاء الله
ثم قال والله لا غزون قريشاً ثم قال ان شاء الله ثم قال والله لا غزون قريشاً
ثم قال ان شاء الله

وفى رواية شريك عن سبائك عن عكرمة عن ابن عباس والله لأغزون
قريشاً ثلاث مرات ثم قال فى الثالثة ان شاء الله ، فان كان الحديث كما روى
مسعر فهو مفتوح المعنى ومكشوف المراد وان كان كما روى شريك فيكون
١٠ قوله ان شاء الله ارجاعاً على جميع الايمان لا على الآخرة منها وحدها فالمعنى فيه ان
الله تعالى قال انبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تقوان شيئاً انى فاعل ذلك غدا الا
ان يشاء الله) اذ يجوز ان يقطع قاطع عن فعله ثم فيه ترك الدخول منه عليه فى
غيبه وان كان ذلك القول مما جرى الله على لسانه فان استعمال الاخلاص وترك
الدخول منه عليه فى ذلك اولى كما قال (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله)
١٥ وان كان ذلك لابد من كونه فعلم ان وصل المشيئة فيما يقال فى الاشياء المستقيلات
سواء كان من الامور الكائنة البتة او المترددة من اللوازم اخلاصاً لله وتسليماً
للأمور اليه ، وكذلك الايمان كلها اذا كانت على الاشياء المستأنفات ،

لا يقال كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الايلاء من نسائه بغير
قول منه فيه ان شاء الله لانه يحتمل ان يكون ذلك منه قبل نزول هذه الآية
٢٠ قال الطحاوى ذهب شريح الى انه ان قدم الطلاق على الاستثناء بأن
قال امرأتى طالق ان دخلت الدار ان الطلاق لازم بخلاف ما اذا قدم الاستثناء
فقال ان دخلت الدار فامرأتى طالق فانها لا تطلق حتى يدخل الدار ، وهو مخالف
لما عليه جميع اهل العلم من عدم الفرق بين التقديم والتأخير فى اعمال الاستثناء
قال تعالى (انا منجوك وأهلك الا امرأتك) فبدأ بذكر وعده اياه بما وعده

به ثم استثنى منه من هو خارج من ذلك الوعد ، ومثل ذلك من السنة ما روت
عائشة قالت لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فجعل يشير الينا
لا تلدوني قلنا كراهة المريض للدواء فلما افاق قال ألم انهكم ان تلدوني؟
الحديث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى منكم احد الا ولد وانا انظر
الا لالعباس فانه لم يشهدكم ، وما روى عن العباس قال دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة فاحتججن مني الاميمونة فاخذن متكأ فقفنه ثم
لددنه فقال لا يبقى في البيت احد يشهد (١) لدى الا اذ الا ان يميني لم تصب عمتي
العباس فجعل يلد بعضهن بعضا ، وفي رواية فقالت امرأة منا والله اني لصائمة
قالوا بش ما ظننت ان نبرك (٢) وقد اقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدها
والله وانها لصائمة ، ففي هذه الآثار عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالالداد لمن
في البيت ثم اخرج العباس اما لانه لم يحضر واما لاعظامه لعمه غير أنه قد كانت
العزيمة وهو في البيت واخرج منها بالاستثناء المؤخر عنها وفيه ما دل على فساد
مقالة شريح .

الادود ما يسقى الانسان من احد شقى الفم وهو ما خوذ من لد يدي
الوادى وهما جانباه وفي الحديث عليكن بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية
منها ذات الجنب يسعط من العذرة ويلد من ذات الجنب ، فوقفتا بذلك على
اباحة الادود في العلاج من العلة التي هو علاجها ونهى النبي صلى الله عليه وسلم
لانه لدوما كان علاجه وكان طبهم فيه خطأ وكان ما أمر به من الداد من حضر
على وجه التأديب حتى لا يعدن الى مثله وليس على سبيل القصاص لانه لم يأمر أن
يلدوا بمقدار ما لدوه به لا باكثر منه .

٢٠

في الادام

روى جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
الادام الخلل ، وروى عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا والظاهر شهد - (٢) كذا .

اتقدموا بالزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة .

كان ابو حنيفة وابو يوسف يقولان الا دام ما يصطبغ به كالتزيت والخل وما اشبههما والشواء ليس بادام وكذا اللحم ، وقال عده هذه الاشياء كلها ادامات وكل ما يؤكل به الخبز فهو ادام ، وروى عن ابي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة فيكفئها الخبز ريبده كما يكفئ احد خبزته من السفر (١) نزل لاهل الجنة فاقى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا ابا القاسم الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيامة ؟ قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال الا اخبرك بادامها ؟ قال بلى قال ادامها بالام ونون ، قالوا وما هذه قال ثور ونون يا كل من زائدة كبدها سبعون الفا .

ففيه ان الثور والنون ادام لاهل الجنة يا كلون به مايا كلون من من الخبزة المذكورة ، وروى عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمره فقال هذه ادام هذه فاكلها .

وفي الحديثين ما يدل على ان ما لم يصطبغ به الخبز ادام كالذى يصطبغ به من غير فرق وكلام العرب يدل عليه يقال آدم الله بينهما يعنى جعل بينهما المحبة والاتفاق ، وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للغيرة بن شعبة لما اخبره انه خطب امرأة هل نظرت اليها ؟ فقال لا ، فقال انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما ، فيكون ما يطيب به الطعام ليؤكل اداما له كما قاله محمد بن الحسن .

٢٠ في اليمين بغير الله تعالى

روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت ، ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم افلح

وابنه ان صدق - لما جاءه اعرابي يسأل عن الاسلام فاخبره بشرائع الاسلام وقال الاعرابي والله لا اريد على هذا ولا انقص منه، فانه كان مباحا وانتسخ بالنهي، ويؤيده ما روى ان حبرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد نعم القوم اتم لولا انكم تشركون، فقال سبحان الله! قال انكم تقولون اذا حلفتم والكعبة قال فامهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال انه قد قال فمن حلف . فليحلف برب الكعبة .

ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله من حلف بغير الله فقد اشرك، يعني (جعل) ما حلف به مخلوقا به كما ان الله تعالى مخلوف به وذلك ذنب ولكن لا يريد به الشرك الذي يكون به خارجا عن الاسلام، نظير ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك وما منا الا، ولكن الله يذهب بالتوكل، ١٠ في ان المراد به ان شيئا تولى الله فعله قيل فيه ان سبب فعله كذا وكذا مما يتطير به فمثل ذلك الشرك المذكور في الحلف بغير الله الا الشرك الذي يوجب الكفر .

ومنه ما روى عن سعد بن ابي وقاص انه قال حلفت باللات والعزى وكان العهد حديثا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اني حلفت باللات ١٥ والعزى وكان العهد حديثا، قال قلت هجرا اتفل عن يسارك ثلاثا وقل لاله الا الله وحده واستغفر الله ولا تعد .

فيه ما يدل على ان سعدا لم يخلف الا على ما اعتاده لسانه ساهيا عن تحريم الله ذلك عليه باسلامه وذلك من اللغو، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تعد، معناه والله اعلم ان يتحفظ من نفسه والاخذ بالحزم لثلاث يقع في مثله وأمره ٢٠ بالاستغفار مخافة ان يكون قد قصر في التحفظ .

ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بجملة سوى ملة الاسلام كاذبا فهو كما قال .

فيه معنى لطيف من الفقه وهو ان من حلف فقال هو يهودي ان كان

كذا وكذا لما يعلم انه قد كان فقد علق قوله هو يهودى بما لا معنى له فكان بمنزلة قوله هو يهودى من غير تعليق بصير به مرتدا فان التعليق بالكائن تنجيز كالرجل يقول امرأته طالق ان كان كذا لما هو عالم انه قد كان بخلاف التعليق بالمستقبل فانه لا يصير مرتدا ولا يقع الطلاق لما لم يكن بعد، فالحدِيث انما هو في الحلف على الاشياء المستدرة لاعلى المستقبل .

في النذر

روى ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يؤخر شيئا ولكن يستخرج به من البخل ، وزاد بعض و امر بالوفاء به .

ليس النذر بمعصية فينهى عنه وانما النهى اعتقادهم انه يؤخر ما يحبون تأخيرهم او يعجل ما يحبون تعجيله ولذلك امر بالوفاء به ومدح من يوفيه في قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما) الآية اى ان لم يوفوا به .

ومنه ما روى عن انس بن مالك قال غزونا مع رسول الله صلى الله

وسلم فكان رجل من الكفار اشد الناس على المسلمين فقال رجل من الصحابة

لئن امكنه الله منه ليضرب عنقه قال فاظفر الله المسلمين بهم فكانوا يجيئون بهم

اسارى فيبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جىء بذلك الرجل فكف

صلى الله عليه وسلم عن بيعته ابنى الرجل بنذره وكره الرجل ان يضرب عنقه

قد ام الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رآه لا يصنع شيئا بايعه فجاء الرجل

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصنع يا رسول الله بنذرى قال قد كففت

عنه لئن بنذرك فلم تصنع شيئا فقال يا رسول الله لولا او مضت الى؟ قال ما كان

لنبي ان يومض ، فيه انه نذر بالقتل وان الوفاء به فاته باسلامه لأن المنع

بالشرعية كالمنع بالعدم وعليه كفارة لاروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه ، وزاد بعض

في الحديث ويكفر بيمينه ، لأن الشرع ابجزء عن الوفاء بالمعصية فيكون كالنذر

الذي يحجز عن الوفاء به فيجب فيه الكفارة ، وما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة اليمين بالله . وان كان غير قائم الاسناد لكنه يستظهر به على صحة زيادة بعض الرواة في الحديث المذكور ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين ، ولو صح فعناه في غضب الله فيعود الى معنى النذر في المعصية ولو كان النذر مما يصح فعله شرعا فعجز عن ذلك لضعفه يجب عليه الكفارة كما يؤمر الخائف بالكفارة اذا حنث فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة النذر كفارة اليمين على ما روى ابن عباس قال جاء رجل فقال يا رسول الله ان اخي نذرت ان تحج ما شية فقال ان الله لا يصنع بشقاء اختك شيئا لتحج راكبة وتكفر يمينها ، وروى زيادة تفسير فيه بيان الموجب للكفارة وهو ما روى عن عقبة بن عامر الجهني ان اخته نذرت ان تمشي الى الكعبة خافية غير متخمرة فذكر ذلك عقبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مراأيتك فالتركب ولتختفر ولتصم ثلاثة ايام ، وكان كشفها وجهها حراما فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفارة لمنع الشريعة اياها منه وهو على ما زاده بعض الرواة من قواه ويكفر يمينه فيمن نذر أن يعصى الله وعليها مع ذلك الهدى لركوبها فيما نذرت من المشي ، يبين ذلك ان الحديث قد روى من رواية ابن عباس عن عقبة انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ان اخته نذرت ان تمشي الى الكعبة خافية ناشرة شعرها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مراها فالتركب ولتخمر رأسها ولتهدديا ، فأوجب عليها الهدى لكان المشي الذي نذرتة وهو من الطاعات فعجزت عنه كما يؤمر به من قصر في شيء من حجه وسكت فيه عن الكفارة لما نذرتة من المعصية في كشف رأسها ، وأوجب عليها في الحديث الاول الكفارة لما نذرتة من المعصية في كشف رأسها وسكت عن وجوب الهدى عليها لعجزها عن المشي فبان معنى الاحاديث وانه لا تعارض في شيء منها .

فان قيل - روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نظر الى ابي اسرائيل فقال ما باله ؟ قالوا انه نذر ان يصوم ويقوم في الشمس ولا يتكلم قال مروه فليتم صومه واجلس وليستظل وليتكلم - ولم يذكر في ذلك كفارة - قيل له يحتمل انه امر بالكفارة فقصر الراوى عن نقله كما قصر الراوى في المفطر بجماع اهله عن نقل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم من قضاء يوم مكان ذلك اليوم ، ويحتمل ان تكون الكفارة لم تكن حينئذ واجبة ثم وجبت فامر النبي صلى الله عليه وسلم بها في حال ما وجب التمسك بها (١) حتى يعلم نسخها .

ومنه ما روى ان عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف في المسجد الحرام قال فبنذرك . لاحجة لمن استدل في لزوم نذر حال الكفر بعد الاسلام به لان لفظه لا يستعمل الا فيما ليس بواجب يقال ف لفلان بوعدك وفي الواجب يقال اوف قال تعالى (اوفوا الكيل والميزان) - (واوفوا بعهد الله) - يقال اوفى يوفى ايفاء وو فى يفى وفاء فقوله صلى الله عليه وسلم لعمر ف بنذرك معناه فهو احسن لانه واجب ، ولكنه وجد في بعض الآثار اوف بنذرك فتعارض اللفظان فسقط ان يكون حجة لبعض المختلفين على بعض مع ان الايفاء قد يستعمل في غير الواجب وان كان الافصح ما قلنا ، ولما كان كذلك نظرنا هل نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على حقيقة الامر فيه فوجدنا حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه قال قلت يا رسول الله والله ما آتيتك حتى خلقت عدد اوجم بين اصابع يديه ان لا آتيك ولا آتى دينك وانى قد جئتكم امرء الا عقل شيئا الا ما علمنى الله ورسوله ، الحديث ، ولم يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفارات عما كان من ايمانه التي قد حنث فيها فدل ذلك انه لم يكن عليه فيها كفارات وان حلفه بها في حال شركه كلا حلف واذا كان في حلفه كذلك فنذره اخرى ، يؤيده ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما النذر فيما ابتغى به وجه الله عز وجل

والشرك لا يبتغي وجه الله فلا نذر له - والذي امر عمر بن الخطاب انما هو أن يفي لله بطاعة يطيعه بها في الاسلام مكان النذر الذي لم يكن منه طاعة حتى يستعمل حسنة مكان النذر الذي لو عمله في حال شركه لم يكن كذلك يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه .

كتاب الضحايا

فيه أربعة احاديث

في من يجب عليه الاضحية

- روى عن البراء بن عازب قال خرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاضحية فبدأ فصلي ركعتين ثم اقبل علينا بوجهه فقال ١٠ ان اول نسكنا في يومنا هذا ان نبدأ بالصلاة ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد وافق سنتنا ومن ذبح قبل ذلك فانما هو لحم بعمله لاهله ليس من النسك في شيء ، فقام خالي فقال يا رسول الله اني ذبحت وعندى جذعة هي خير من مسنة فقال اذبحها ولا تجزى او توفي عن احد بعدك ، وفي حديث آخر عندي عناق ابن هي خير من شاق لحم فقال هي خير نسيكتك لن تجزى جذعة عن احد بعدك . ١٥ الجذعة المذكورة هي الجذعة من الغزلا من الضان ، الاضحية واجبة عند بعض منهم ابو حنيفة وذهب الاكثر الى انها مندوبة والحجة للوجوب قوله صلى الله عليه وسلم لا يبردة لن تجزى جذعة عن احد بعدك اذا لاجزاء لا يكون الاغن واجب ولا يقال انه كان اوجبها على نفسه واتلفها بذبحها قبل او انه لانه لو كان كذلك لضمنه قيمتها ولما لم ينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك علينا ٢٠ انه لزمه بايجاب الله تعالى ولا معنى لايحابه على نفسه ما اوجه الله تعالى عليه ألا ترى من اوجب على نفسه صلاة من الخمس او صيام شهر رمضان او حج البيت وهو غير مستطيع اليه سبيلا كان كن لم يوجب غير أن الاضحية لم يوجبها

معينا فاذا اوجها الرجل في شيء بعينه وجبت فيه كما اوجها فان هلك قبل ان ينفذه لم يسقط ما اوجبه الله تعالى عليه اذ لم يوجبه في شيء بعينه وهذا بين فيما احتج به ابو حنيفة في ايجاب الضحايا من احسن ما يحتاج به .

فما يؤمر به من وجبت عليه

• روى عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت هلال ذى الحجة فاراد احدكم ان يضحي فليمسك عن شعره واطفاره حتى يضحي .
 وخرجه من طرق في بعضها « من كان له ذبح يذبحه فاذا اهل هلال ذى الحجة فلا يأخذ من شعره ولا من اطفاره شيئا حتى يضحي » قوله من كان له ذبح هنا بين ان المراد بقوله في الحديث الاول فاراد احدكم ان ذلك على ارادة يكون معها الوجوب دفعا للاختلاف بين الحديثين . فيه منع من معه ما يضحي به ان يأخذ من شعره واطفاره حتى يضحي ولا يعارضه قول عائشة ربما قتل القلائد لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقلده ثم يبعث به ثم يقيم لا يجتنب شيئا مما يجتنبه المحرم . لان في بعض ما روى عنها زيادة تبين المراد وهي قولها كنت اقل قلائد هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يبعث بالهدى وقيم عندنا لا يجتنب شيئا مما يجتنبه المحرم من اهله حتى يرجع الناس . ثبت ان المجتنب عنه هو ما يجتنبه المحرم من اهله لا ما سواه من حلق وقص ، وذلك لا يخالف ما في حديث ام سلمة لان فيه اجتناب الحلق والقص لا ما سواه مما يجتنب المحرم من اهله فحديث ام سلمة منع من يضحي من الحلق والقص في ايام العشر حتى يضحي وحديث عائشة على اطلاق ما سوى الحلق والقص وانه في ذلك بخلاف ما عليه المحرم في احرامه يؤيد ما ذهبنا اليه في المنع من القص والحلق ، ما روى عن الصحابة انهم كانوا عليه سئل سعيد بن المسيب عن فتوى يحيى بن يعمر بخراسان ان من اشترى اخصيته ودخل عشر ذى الحجة لا يأخذ من شعره واطفاره فقال سعيد قد احسن كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون

ذلك او يقولون ذلك وهذا بخلاف ما يقوله ابو حنيفة واصحابه، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وامرت يوم الاضحية عيد اجعله الله لهذه الامة قال الرجل ان لم اجد الاضحية اتى اضحى بها؟ قال لا ولكن تأخذ من شعرك وتقليم اظفارك وتأخذ من شاربك وتحلق عانتك فان ذلك تمام اضحيتك . فيه التحضيض على يوم الاضحية والامر بالقص والحلق وغيره وفيه انه لم يكن الما موربه مطلقا له قبل التضحية فوافق حديث ام سلمة وحققه .

في ما يجوز تضحيته

- عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه غنما يقسمها على اصحابه فخا يا فتى عتود فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضح ١٠ انت به ، العتود صغير ولد المعز وبالاجماع لا يضحي بمثله فكون رخصة مختصة بعقبة كما خص ابو بردة بن نيار بتضحية جذع المعز على ان لا يجزى عن احد بعده، وروى حديث عقبة على خلافه قال ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجذاع الضان ، ويحتمل ان يكون اراد ما كانت الجماعة ضحيت به مما قسم عليهم باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختص هو بما رخص له فيه من تضحية ١٥ العتود، وهو فاسد الاسناد لا يتصل بعقبة ، والحديث الصحيح حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تذبحوا الا متسنة الا ان يعسر عليكم فاذا ذبحوا مكانها جذعة من الضان ، ففيه اباحة التضحية بالجذعة عند عدم التسنة، وروى عن ام بلال الاسلمية عن ابيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجوز الجذع من الضان ضحية لمن كانت له غنم ، فكان في ذلك اباحة التضحية ٢٠ بالجذعة مطلقا والحق ان الرخصة مختصة بعقبة كما رخص لابي بردة .

كتاب الذبائح والصيد

روى عن اناس من الصحابة انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اعا ريب يا تونا بلحان مشروحة والجبن والسمن ما ندرى ما كنه

اسلامهم ، قال انظروا ما حرم الله عليكم فامسكوا عنه وما سكت عنه فانه عفا لكم عنه (وما كان ربك نسيا) واذكروا اسم الله عز وجل . فيه توسعة من الله تعالى على عباده في الطعام الذي يأكلونه من الذبائح التي لا يعلم حال الذابح ولو شاء لضيق عليهم فلم يسح لهم أكلها حتى يعلموا ان ذابحها ممن تحمل ذبيحته كما قال تعالى (ولو شاء الله لأعتكم) وهذا بخلاف الشرائع التي شرعها لهم في دينه وتعبد هم بها حيث امرهم بطلب مشكلها من محكمها على ما يأتي في البيوع من قوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات . وروى عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله تعالى نبيه وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ثم تلا (قل لا أجد فيما أوصى إلى محرما) الآية .

في ما قطع من الحي

روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة والناس يحبون اسنمة الابل ويقطعون اليات الغنم فقال ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميت ، الضمير عائذ على ما ذكر من اسنام الابل واليات الغنم وعلى ما كان بمعناها ١٥ ما يموت بموتها وتحديث بالموت فيه صفة لم تكن قبل بخلاف الوبر والشعر لانه لا تحديث فيه بموتها صفة لم تكن قبل وقد جعل الله تعالى لنا الاوبار والاشعار اثانا ومتاعا فكيف يجوز أن تكون ميتة وقد جعلها لنا متاعا بخلاف الجلد الذي يموت بموت البهيمة ألا ترى ان الموت يحدث فيه صفة لم تكن له قبل من فسادة وتغير رائحته فاجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم الانتفاع به وقال انما حرم أكلها في الشاة التي مربها وهي ميتة .

في الذكاة بغير الحد يد

عن ابن عمر أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما لهم فأرادت

شاة منها ان تموت فذبحتها بمرورة فسأل كعب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأمره بأكلها ، فيه دليل ان ما ذبح بغير اذن مالكه فهو ذكاة بخلاف من قال لا تصير ذكاة محتجا بما روى عن ثعلبة قال اصبنا يوم خيبر غنما فانتهبناها بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدورهم تغلى فقالوا النبهة فقال اكفئوا القدور وما فيها فان النبهة لا تحل ، فلم ان ما ذبح على مثل هذا الحال لا يكون ذكيا قلنا امره صلى الله عليه وسلم باكفاء القدور يحتمل ان تكون ذلك عقوبة للمتبهين لا لكونه حرم بالنبهة ألا ترى انه كان في وقت كانت العقوبات على الذنوب بالا موال كماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مانع الركاة: من اعطاها مؤجر اكان له اجرها ومن لا فانا آخذوها وشطر ماله عزمة من عز مات ربنا ليس لآل محمد منها شيء .

١٠

في الذكاة بغير اذن المالك

عن عاصم بن كليب عن ابيه عن رجل من الانصار انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلقى رسول امرأة من قريش تدعوه الى طعام فجلسنا مجلس الغلمان من آباءهم ففطن آباؤنا للنبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اكلة فقال ان هذه الشاة تخبرني انها اخذت بغير حلها فقالت المرأة ١٥ فقالت يا رسول الله لم يزل يعجبني ان تأكل في بيتي واني ارسلت الى النقيع فلم توجد فيه شاة وكان اخي اشترى شاة بالامس فارسل بها اهله الى بالثن فقال لطعموها الاسارى . فيه الامر باطعام الاسارى وهم ممن تجوز الصدقة عليهم بمثلها ولم يأمر بحبسها للذى ذبحت وهى على ملكه لياخذها مطبوخة لارتفاع ملكه عنها ووتوع ملك الذابح والطابخ عليها كما ذهب اليه ابو حنيفة ٢٠ واصحابه وفيه ايضا جواز ذكاة الذابح بغير اذن مالكه .

في الضفدع

روى عبد الرحمن بن عثمان قال ذكر طبيب الدواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الضفدع يكون في الدواء فنهى النبي صلى الله عليه

وسلم عن قتله ، فيه دليل على انه لا يؤكل وانه بخلاف السمك لأنه يقتل ويؤكل
 وغير السمك مما في البحر ينبتى ان لا يقتل ولا يؤكل ؟ لا يقال انما نهى عن قتله
 لأنه ليسبح ، لان السمك مسبح ايضا (وان من شيء إلا يسبح بحمده) بل انما
 نهى لانه غير ما كول فيكون قتله عبثا وقيل انما نهى عن قتله بصفة لا يجوز قتله بها
 . مما فيه تعذيبه لانه لا يؤكل كما ذهب اليه مالك في أكل دواب البحر كلها
 وفيه بعد .

في لحم الخيل وغيره

عن جابر بن عبد الله قال أطمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم
 الخيل ونهانا عن لحوم الجر . وفيما روى عنه انه قال لما كان يوم خيبر اصاب
 الناس مجاعة فأخذوا الجر الاهلية فذبحوها وملأوا القدور منها فبلغ ذلك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنا فكفأنا يومئذ القدور وقال ان الله سيأتكم
 برزق هو احل من هذا واطيب فكفأنا يومئذ القدور وهي ثقلى . فحرم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الجر الانسية ولحوم الخيل والبغال وكل
 ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وحرم المجنونة والخلصة والنبهة ،
 والحديث الثانى يرويه عكرمة عن يحيى بن ابي كثير عن سلمة عن جابر ورواية
 عكرمة عن يحيى ضعيفة والحديث الاول رواه محمد بن على بن الحسين وعطاء
 ابن ابي رباح وابو الزبير عن جابر وثلاثة اولى بالحفظ من واحد وروى عن
 اسماء ابنة ابي بكر قالت انتحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاكلناه - وفيما روى عن خالد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل لحوم
 الخيل والبغال والحمير . والآثار صحيحة في اباحة اكل لحم الخيل ولكن النظر
 ٢٠
 يوجب تحريم لحمها وذلك لان الانعام المباح اكلها ذوات اخفاف واطلاف
 والجر والبغال ذوات حوافر وهي محرم اكلها والخيل المختلف فيه اشبه
 بذوات الحوافر منها بذوات الاطلاف والاخفاف وابو حنيفة ومالك ذهبوا الى
 التحريم واحتج مالك بقوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)

وقوله

وقوله تعالى في الانعام (لتركبوا منها ومنها نأكلون) واما ابو يوسف وعبد
 ذهب الى اباحة لحومها ومنعها ما احتج به مالك بان الله تعالى قال (ولا يزالون
 مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ولم يكن مانعا ان يكون خلقهم لغير
 الاختلاف ايضا اذ قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فكذلك
 قوله (لتركبوها) لا يكون مانعا ان يكون مخلوقا للركوب ولا سواء مما قد
 اباحه بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومثله في الحديث بينا رجل يسوق
 بقرة قد حمل عليها التففت اليه البقرة فقالت اني لم اخلق لهذا انما خلقت للحرث
 فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اني او من بهذا وابوبكر وعمر . ولم يكن ذلك مانعا من أكل لحومها لما اباح
 الله تعالى ذلك .

١٠

في جلد الميتة

عن عبد الله بن عكيم قال قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ونحن بارض جهينة وانا غلام شاب ان لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب .
 فيه ما يدل على حضوره لذلك وسماعه اياه من كتاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وفي غيره من الاحاديث جاء في كتاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وكتب الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيحتمل ان يكون لم يحضره
 ومعناه كتب الى قومنا وهذا جائز في كلامهم وله نظائر في الحديث وقد
 حققه ما روي عنه انه قال حدثني اشياخ بجهينة قالوا انا نانا كتاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، او قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره فلم
 يتم حجة اذ لم يسم الاشياخ حتى يعرف انهم ممن يجوز الاخذ عنهم ام لا ، وحديث
 ابن عباس عن ميمونة في امره اياهم بدباغ جلد الشاة التي ماتت لهم وقوله لهم
 عند ذلك انما حرم اكلها اولى منه لصحة بحيته واستقامة طريقه وعدل روايته ،
 وروى عنه ان الشاة كانت لسودة وذكر فيه ما يدل ان ذلك القول كان من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بعد انزال الله لهم تحريم الميتة ، وروى عنه انه قال

٢٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ب دبح فقد طهر . وفي ذلك ما يوجب إباحة جلود الميتة إذا دبغت ، ويحتمل أن النهي عن الانتفاع بالآهاب والعصب قبل الدباغ يؤيده قول ابن عباس إذا دبح الآهاب فقد طهر أي طهر للانتفاع به ، وعن علي بن أبي طالب أنه أتى ببغلة عليها سرج خز فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخبز عن ركوب عليه وعن جلوس عليه وعن جلود النمرور . وعن جلوس عليها وعن ركوب عليها .

وعن عبد الله بن عمر أنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الميتة وهي جلود السباع ، وعن معاوية أنه دعا فقرا من الانصار في الكعبة فقال انشدكم بالله ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صفف النمرور؟ فقالوا اللهم نعم ، قال وأنا أشهد . وعن المقدام بن معد يكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الركوب على جلود السباع .

لا خفاء أن عموم قوله صلى الله عليه وسلم إياها ب دبح يتناول جلود السباع وغيرها لا يصح إخراجها من العموم الآية مسطورة أو سنة مأثورة أو إجماع معتبر . علم أن النهي لم يكن لأنها غير طاهرة بالدباغ ولكن لغنى سواها وهو ركوب العجم عليها ، يؤيده النهي عن الركوب على الخنزير والجلوس عليه دون لباسه لأنه قد لبس الخنزير من الصحابة والتابعين جماعة وجرى الناس على ذلك إلى يومنا وإذا كانت اللبس مباحا والركوب عليه مكروها دل ذلك أنه للتشبه بالعجم بالنجاسة ، ومثله نهيه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرجل أسفل ثيابه حريرا مثل الأعاجم أو يجعل على منكبه حريرا كالأعاجم مع إباحته إعلام الحرير في الثياب أكثر من مقدار الحرير في هذين المعنيين ، وما يدل عليه ما روى أن عمر بن الخطاب رأى رجلا وعليه قلنسوة بطاتها من جلود الثعالب فالتقاها عن رأسه وقال ما يدريك؟ لعله ليس بذكي . وفيه أنه لو علم أنه ذكي لم يكرهه ، وروى عن جابر بن عبد الله أنه كان لا يرى بجلود السباع بأسا إذا دبغت .

وعن مطرف بن عبدالله انه دخل على عمار واذا خياط يحيط بردا له على قطيفة ثعالب. وعن ابي ايوب الانصارى انه اتي بدابة بسرج نمور فزع الصفة فقلت له الجذبتان نمور فقال انما ينهى عن الصفة لاستعمال العجم اياها -

- ولا يعلم عن احده من الصحابة في ذلك غير ما وصفنا انهم كانوا يكرهون التشبه بالعجم في استعمالها ، وقد وجدنا عن التابعين ما قد دل على اباحتها والكره لا جل التشبه وهو ما روى عن عمرو بن الزبير أنه كان له سرج نمور - وعن يحيى بن عتيق انه قال رأيت الحسن البصري على سرج نمور ورأيت محمد بن سيرين على سرج منمر .

في اكل ما بات من الصيد

١٠

- روى ابو ثعلبة الخشني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رميت الصيد فادر كته بعد ثلاث وسهمك فيه فكله ما لم يتن - ليس هذا بخلاف لما روى انس قال جعل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق ثم يؤتون بملء كف من الشعير فيصنع لهم باهالة سنخة فيوضع بين يدي القوم الجياع وهي بشعة في الخلق ولها ريح منكر ، لان اللحم الذكي يعود بالتفن الى حال الجفيف فيصير من الخبائث فيصير حراما واما الالهة فليست من الاشياء التي حلت بالذكاة كالسمن واللبن فحدث السنخ فيه بتغير طعمه لا فساد في ذاته كفساد اللحم فصار كتغير الدهن والزيت فلا يحررهما وكتغير الماء يشرب ويتطهر به لان ذلك عارض فيه لا انقلاب الى نوع آخر كانقلاب اللحم الى حديصير كالاشياء المذمومة من الخيفة وغيرها .

٢٠

في الطافي

عن جابر بن عبدالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسر عنه البحر فكل وما اتى فكل وما وجدته ميتا طافيا فوق الماء فلا تأكل . وقد ذهب

قوم الى كراهة اكل الطافي من السمك وجعلوا حكمه حكم اللحم المتن ، وعن
 على انه قال كل ما قذف البحر وما طفا فلاتأكله ، لان ما يطفو من السمك فانما
 يطفو لفساده وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه واباحه قوم منهم مالك والشافعي
 محتجين بحديث ابى هريرة انه قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور
 ماؤه والحل ميتته ، لكن الحديث مضطرب في اسناده اضطر ابالا يصالح
 الاحتجاج بمثله ولو صححنا لم يكن فيه مخالفة لحديث جابر لان المراد بالميتة في
 الحديثين واحد ويكون الحديثان صحيحين ولكن تحريم الطافي الذي في حديث
 جابر زيادة على ما في الحديث الآخر وزيادة العدل مقبولة ويرتفع التضاد
 حينئذ ، فان قيل عن ابن عباس انه قال أشهد على ابى بكر انه قال السمكة
 الطافية حلال اكلها لمن اراد أكلها ، وعن ابى بكر ايس في البحر شيء الا قد
 ذبحه الله ، وروى ان اصحاب ابى طلحة وجدوا سمكة طافية فسالوا ابا طلحة عنها
 فقال اهدوها الى وفيه ما يدل على اباحتها ، قلنا خالفهما على بن ابى طالب وجابر
 والاولى مما اختلف فيه الصحابة ما وافق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو النهي لا الاباحة ، ولقد روى ان راعيا اتى ابن عباس فقال اتى آقى البحر
 فاجده قد جعل سمكا ميتا فقال لاتأكل الميتة ، ومعناه الجعول الذي معه الطفء
 على الماء لا ما سواه مما يقذفه وما يجوز عنه فقد عا دقول ابن عباس الى كراهة
 أكل كل طاف من السمك .

في الفارة تقع في السمك

عن ابن زياد (١) عن معمر عن ابن المسيب عن ابى هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه سئل عن فارة تقع في سمك قال ان كان جامدا اخذوها
 وما حولها فآلقوه وان كان ذائبا او ما ثعا فاستصبحوا به او فاستنفعوا به . فيه
 اباحة الانتفاع بالسمك النجس ، فان قيل هذا الحديث رواه عن معمر محمد بن

(١) هكذا في الاصل وهو عبد الواحد بن زياد كما سيأتى .

- دينار فقال فيه ان كان مائعا هريق وان كان جامدا اخذت وما حولها
وأكل الآخر . فالجواب ان عبد الواحد بن زياد ممن لو انقرد يقبل منه فكذا
اذا انقرد بزيادة تقبل منه . فان قيل فقد روى مالك وابن عينة عن الزهري
فخالفنا معمر في اسناده ومثنه . قيل له فيحتمل ان يكون عند الزهري في هذا
الباب عن سعيد ما رواه عنه معمر وعن غيره ما رواه عنه مالك وابن عينة فلا
تكون احدي الروايتين دافعة للآخرى فيعمل بما فيها . ولا يعارض اباحة
الا ستصباح والانتفاع بالسمن النجس ما روى عن جابر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفتح قام فقال ان الله عز وجل قد حرم بيع الخمر
والاصنام والميتة والخنزير ، فقال له بعض المسلمين كيف ترى في شحوم الميتة يدهن
به السفن والجلود ويستصبح به الناس ؟ قال هو حرام قاتل الله اليهود لما حرمت
عليهم الشحوم جملوها فباعوها فاكلوا ثمنها . لان حديث جابر في شحوم الميتة التي
هي في نفسها حرام وشحومها كذلك فلا يحل الانتفاع بالحرام وحديث معمر
انما هو في السمن النجس والاشياء النجسة يحل الانتفاع بها كاثياب النجسة
لا تمنع نجاستها من لبسها والنوم فيها اذا كانت يابسة فكذلك يجوز الانتفاع
بالسمن النجس اذا كان ليس بميتة في نفسه وان كان الذي نجسه هو الميتة فيصح
الحديثان على المعنيين ، وقد روى جواز الاستصباح والانتفاع بالزيت
النجس والسمن النجس عن جماعة من الصحابة منهم علي بن ابي طالب وابن
مسعود وابن عمر وعن ابن سيرين انهم لتوا سويقا فوجدوا فيه وزعة ميتة
فقال ابو موسى لا تاكلوه وبيعوه ولا تبيعوه من المسلمين وبينوا لمن تبيعونه
منه . ويجوز بيعه نقول لانه لما جاز الانتفاع به جاز بيعه كما جاز بيع الثوب
النجس ، فان قيل الثوب يغسل فيعود طاهرا قلنا قبل ان يغسل كالسمن في نجاسته
وقد وجدنا الدور لا تخلو من الخارج النجسة مما لا يستطيع تطهيرها ولم يكن
ذلك بمانع من بيعها فالسمن كهى فيما وصفنا والى جواز بيعه ذهب القاسم بن
محمد وسالم بن عبد الله اذ ابين ذلك وهو قول ابي حنيفة واصحابه وبه نأخذ .

في العتيرة

- روى عن محمد بن الحسن في أملا أنه قال في الجاهلية كانوا يذبحون في رجب شاة وهي الرجبية كان أهل البيت يذبحونها فيها كلون ويطعمون ويضعون - والعتيرة كان الرجل إذا ولدت الناقة أو الشاة ذبح أول ولد تلهه فأكل وأطعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عن العتيرة فقال إن تده حتى يصير ذخيراً خير له من أن تنحره فملقى لحمه بوبره وتكفأ إناءك وتوله فأتك الزخرب الذي قد غلط جسمه واشتد لحمه فوجهه الجديث أنه كره ذبحه صغيراً ثلاثة أوجه، أحدها أنه لا ينتفع بلحمه لأنه ساعة يولد كالغراء يختلط لحمه بوبره، الثاني أنه تفجع بذلك أمه، الثالث أنه ينقطع لبنها بفقد ما يراه صغيراً. وعن الزبي من المشافى العتيرة هي الرجبية وهي ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب. ولما اختلفنا في هذا اطلبنا حقيقة ذلك فوجدنا عن مخنف بن سليم قال ونحن وقوف مع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال يا أيها الناس إن على أهل كل بيت في كل عام أضحية وعتيرة هل تدرون ما العتيرة؟ قال فلا أدري ما كان من ردهم عليه قال هي التي يقول الناس الرجبية، فقلنا بهذا أن العتيرة هي الرجبية وأنها كانت واجبة كالأضحية، وعن وكيع أنه سأل النبي عليه السلام فقال أنا كنا نذبح ذبائح في رجب ننظم من جاءنا فقال صلى الله عليه وسلم لا بأس قال وكيع لا أتركها أبداً. وكان عهد ابن سيرين يعترف وكان ابن عون يعترف. وروى عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرعة ولا عتيرة، قال الزهري الفرعة أول التاج والعتيرة شاة يذبحونها في رجب. وروى لاعتيرة ولا فرع، يحتمل نسخ ما كان واجبا وبقي جائزاً، وعن نبيشة سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنا كنا نعترف عتيرة في الجاهلية فماذا تأمرنا؟ فقال اذبحوا لله في شهر ما كان وبروا لله وأطعموا. وعن الحارث أنه تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قال فقلت
- يا رسول الله

يلو رسول الله الفرائع والعثار؟ قال من شاء الفروع ومن شاء لم يفرغ ومن شاء
عثر ومن شاء لم يعثر في الغنم اخصيتها، فكشفت هذه الآثار أن الوجوب قد انسخ
وانه بر من اخذ به فقد احسن ومن تركه لم يجرى، وعن الشافعي ان الفروع
هو شيء كان اهل الجاهلية يطلبون به البركة في اموالهم وكان احداهم يذبح
بكره فيه او شاته ولا يبدوه رجاء البركة فساوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال
افرغوا ان شئتم اى اذبحوا ان شئتم وكانوا يسئلونه عما كانوا يصنعونه في الجاهلية
خوفا ان يكره في الاسلام فاعلمهم انه لا مكره عليهم فيه وانه مباح .

كتاب العقيدة - في اربعة احاديث

- روى عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلام مرتين
بعقيقته او قال بعقيقة نذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى، فروى عن حبيب
ان ابن سيرين امره ان يسأل الحسن عن حديثه في العقيدة قال فسأته فقال
سمعت من سمرة . فذهب قوم الى ان هذا الحديث قد عاد كله الى سمرة فتأملنا ذلك
فوجدناه محتملا لغير ما قالوه لان ابن سيرين انما امر حبيبا ان يسأل الحسن عن سمع
حديثه في العقيدة فقط لا الى ما سواها مما في الحديث، وروى عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لي الليلة غلام فسميته بابي ابراهيم وعنه
قال لما ولدت ام سليم عبدالله بن ابي طلحة قال لي ابو طلحة يا انس لا تطعمه شيئا
حتى تغدوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات يبكي فلما اصبحت غدوت به
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ام سليم ولدت فقلت اجل فقعد وجئت حتى وضعت في حجره فدعا بجوزة فلاكها
في فمه حتى ذابت ثم لفظها في فيه وجعل الصبي يتلظ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انظروا الى حب الانصار التمر، ومسح وجهه وسماه عبدالله .

ففي هذا تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وعبد الله
ابن ابي طلحة باسميهما هذين قبل يوم سابعهما خلافا لما في حديث سمرة فنظرنا

فيه ليعلم الاولى فوجدنا عن عبدالله بن ابي بردة عن ابيه قال كنا في الجاهلية اذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة واطبخنا رأسه بدمها ثم كنا في الاسلام اذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة واطبخنا رأسه بالزعفران - فعلم ان فعلهم في اليوم السابع مثل ما كانوا يفعلونه في الجاهلية وما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في ابنه ابراهيم وفي عبدالله من تسميته اياها قبل سابعهما وقبل الذبح كان ناسخا له فكان اولى .

ومنه ما روى عن انس قال عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن وحسين بكبشين - وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق عن الحسن كبشا وعن الحسين كبشا - في الحديثين ان الذبح عن الذكر شاة كما يذبح عن الانثى - وروى من رواية ام كرز الخزاعية مرفوعا عرق عن الغلام شاتين وعن الجارية شاة - وروى عن عائشة قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نعرق عن الغلام شاتين مكفتين وعن الجارية شاة - ففي روايتهما ان عقيقة الغلام خلاف عقيقة الجارية ولو خلتا وآراءنا لكان عدم الفرق بينهما اظهر كما في الاضحية وهدى التمتع والقرآن وفي الجناية على الاحرام ولكن الاخذ بالزيادة اولى لثلاث يلزم نسخها بالشك وما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى - المراد والله اعلم بما طأ الاذى عن رأس المذبوح عنه هو الدم الذي كان يبلطخ به رأسه في الجاهلية على ما في حديث بريدة كنا في الجاهلية اذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة واطبخنا رأسه بدمها ثم كنا في الاسلام نذبح عن الغلام ونلطح رأسه بالزعفران فعلم ان الاذى الذي يماط هو الدم الذي كان يبلطخ به رأسه في الجاهلية والله اعلم ، يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يعق عن الغلام ولا يمس رأسه بدم - ويحتمل ان يكون الاذى هو الشعر الذي يحلق من رأسه لقوله تعالى (فمن كان مريضا او به اذى من رأسه) في المحصور عن البيت في العمرة عام الحديبية .

ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم المولود مرتين بعقيقته وهذا يدل على وجوب الذبح عنه، وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عقى عن نفسه بعد ما جاءته النبوة - ففيه ما دل على تأكد وجوبها وقد روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال لا أحب العقوق وكأني كره الاسم ثم قال من أحب أن ينسك عن ولده فلينسك عنه عن الفلام شاتين مكافئتين وعن الجارية شاة، قال زيد ابن أسلم المكافئتان المشابهتان تذبحان جميعا - فهذا يدل على التندب لقوله من ولده مولود فاحب أن ينسك عنه فافعل - فلم أن الوجوب انتسخ بما كان طارئا عليه وناسخا لما كان في الجاهلية وقرر في الإسلام أيضا .

كتاب الأشربة

فيه ثلاثة احاديث

في الخمر وتحليلها

١٠

١٥

٢٠

روى عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حجره يتييم وكان عنده نمر حنين حرمت الخمر فقال يا رسول الله نصنعها خلا؟ قال لا، قال فصبه في الوادي حتى سال - وخرج الآثار بذلك .

من عنده عصير فصار نمر ليس له أن يعالجها ليجعلها خلا عند ما لك والشافعي احتج بهذا الاثر غير أن ما لك ارضى في دردى الخمر أن يعالج حتى يصير خلا وبازمه العلاج في الخمر اذ لا فرق ظاهرا، وما يحتاج به من كره التحليل ما روى عن عثمان بن أبي العاص أن تابرا اشترى نمر فامر أن يصبه في دجلة فقالوا له ألا تأمره أن يجعله خلا فنهاه عن ذلك .

وقد يحتمل أن النهي لما كان أن ذلك الخمر لم يكن من عصير يملكه لأن شراء الخمر فاسد فلم يملك أصل الخمر، وعن عمر لا تأكل من نمر افسدت حتى يكون الله عز وجل قد افسدها فعند ذلك يطيب الخمر، ولا بأس على من ابتاع خلا من كافر ما لم يعلم أنهم تعمدا و افسادها بعد أن صارت نمر،

ومخالفوهم احتجاجوا لذهبيهم بما روى انه ابا الدرداء كان يأكل المرى الذي
يحمل فيه الخمر ويقول ذبحته الشمس والملح ، وقالوا انما منع رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعل خمر الايتام خللا لها لم تكن مالا لهم بعد ما حرّمها الله
تعالى كالبالغين سواء ، وروى عن عبيد الله بن عمر قال كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد فيينا هو يحنّى حلّ حبوته ثم قال من كانت عنده
من هذه الخمر شيء فليؤذني بها فجعل الناس يأتونه فيقول اخذهم عندي راوية
ويقول الآخر عندي زق او ماشاء الله ان يكون عنده فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجمعوا ثم آذوني به ففعلوا ثم آذوه فقام وقت معه فشيت
عن يمينه وهو متكئ على فليحقنا ابو بكر فاخذني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلني عن يساره وجعل ابا بكر مكاني ثم لحقنا عمر بن الخطاب فاخذني وجعله
عن يساره فشي بينهما حتى اذا وقف على الخمر قال للناس أتعرفون هذه ؟ قالوا
نعم يا رسول الله هذه الخمر ، فقال صدقتم قال ان الله تعالى لعن الخمر وعاصرها
ومعتصرها وشاربها وساقها وحاملها والمحمول اليه وبايعها ومشتريها وآكل
ثمها ثم دعا بسكين فقال امضوها ففعلوا ثم اخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرق بها الزقاق فقال الناس ان في هذه الزقاق منفعة قال اجل ولكني انما
افعل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطه ، فقال عمر انا اكيفيك يا رسول الله
فقال لا . وبعض رواه يزيد على بعض ففيه عقوبتهم بشق زقائهم غضبا لله اذ لم
يسارعوا الى اتلاف ما حرّم الله وكان ذلك في وقت كانت العقوبات في الاموال
كما تقدم في مانع الزكاة انه يؤخذ شطر مائه . وفي سارق الحريسة من الجبل
عليه غرم مثلها وجليدات نكال ، وفي صيد المدينة من وجد غنموه يصيد في شيء
منها فخذوا سلبه . ومذهب عمر وسعد بن ابى وقاص ان ذلك الحكم باق بعد ،
روى عن عمر أنه كان يهريق اللبن في السوق اذا وجدته متشوشا بالماء ولم يهريق
الاخوفا من ان يشربوا به الناس فيحتمل ان يكون منع النبي صلى الله عليه وسلم
من جعل الخمر خلاخوفا ان يحلوها فيؤدى الى الفاسد يؤيده نرق الزقاق الى
خرقها

نحرقها ، وعن ابن عباس في النبي اهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية
 نحر ، الحديث ، إلى قوله ففتح الرجل المزدتين حتى ذهب ما فيها . فقد يكون
 منعه من تخليلها عقوبة على تضييعها لئلا لو خللت لم تحمل له كما حرق الزقاق
 عقوبة . إن غيبها والنظر الصحيح فيه أن الصبر الحلال إذا صار محرما حرام للعملة
 التي حدثت فيها من ذاتها أو من فعل أحدٍ بها فكذلك إذا صارت خلا ينفى أن
 تحمل لوجود صفة الخلل وانتفاء صفة النحر عنها كان ذلك من ذاتها أو من فعل
 أحدٍ بها وكذلك جلد الميتة سواء دبح أو ترك حتى اجفته الشمس واسفت عليه
 الرياح حتى اذهبت وضر الميتة عنها .

في الاشرقة المحرمة

- ١٠ عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل شراب اسكر فهو
 حرام ، وعنهما قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال كل شراب
 اسكر فهو حرام ، وعن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا
 واباموسى الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابا يصنع في ارضنا من العسل يقال
 له البتع ومن الشعير يقال له المزرق قال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ،
 ولا يسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فجاوب بقوله كل شراب اسكر
 ١١ فهو حرام ، احتمال ان يكون ذلك على الشراب المسكر كثيرا فيكون حراما
 إذا اسكر لا إذا لم يسكر واحتمل ان يكون قليلا وكثيره حراما فنظرنا فوجدنا
 من رواية ابي اسحاق عن ابي بردة عن ابيه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انا ومعاذ الى اليمن فقلت انك بعثتنا الى ارض كثير شراب اهلها فقال اشربا
 ولا تشربا مسكرا .

٢٠

وعنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلنا ان بها
 شرابا يصنع من الشعير والبريسمى المزرو من العسل يسمى البتع قال اشربوا
 ولا تشربوا مسكرا او قال لا تسكروا ، ففيها اطلاق الشرب والنهي عن المسكر
 فقلنا ان السكر المراد في الاحاديث السابقة هو ما يسكر من تلك الاشرقة

لا ما لا يسكر منها ، وعن ابي موسى قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعاذا الى الذين فقلت يا رسول الله أفتنا بشر اين كنا نصنعها باليمن البقع من
العسل ينبد حتى يشتد والمزر من الشعير والذرة ينبد حتى يشتد قال وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اعطى جوامع الكلم بنحو انه قال حرام كل مسكر اسكر
عن الصلاة ، فعاد الى انه لا يمنع القليل من الشراب الذي يسكر كثيرا فان
القليل لا يسكر عن الصلاة وارتفع التضاد بين الآثار وامتنع شرب ما يسكر منها
وحل شرب ما لا يسكر منها ، ومنه عن ابن عباس قال حرمت الخمر لعينها والسكر
من كل شراب ، وعنه حرمت الخمر لعينها القليل منها والكثير والسكر من
كل شراب ، روى ذلك مسعر بن كدام وابو حنيفة وابن شبرمة والثوري
عن ابي عون عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس ؛ ورواه شعبة عن مسعر بهذا
الاسناد فقال فيه والمسكر من كل شراب بخلاف ما رواه عنه وكيع وابو نعيم
وحرير وثلاثة اولى بالحفظ من واحد مع ان شعبة كثير اما يحدث بالشئ على
ما يظن انه معناه وليس في الحقيقة معناه فيحول الحديث الى ضده كما في حديث
توريش الخال قال فيه والخال وارث من لا وارث له يرث ماله ويعقل عنه ،
وانما هو يرث ماله ويفك عاينه كذلك رواه غيره من الرواة وسياق ومن
ذلك حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يتر عفر الرجل وحدث
هوبه نهى عن التز عفر ، وهما مختلفان لان نهيه عن التز عفر يدخل فيه الرجال
والنساء بخلاف قوله نهى ان يتر عفر الرجل .

كتاب النكاح

فيه ستة وعشرون حديثا

٢٠

في نكاح اليتيمة

عن ابن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى (وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) قالت يا ابن اخي هي اليتيمة

في حجر وإلها تشاركة في ماله فيعجبه ما لها وجما لها فيريد وإلها ان يتزوجها بغير
 أن يقسط في صدقاتها فيعطيا مثل ما يعطيا غيره فهو ان ينكحوهن الا ان
 يقسطوا لمن ويلفوا بهن اعلى سنتهن من الصداق وامروا ان ينكحوهن من النساء
 سواهن قال عروة قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعد هذه الآية فانزل الله عز وجل (ويستفتونك في النساء) الى قوله
 (وترغبون ان تنكحوهن) قالت والذي ذكر الله انه يتلى عليهم في الكتاب
 الآية الاولى التي فيها (وان خفتم الا تقسطوا) قالت عائشة وقول الله في
 الآية الاخرى (وترغبون ان تنكحوهن) رغبة احدكم عن يتيمة التي تكون
 في حجره حين تكون قليلة المال والجمال فهو ان ينكحوها ما رغبوا فيهن
 الا بالقسط من اجل رغبهم عنهن وعن عائشة (وما يتلى عليكم في الكتاب في
 يتامى النساء) قالت هذا في اليتيمة تكون عند الرجل لعل ان تكون شريكته
 في المال وهو اولى بها فيرغب عنها لما لها ان ينكحها غيره (١) كراهية ان يشركه
 في مالها وعن ابن عباس مثل ما عن عائشة . فقماروينا عنها ما دل على اباحة
 تزويج اليتامى التي لا آباء لهم قبل بلوغهن للاولياء من انفسهم وغيرهم لا يقال
 انهن قد بلغت وسمين يتامى لقربين منه محتجا في ذلك بما روى ابو هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم ان اليتيمة تستأمر في نفسها والاستئمار لا يمكن الا لمن
 قد بلغ نصح اطلاق اليتيم على من قد بلغ قبل ذلك لان القرينة في الآيتين دالة
 على ان المراد به غير البالغات لان فيها ان اولياء هن فهو ان ينكحوهن الا ان
 يلفوا بهن اعلى سنتهن من الصداق ولو كن بالغات لكان امرهن في صدقاتهن
 اليهن قال تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم) الآية واذا كان
 لمن ان يطبن به نفسا لا زواجهن بعد وجوبها لمن عليهم كان طيب انفسهن بما
 (١) هكذا في الاصل وفي صحيح البخاري « فيرغب ان ينكحها ويكره ان
 يزوجه رجل فيشارك في ماله بشاركته » .

يرضين به من الصداق في العقد اجوز فدل منع الله إياهم من ذلك انهن غير
بالغات ، ويؤيده ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد حلم .

فان قيل فامعنى الاستئذان المأمور به في حديث ابى هريرة اذا لم يكن

بالغات؟ قيل له يحتمل ان يكون المراد به المراهقات العارقات ما يصلحهن

المثالثات الى الخير والنازعات عن السوء وعسى يكون من مثلها من حسن

الاختيار ما لا يكون ممن بلغت وحيشد ينفى لاوليائهن ان يستأمر وهن اذا

ارادوا تزويجهن قبل البلوغ وثبت بهذا جواز تزويج الاولياء اليتامى اللاتي

لم يلقن كما قاله من ذهب اليه من اهل العلم ودل عليه ما روى عن يزيد الازدي

قال كنت عند علي بعد العصر اذ أتى برجل فقالوا وجدنا هذا في خربة بواد

ومعه جارية مخضبة قميصها بالدم فقال له ويحك ما هذا الذي صنعت ؟ قال

اصلى الله امير المؤمنين كانت بنت عمى ويثيمة في حجرى وهى غنية في المال

وانا رجل قد كبرت وليس لى مال فخشيت ان هى اذرك ما تدرك النساء

ترغب عنى فتزوجتها وهى تبكى فقال ا تزوجته ؟ فقا ئل من القوم عنده يقول

لها قولى نعم وقا ئل يقول لها قولى لا فقالت نعم تزوجته فقال خذ بيد امرأتك .

فدل ما كان من على رضى الله عنه على ان تأويل الآيتين كشل ما تأولها عليه

عائشة وابن عباس ، وفيه جواز انكاح الرجل نفسه موليته كما يقوله ابو حنيفة

ومالك واصحابهما بخلاف من يقول لا يجوز أن يكون مزوجا من نفسه

كما لا يكون بائنا من نفسه . وفيه ايضا ان القول قول من اليه عقد التزويج هو

قول ابى يوسف ومحمد خلافا لآبى حنيفة حيث قال لا يقبل الابينة تقوم عليه .

في انكاح الاولياء

عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايم احق بنفسها

من وليها والبكر تستأمر فى نفسها واذنهما صما تها ، وروى عنه انه قال ليس للاب

مع الشيب امر والبكر تستأمر واذنهما صما تها ، قوله الايم احق بنفسها من

وليها

وليها نعم الاب وغيره من الاولياء ولهذا صرح في الحديث الثاني بذلك وفيه ان البكر لا يزوجه الاب حتى يستأمرها كما في الثيب فان زوج الاب بنته البكر قبل استئذنها كان تاركاً لما امر به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون غير جائز عليها حتى ترضى وهو قول ابي حنيفة وسفيان واحصائها، وعن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجارية ينكحها اهلها ألتأمر أم لا؟ قال نعم تستأمر، قالت انها تستحي فتسكت، قال فذلك اذا انها اذا هي سكت.

وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن قالوا وكيف اذاها يا رسول الله؟ قال الصمت. وعن عدى بن عدى الكندي عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صحتها.

ففي هذه الآثار ان الاب بمنزلة غيره من الاولياء في تزويج البكر وتوقفه على رضاها، وروى عن ابن عباس ان رجلاً زوج ابنته البكر وهي كارهة فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فخيرها، لا يقال ان سفيان روى هذا الحديث عن ابوب عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين رجل وبين امرأته زوجها ابوها وهي كارهة وكانت ثيباً فظهر به فساد ممتته واسناده لان حمل الاحاديث المتضادة ظاهراً على وجه يرفع التضاد اولى فيحمل على انها حديثان في حادتين، احدهما في بكر والآخر ثيب فلا يتنافيان، واحتج بعض من ذهب الى ما اخترناه بما روى جابر بن عبد الله ان رجلاً زوج ابنته وهي بكر بغير اذنها فأنت النبي صلى الله عليه وسلم ففرق بينهما، ولا يصح الاحتجاج به لانه موقوف على عطاء بن ابي رباح ثم النظر يوجب ارتفاع ولاية الاب عن البكر ببلوغها في بضعها كما يرتفع امره في مالها ببلوغها، دل عليه قوله تعالى (فان طعن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه) فكما لا اعتراض للاب عليها فيما تطيب به نفسا لزوجها من صداقها فكذلك لا اعتراض له عليها في بضعها بتزويجها من غير اذنها، وقوله تعالى

(ولكم نصف ما ترك ازواجكم) الآية ففي جواز وصاياهن بعد الموت كالرجال ما قد دل على جوازه منهن قبله، وفي جواز ذلك منهن وارتقاع الايدي عنهن ما قد دل على ارتقاعها عنهن في ابضا عنهن، وما روى عن ابن عباس من قوله لا تنكح المرأة الاباذن ولي او السلطان. ليس بمخالف لحديثه في البكر والشيب لان الذي للمرأة من الحق في عقدنكاحها ان تأذن فيه لوليها وتولية ذلك فيكون المقدم منه عليها بامرها عقد امنها اياه على نفسها لان عقود الوكلاء في هذا مضافة الى امرهم يقول الرجل افعلت كذا لما فعل بامرهم، وحق الولي فيما قاله ابن عباس هو الذي جعلته المرأة اليه ما جعل لها ان يجعله اليه مما ليس له اعتراض فيه عليها، وبعض الناس جعل قول ابن عباس هذا سخا اذ لا يخالف ما قد اخذه عن النبي الا الى ما هو اولى منه ما قد اخذه عنه وليس ذلك كما توهمه، ١٠ وما روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو حرام وجعلت امرها الى العباس فانكحها اياه يحتمل انكاح العباس اياها لانه لم يكن احد من اوليائها حاضرا فعادت ولايتها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ذلك الى العباس فعقد عليها، ويحتمل ان تكون هي وكلت العباس فعقد العباس عليها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تجوز العقود للاشياء التي كانت الى غير من عقدها لاجازة من كانت اليه كما يقوله ابو حنيفة ومالك والثوري واصحابهم، وما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارسل الى ام سلمة يخطبها فقالت ام سلمة مرحبا برسول الله ان في خلا لا ثلاثاء، انا امرأة شديدة الثمرة وانا امرأة مصيبة وانا امرأة ليس هاهنا احد من اوليائي شاهد يزوجني، فضرب عمر فأتاها فقال انت تردين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابن الخطاب في كذا وكذا فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما ما ذكرت من غيرتك فاني ادعوا الله ان يذهبها عنك، واما ما ذكرت من صيتك فان الله سيكفيهم، واما ما ذكرت من انه ليس احد من اوليائك شاهد فيزوجه فانه ليس احد من اوليائك شاهد ولا غائب يكرهني، فقالت لايتها زوج رسول الله

- رسول الله فزوجته ، ليس في تركه الإنكار من رسول الله صلى الله عليه وسلم على قولها ليس من أوليائي أحد يزوجني ما يدل على اشتراط الولي للثيب مخالفا لما صححنا عن ابن عباس في نفى الولي عن الثيب وانما فيه نفى عقد المرأة على نفسها وان كانت ثيبا حتى توليه غيرها من الرجال وكان الذي كان من ابنها عمرو وليس بولي لها لانه كان طفلا على معنى ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزويج ميمونة لانه عاد امرها حينئذ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لها ان تجعل الى من رأت فجعلته الى ابنها ويحتمل ان تكون هي فعلت ذلك ابتداء فكان في قبول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنها امضاء منه له وهذا يدل على ان عقد الصبي بامر البالغين جائز كما يقوله ابو حنيفة واصحابه ، ودل على كونه صغيرا قولها ليس احد من أوليائي شاهد لان ابنها لو كان بالغاً لكان ولياً لها لكونه ابنها وابن ابن عمها لا يقال ان الصبي لا امر له في نفسه فكيف يكون له امر في غيره وهو مذ هب الشافعي ، لان امور الصبيان ليس كلا امر مطلقا ألا ترى ان الشافعي يخير الصبي الساعي بين ابيه وامه المطلقة على ما روى حديثا في ذلك ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم له الخيار الا ولا اختياره حكم ، ثم لا خلاف في ان الصبي الغير العاقل اذا كان في يد من يدعى انه عبده ثم بلغ فدفع ذلك انه لا يفيد دفعه وهو عبد ولو كان يعبر عن نفسه الا انه غير بالغ وادعى الحرية ان القول قوله كما لو كان بالغاً فقد جعل بقوله حكم وهو غير بالغ ، ولقد قال مالك في وصية اليفاع المراهق انها جائزة وروى في ذلك ما رواه ولم يجعل كلا وصية لعدم البلوغ ، وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع بعض ما يبيع الثعلبان فقال ٢٠ بارك الله في صفقة يمينك ، فيحتمل انه كان يبعه باطلاق النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له ودل ان له صفقة فدعا له بالبركة فيها وان لم يبلغ او باذن من ابيه ذلك فثبت بما ذكرنا جواز عقود الصبيان الذين يعقلون بامر من ابيه الولاية عليهم وجوازا طلاق من له العقد على نفسه ان يعقد عليه وان القول قول من اجازة .

لا قول مخالف فيه .

في نكاح المحرم

روى عن ابان بن عثمان بن عفان قال سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا ينخطب، ذهب بعض العلماء الى ان عدم الجواز لنفسه لا لغيره لاحرامه الذي هو فيه مما الجماع فيه عليه حرام وهو مذهب الشافعي وكثير من اهل الحجاز وما لك غير أنه قال عنه ابن وهب يفرق بينها ويكون تطليقة وروى ابن القاسم عنه انه يفرق بينهما ويكون فسخا، ويلزمه ازالة الملك للمحرم من مالك البضع بغير ما يزول به من طلاق باختیار وذلك لان هذا العقد اما ان يوجب ملك البضع اولا فان كان فلا معنى لطلاق لا يريد مالكة، وإن لم يكن ملك امتنع الطلاق لعدم محله وكذلك الفسخ لانه يقتضى سابقة انعقاد معتبر وليس فليس، وقال بعض محل التهي هو الكراهة لانه وسيلة الى الرقت المحرم في احرامه، ويدل عليه ما روى عن جابر بن زيد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم .

وما روى عن يزيد بن الاصم انه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهي خالته وهو حلال لا تعارض روايته رواية ابن عباس ولا تقاربه وقد روى عن عائشة موافقتها لابن عباس من غير اضطراب عنهما في ذلك وكذلك ابو هريرة وافقهما .

فان قيل روى عن ابي رافع ان تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة كان وهو حلال، قلنا هذا الحديث رواه مطر الوراق عن ربيعة وقد رواه عن ربيعة من هو احدث منه واثبت وهو مالك بن انس حدث به عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع ورجلا من الانصار فزوجاه ميمونة ابنة الحارث وهو بالمدينة قبل ان يخرج فهاد الحديث بذلك موقوفا على سليمان بن يسار بغير تجاوز عنه الى ابي رافع فخرج من ان يكون حجة لمن يحتاج به في هذا الباب .

فان

فان قيل فقد روى عن يزيد عن ميمونة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف ونحن حلالان بعد أن رجع من مكة، فكان من الحجّة عليه لمخالفيه فيه ان ابن عباس اخبر أن تزويجه صلى الله عليه وسلم إياها كان قبل ذلك وهو محرم، وقد روى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان طلب ان يعرس بها بمكة فأبى عليه ذلك اهلها وقال فيما روى عطاء عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ابنة الحارث وهو حرام فقام بمكة ثلاثا فأتاه حويطب بن عبد العزى في نفر من قريش في اليوم الثالث فقالوا انه قد انقضى اجلك فاخرج عنا، قال وما عليكم او تركتموني فعرست بين اظهركم فصنعنا لكم طعاما فحضرتموه، فقالوا لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم وخرج ميمونة حتى عرس بها بسرف. ١٠ فقيه انه تزوجها في غير الوقت الذي ذكر مطر في حديثه انه كان بالمدينة قبل ان يخرج، فان قيل أفيخفى عن ميمونة وقت تزويجها.

قيل له نعم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل امرها الى العباس فزوجها إياه فيحتمل انه ذهب عنها الوقت الذي عقد عليها عندما فوضت الى العباس امرها فلم تشعر الا في الوقت الذي بنى بها فيه وعليه ابن عباس لحضوره وغيبتها عنه، فان قيل ففي خبر عثمان التميمي فكيف يجوز فيما علم منه صلى الله عليه وسلم الا باحة فيه.

قيل ان عثمان لم يذكر في حديثه من امر ميمونة شيئا وما ذكره فيه عنه يجوز أن يكون سمعه منه قبل ذلك او بعده فكان مراده به غيره من امته اذ هو بخلافهم اذ هو صلى الله عليه وسلم كان محفوظا ما لكالاربه ولم يكن غيره من امته كذلك فنها هم عنه لخوفه عليهم ما يخاف عليهم من مثله وفعله صلى الله عليه وسلم اذ لم يخف على نفسه من ذلك وليس فيه ان عقد التزويج اذا وقع كان غير جائز، وما يؤكده البيع بعد النداء يوم الجمعة لم يبطل مع نهى الله عز وجل عنه فانهى عن ذكاح المحرم كذلك، وقول مالك والشافعي

ان بيع الحاضر للبادي منهي عنه وهو جائز ان وجد بلا خلاف فلا يلزم من النهي الفساد فلا ينكر أن يكون النهي عن نكاح المحرم كذلك مع ما ذكرنا عن مالك من تفرقه بطلاق أو فسخ ولا يكون ذلك الا في عقد قد ثبت لاه لا يقع في تزويج باطل طلاق ولا فسخ والنظر الصحيح يقتضي تجوز التزويج لانا راينا اسبابا تمنع من الجماع منها الاحرام والصيام ومنها الاعتكاف ولا تمنع من التزويج فكذلك الاحرام وان كان مكرها .

ولا يقال ان القبلة غير ممنوعة في الصيام وممنوعة في الاحرام ، لان الحجة بالاعتكاف عليه قائمة ، فان قيل روى عن ابن عمر الكراهة وعن عمر وزيد انها ردا نكاسي محرمين قالى قول من خالفت ذلك ؟ قيل له ذلك الى قول عبد الله بن مسعود وابن عباس وانس بن مالك فقد روى عن جميعهم اجازة ذلك .

في الصداق والوفاء بالشرط

روى عمر و بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة انكحت على صداق او جاء او عدة قبل عصمة النكاح فهو لها وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن اعصمه واحق ما اكرم عليه الرجل ابنته او اخته العصمة ههنا العقدة ومنه (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) اى لا تحبسوا من زوجات لكم واطلقوهن فقول له بعد عصمة النكاح اى بعد عقده فهو لمن اعصمه اى لمن فعل له يقال اعصمت فلانا اذا جعلت له شيئا يعصم به اى يلجأ اليه ويضئ به عن اطلب مثله ، فيه ان ولى المرأة قد يعطى او يوعد بشيء ليكون ادعى الى اجابة التزويج الذى يلتمسه الخاطب فلا يطيب له شيء من ذلك اذ كانت انما قصد اليه بذلك للتزويج بالتمس منه فكانت المرأة اولى بذلك منه لانه الذى يملك بضمها () فالعوض ينبغي ان لا تحل الا للمرأة دون من سواها ومثل ذلك ما روى انه قال صلى الله عليه وسلم لا ين

اللتية لما رجع من الولاية على الصدقة فقال هذا لكم وهذا اهدى لي: أفلا جلس في بيت أبيه أو في بيت أمه ينتظر هل تأتيه هديته، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الهدية إليه إلى السبب الذي أهديت إليه من أجله وهي الولاية التي يتولاهما، وكذا رد الحباء والعدة إلى السبب الذي من أجله كانا وهو البضع بفعلها للمرأة دون الولي إذ كان الذي يلتمس منه غيره لاله وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن اعصمه لانه قد صار له سببا يجب أن يكرم عليه كما قيل في الحديث وأحق ما يكرم عليه الرجل اخته وأبنته فلما استحق الأكرام كان له ما أكرم به لذلك بخلاف ما قبل النكاح فإنه ليس له سبب يستحق بها الأكرام فلم يطب له ما أكرم به بل يطيب لمن أكرم به لأجله.

- وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحق ما وفيت به من الشروط ما استحلتم به الفروج. المراد به والله أعلم من الصدقات الواجب بقوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) وقوله (وآتيتن أحداهن قنطارا) الآية جعل أخذه من حيث لا ينبغي أخذه منهن بهتاناً وإثماً ثم قال (وقد انفضى بعضكم إلى بعض) الأفضاء الجماع الذي كان بينهم، والميثاق هو العقد الذي كان فيه إحلل الفروج ومن حسن المباشرة بقوله (وعاشرهن بالمعروف) والنفقة والكسوة بالسنة قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع وإن من حقن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وما أشبه ذلك مما اشترطه الآدميون بعضهم على بعض كله واجب وفاؤه لا سيما في إباحة ما في انتهاكه حرمة الحد ودأب في بعضها اتلاف النفس وما جعله مع الإباحة سببا للودة والرحمة

٢٠

في مقدار الصداق

روى عن عمر بن الخطاب قال ما ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى واحدة من أزواجه ولا بناته أكثر من اثني عشر أوقية، وروى عنه أنه

قال لا تغلوا صدق النساء فانها لو كانت مكرومة في الدنيا او تقوى عند الله كان
اولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما زوج شيئا من بناته ولا تزوج امرأة
من نسائه افضل من اثني عشر اوقية الا وان احدكم يغفل بصدق امرأته حتى
يبقى لها عداوة في نفسه فيقول لقد كلفت اليك القرية - او قال عرق القرية .

٥ اراد عمر بنهي عن مفالاة الصداق فيمن يستحق من النساء صداق مثله من

نسائه على الزواج ان يكون وسطا لا شططا ، ومثله ما روى عن ابن ابي

حدر د قال انيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسأله في صداق فقال كم

اصدقت قلت ما تقي درهم قال لو كنتم تعرفون من بطحان لما زدتم ، وعن

ابى هريرة قال رجل يا رسول الله تزوجت امرأة او خطبت امرأة وذكر

١٠ امرأة قال انظر اليها فان في عيون الانصار شيئا قال كم اصدقتها قال ثمان اواق

قال لو كان احدكم ينحت من الجبل مما زاد ، وكانت اصدقة من لم ينكر عليه

ما اصدق منها ما روى عن ابى هريرة قال كان صداقنا اذ كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم فينا عشرا اواق وطبق بين يديه وذلك اربع مائة وما روى

ان عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على نواة من ذهب فقال له النبي صلى الله

١٥ عليه وسلم اولم ولو بشاة ، والحق ان الانكار على من زاد على المقدار الذي

يناسب حاله وحالها لانه من الاسراف المذموم لاعن مطلق الزيادة فانها

مباح وسئلت عائشة عن صداق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ثنتا عشرة اوقية

ونش قالت والنش نصف اوقية وكان عمر على ما كان عليه مما ذكرناه عنه

حتى احجج عليه في اباحة اغلاء الاصدقة ، روى عنه انه خطب الناس فحمد الله

٢٠ واثنى عليه ثم قال لا تغالوا في صداق النساء فانه لا يغلنى عن احد ساق اكثر

من شيء ساقه نبي الله صلى الله عليه وسلم او سبق اليه الا جعلت فضل ذلك في بيت المال

ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت يا امير المؤمنين كتاب الله احق

ان يتبع او قولك؟ قال بل كتاب الله ، ثم ذلك؟ قالت انك نهيت الناس ان يغالوا

بغالوا في صداق النساء والله يقول (وآتيتهم احداهن فنتظرا فلا تأخذوا منه

شيئا)

شيئا) فقال عمر كل احد ائقده من عمر مرتين او ثلاثا ثم رجس الى المنبر فقال انى كنت نهيتكم ان تغالوا فى صداق النساء فليقل رجل فى ماله ماشاء ثم تزوج ام كلثوم بنت على واصداقها اربعين الفا. وقد روى عن ام حبيبة انها كانت تحت عبد الله بن جحش وكان رجل الى النجاشى فمات وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بارض الحبشة زوجها اياه النجاشى وامهرها اربعة آلاف من عنده وبعث بها الى النبى صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل ابن حسنة زوجها كله من عند النجاشى ولم يرسل اليها النبى صلى الله عليه وسلم بشيء وكان مهر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم وفى ترك انكار النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى دليل على اباحة كثير الاصدقة وتليها.

١٠

فى المفوضة

روى ان عبد الله بن مسعود اتى اليه فى امرأة توفى عنها زوجها ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها فرددوا اليه فلم يفهم فلم يرالوا به حتى قال انى ساقول برأى لها صدقة نسائها لاوكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان فشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى بروع بنت واشق بمثل ما قضيت ففرح عبد الله ، وخرجه من طرق كثيرة فى بعضها فقام الجراح وابوسنان فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به فى بروع الاشجعية وكان زوجها هلال بن مروان ، وفى بعضها لها صداق مثلها ، وفى بعضها انه ردهم شهرا ، وفيه انه قال انيك صوابا فمن الله وانيك خطأ فنى .

فيه جواز التزوج بغير تسمية مهر كما يقوله ابو حنيفة والثورى واصحاب ابى حنيفة والشافعى خلا فالمالك فانه يفسخ فى حال حياتها ، وكتاب الله حجة لهم قال تعالى (لا جناح عليكم ان تطلقوا النساء ما لم تمسوهن او تقرضواهن فريضة) ولا يقع الطلاق الا فى تزويج صحيح وكذا السنة وكذا ادليل الاجماع فانه لا خلاف

٢٠

ان الميراث واجب للباقي منها ولا ميراث الا في تزويج صحيح وأجمعوا انه اذا دخل بها لم يفسخ والدخول لا يصلح العقد الفاسد فعلم ان التزويج يقوم بنفسه لا بالصداق ثم وجدنا الصحابة قد اجمعوا على صحة العقد اذا وقع كذلك وعلى وجوب الميراث فيه واختلفوا في وجوب الصداق بعد الموت فقال بعضهم لها الصداق على الزوج ان كان حيا وفي تركته ان كان ميتا منهم ابن مسعود، وقال بعضهم لا صداق لها، منهم على وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت، والقياس يوجب لها الصداق لانه تابع للعدة فلا يجب لها كاملا الا حيث تجب عليها العدة، ألا ترى انه يجب بعد الدخول سمي اولم يسم في الموت والطلاق كما تجب العدة ولا يجب قبل الدخول في الطلاق الا نصفه ان سمي فوجب ان يجب جميعه في الموت قبل الدخول سمي اولم يسم كما تجب العدة فيه، قيل والصحيح عن مالك ان نكاح التفويض جائز انما خلافه في التزويج على ان لا صداق لها.

ثم ما في الحديث من القضاء لها بصداق نساؤها - المعقول انهن نساء عشرينها ألا ترى الى قوله تعالى (قل تعالوا نذع ابناءنا وابنائكم ونساءنا ونساءكم) فكان اولئك النساء هن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء من دعى الى المباهلة لامن سواهن فكذلك نساء المرأة المرجوع الى صداقاتهن فيما يجب لها فيه صداق مثلها، وهذا معنى قول ابي حنيفة واصحابه والشافعي، وقال ابن ابي ليلى هن اللاتي من قبل ابيها عمايتها من الاب والام او من الاب واخواتها الاعيان والعلانية وخالاتها، وقال مالك امثالها في منصبها وحملها، والذي دل عليه الحديث اولى ما قيل في ذلك وادخال الخالات في ذلك لا معنى له اذ قد تكون المرأة من قرين وخالاتها اماء، وقول مالك هو الذي يقع في القلوب قبوله لولا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يخالفه واعتبرناه فوجدنا فيه مراعاة احوال المرأة التي يرغب فيها من اجلها وهي جمالها وعقلها وكذا ما يرغب فيها لاجله من حسبها وبيتها التي هي منها وآباؤها الذين يرغب فيها من اجلهم واذا اعتبر في الحيض نساؤها الذي قد يختلف فيه

المرأة وامها واختها كان اعتبار ذلك في الصداق اولى واخرى ، قال القاضي واعتبار مالك بصداق اخواتها وعمايتها اذا كن مثلها في العقل والجمال والمال فان كان ابو حنيفة والشافعي يخالفاه في ذلك ويوجبان لها صداق مثل نسايتها وان كن على خلاف حالها في العقل والجمال والمال فهو بعيد خارج عن السنة .

في نكاح المو هو بته

- روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله اني قد وهبت نفسي لك فقامت قيا ما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم تكن لك بها حاجة - الحديث ، الى قوله - قدز وجتكمها بما معك من القرآن ، في غير رواية مالك لهذا الحديث زيادة تقتضي التفويض الى النبي عليه الصلاة والسلام في ان يزوجهما بمن رأى ولذلك زوجها من السائل دون ان يستأمرها في ذلك وهو ما روى انها قالت اني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله فزفها رأيك . وفيها خاسطت به هذه المرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطلاقها له وتزويجه اياها من غيره بذلك ما قد استعمله اهل العلم في المضارب الممنوع من دفع المال الى غيره الا ان يقول له اعمل فيه برأيك فيحصل محله ويعمل فيه ما كان يعمل فيه رب المال ويكون له من ربحه ما يجعله له منه . وعن هشام بن عروة عن ابيه قال كان يقال ان خولة ابنة حكيم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت من المهاجرات الاول قالت عائشة كنت اذا ذكرت قلت اني لأستحي امرأة وهبت نفسها لرجل بغير مهر ، وكانت من اغير النساء وفيها تزات (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء) قلت يا رسول الله ان ربك ليسارع في هواك وفيما روى عنه عن عائشة انها كانت تقول ما تستحي امرأة تهب نفسها لرجل ، حتى انزل الله (ترجى من تشاء) الآيات الثلاث قلت ان ربك ليسارع في هواك . اذا وهبت المرأة نفسها لرجل وتملكه بضعها وقبل ذلك منها بمحض من شهود بذلك كان تزويجا فان سمي لها مهر اكان لها ما سمي والا فلها مهر مثلها وان

طلقها قبل الدخول بها كانت المنة لها عليه وهو قول أبي حنيفة وسفيان الثوري
 وسائر أصحاب الإمام، وعن بعضهم إذا وهب ابنته الصغيرة لرجل ليحضنها
 أو ليكفلها على وجه النظر لها كان جائزا وإن وهبها بصدق ذكره كان ذلك
 نكاحا إذا أراد بالهبة النكاح ومن قال بذلك عبد الرحمن بن القاسم على معاني
 قول مالك، وعن بعض العلماء أن النكاح لا ينعقد إلا بلفظ النكاح والتزويج
 وهو قول الشافعي، فنظرنا فيما اختلفوا فيه فوجدنا قوله تعالى (وامرأة مؤمنة
 ان وهبت نفسها للنبي) الآية فجعل الله تعالى تلك الهبة للنبي عليه الصلاة
 والسلام نكاحا ثم اعقب ذلك بقوله (خالصة لك) فاحتمل أن يكون الخلوص
 يجعل الهبة نكاحا خاصة ويحتمل أن يكون الخلوص في جعل الهبة له نكاحا بلا
 صداق كذهب أبو حنيفة والثوري وابن القاسم على معاني قول مالك والآية
 على عمومها له ولغيره إلا ما اجمع عليه من التخصيص منها وذلك كون الهبة
 انكاحا بلا صداق وقول الشافعي بأن النكاح لا يكون إلا بما ساءه الله تعالى به
 وهو النكاح والتزويج يقال له بأن الله تعالى ذكر في كتابه الطلاق والسراح
 والفرق وبالإجماع لا يتخصص الطلاق بهن دون ما سواهن بما هو في معناه
 كالخلع والبرية والحلية والبائن والبتة والحرام ثم هبة الزوج امرأته انفسها
 إذا أراد بذلك الطلاق يقوم مقام الطلاق منه لها فكذلك هبتها بضعها له يكون
 ذلك كالنكاح الذي تعقده له على بضعها فتكون الهبة في كل واحد منهما لصاحبه
 في حكم التملك يكون نكاحا يملك به الرجل امرأته ويكون طلاقا يملك به المرأة
 نفسها وسئل سعيد بن المسيب عن رجل بشر بجماعة فقال له رجل من القوم
 هبها لي فوهبها له فقال سعيد لم تحل الهبة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولو اصدتها سوطا خلعت له يعني لو سمي لها مهر في تلك الهبة ولو سوطا خلعت له
 فدل ذلك أن الهبة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص بها كانت
 عنده على الهبة التي لا صداق عليه فيها وإن من سواه في الهبة يكون بهانا كما بصدق
 كما يجب عليه في تزويج لو وقع بلا صداق ذكر فيه، وفي حديث عائشة اني

- لاستحيى امرأة تهب نفسها لرجل بغير مهر لم تقصد بذلك الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عمت به الرجال اذ كان ذلك خرج مخرج التكررة فقيسه ما دل على ان الخصوصية انما كانت في كونها زوجة للنبي صلى الله عليه وسلم بلا صداق وان الهبة تكون تزويجا لغير النبي صلى الله عليه وسلم غير انها تكون لغيره تزويجا بصداق يجب معها. وماروى عن ابن عباس لم تكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له. ليس فيها ما يعارض ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى بالحنونية قال لها هي لى نفسك فقالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فاهوى بيده اليها فقالت اعوذ بالله منك فقال قد عدت بماذا ثم خرج فقال يا ابا اسيد اكسهار از قيتين وألحقها باهلها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن دخوله على تلك المرأة الا وهى زوجة له قبل ذلك وعلى ذلك جاء ابو اسيد بها وكان قوله لها بعد ذلك هي لى نفسك على معنى ملكيني نفسك لا على استئثار تزويج يعقده عليها وكيف يظن ذلك وفي شرعه حرمة الخلوة بالاجنبية ، يؤيده انه صلى الله عليه وسلم خرج عنها على الطلاق منه لها والفرق منه اياها ولا يكون ذلك الا عن تقدم تزويجها اياها .

في اجابة الدعوى

- روى عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء ويترك الفقراء ومن لم يأت الدعوة فقد عصي الله ورسوله ، الاطعمة اصناف ومنها الوليمة ومنها الخرس وهو اطعام عند الولادة ، ومنها طعام الاعذار وهو ما يطعم عند الختان ، ومنها طعام الوكيرة من الوكر وهو ما يطعم اذا بنى دارا واشترأها ، ومنها طعام النقيعة عند القدوم من سفره ، ومنها طعام المضيمة وهو طعام المأتم ، ومنها طعام المأدبة وهو طعام الدعوة ، والدعوة المرادة في الحديث هي الوليمة فقط بذكر ما وصفت به وانما افرقت الوليمة من غيرها في وجوب الاتيان اليها لقول رسول الله

صلى الله عليه وسلم لابد للعرس من وليمة، وقوله لعبد الرحمن اؤلم ولوبشاة،
 ونقوله الوليمة حق والثاني معروف والثالث سمعة ورتاء، ففي اول يوم مجود
 عليها اهلها وفي الثاني معروف لأنه قد يصل اليها من عسى ان يكون قد وصل
 اليها في اليوم الثاني ولم يصل اليها في اليوم الاول، وفي الثالث رتاء وسمعة فمن
 دعى الى الحق يجب عليه الاجابة ومن دعى الى المعروف فله ان يجيب ومن
 دعى الى الرتاء فعليه ان لا يجيب فعلم ان من الاطعمة التي يدعى اليها ما للدعو
 اليه ان لا ياتيها وما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
 دعا احدكم اخاه لحق فليأته لدعوة عرس او نحوه يحتمل ان يكون قوله لدعوة
 عرس ونحوه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم يؤيده ان مداره على ابن
 عمر وليس فيه هذه الزيادة وانما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبوا
 ١٠ الدعوة اذا دعيت لها .

فاحتمل ان تكون تلك الدعوة المرادة في هذه الآثار هي
 الوليمة المذكورة فتتفق الآثار كلها ويؤيد ذلك ايضا ما روى ابن عمر أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعى احدكم الى الوليمة فليأتها،
 ١٥ وحدث جابر مرفوعا اذا دعى احدكم فليجب فان شاء اطعم وان شاء ترك
 محتمل ايضا ان يراد به طعام الوليمة لا ما سواه، وقد روى ان عثمان بن
 ابي العاصى دعى الى ختان فأبى ان يجيب وقال كنا على عهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لا نأتى الختان ولا ندعى اليه فدل ان على الطعام الذى كانوا
 يأتون به في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو طعام خاص ولما كان طعام
 ٢٠ الوليمة مأثورا به كان من دعى اليه مأثورا باجابته وغيره غير مأثور به
 فكان من دعى اليه غير مأثورا بآتيانه، واما ما روى عبد الرحمن بن زياد
 المعافري عن ابيه انه ضمهم واما ايوب الانصارى مرسى في البحر فلما حضر
 غداؤنا ارسلنا الى ابي ايوب الانصارى والى اهل مركبه فقال دعوتهموني وانا
 صائم فكان من الحق على ان اجيبكم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول للسلم على اخيه المسلم ست خصال اذا دعاه ان يجيبه واذا اقيه ان يسلم واذا عطس شتمته وان عطس يسقيه واذا مرض ان يعوده واذا مات ان يحضره واذا استنصح نصحه ، فيحتمل ان يكون في ذلك كما ذكر ويكون الاحسن بالمدعو ان لا يتخلف عنه ويكون حضور بعضهم مسقطا لما على غيرهم منه كحضور الجنائز ويحتمل ان يكون ذلك على ما يجب على الناس في اسفارهم مع اخوانهم من الزيادة في برهم والانبساط اليهم والجلود عليهم اكثر مما في الحضر وما ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون اراد به اجابة دعوة الوليمة لا غير فلم يبق لنا في شيء مما رويناه وجوب اتيانه من الطعام المدعو اليه غير طعام الوليمة .

١٠ في ما يوجب ترك حضورها

روى عن عائشة رضى الله عنها ان جبريل احتبس عن النبي عليه السلام ثم اتاه فقال ما حبسك ؟ قال جروني بيتك فنظر فاذا جروني تحت السرير فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج ، وفي غير هذا الحديث ان جبريل قد كان تقدم وعده للنبي عليه السلام ان يأتيه في ساعة فاحتبس عنه فيها ، ثم كان منه الكلام المذكور وروى انه صلى الله عليه وسلم لما ذهبت الساعة التي وعده جبريل ان يأتيه فيها ، خرج فاذا جبريل واقف على الباب فقال ما منعك ان تدخل البيت ؟ قال ان في البيت كلبا وانا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فأمر صلى الله عليه وسلم بالكلب فأخرج ثم امر بالكلاب ان تقتل . ووعده جبريل لا يمكن الخلف فيه وانما منعت الشريعة اياه عن الدخول فيه فكان ذلك بالشريعة مستثنى من وعده معنى فقل ذلك من بعد الرجل بالجلوس عنده في منزله لأمر ويكون ٢٠ في ذلك الوقت في منزله ما تمنعه الشريعة من دخوله من شرب خمر او ما سواه من المعاصي التي لا تبيح الشريعة حضورها فلا يدخل في تحلقه ذلك في حكم من وعده فأخلف ، وسئل النخعي عن بعد رجل أن ينتظره متى ينتظره

قال! الى ان يحضر وقت صلاة ، فهذا مثل ما ذهبنا اليه ، ومثله من الفقه من يدعى الى الويلمة فيأتيها فيجد فيها هوا الو وجده في غيرها لم يصح له الجلوس فيها قال بعضهم لا يضره الجلوس لانه جلوس لما اقد امر به وان كان علم قبل الحضور لا يمتنع من الحضور اذ كانت مما امر به وهو قول ابي حنيفة وابي يوسف ، وعن محمد خلاف ذلك وهو الاولى ، لان المأمور به اتباع السنة والسنة تنهى عن مثل هذا قالتى الذى فيها مستثنى من الامر الذى امر به فيها معنى واحتج لها بما روى عن نافع قال كنت مع ابن عمر فسمع صوت زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل عن الطريق ثم قال هل تسمع شيئاً؟ فقلت ما اسمع شيئاً ، ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ، فكما امتنع صلى الله عليه وسلم ان يدخل اذنه شيء من الصوت المكروه وان كان في طريق له الاختيار في سلوكها فكذلك القعود مباح طراً عليه فيه امر مكروه فلا يمتنع من القعود عند سماع ما نهى عن سماعه ولقائل ان يقول بينهما فرق لان المرور بالطريق ليس بفرض عليه بل يفعله اختياراً والاختيار لا يخالطه نهى وهذا الحضور فرض عليه فاحتمل ان يكون الطارى لا يدفع فرضه فكان الذى دل على رفض فرضه عنه هو ما في الحديث الذى ذكرناه ، لا ما في هذا الحديث .

في من لا يجوز الجمع بينهما

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يجمع بين العمة والخالة وبين الخاليتين وبين العمتين ، ما في هذا الحديث من النهى عن الجمع موافق لما روى عنه من نهيه عن الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها لان كل واحدة منهما لو كانت رجلاً لم يحل له الزواج بالآخرى فلم يصلح ان يجمع بينهما بتزويج ، وذهب بعض الى ان معنى الجمع بين العمتين وبين الخاليتين انما كان لان احدهما سميت باسم الاخرى بالمجاورة كما قيل العمران لأبي بكر وعمر ولا يحمل الكلام على هذا الا عند الضرورة اليه ولا ضرورة ، وقد روى

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان تنكح المرأة على عمتها او على خالتها ونهى ان تنكح على ابنة اخيها أو ابنة اختها نهى ان تنكح الكبرى على الصغرى أو الصغرى على الكبرى ومعنى ذلك عندنا والله اعلم على الكبرى وعلى الصغرى في النسب كما قيل في الولاء الولاء للكبر، يراد بذلك الكبر في النسب

في القسم بين الزوجات

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عند قسمه بين ازواجه بالعدل بينهما : اللهم ان هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك، هذا على جهة الاشفاق والرهبة مما يسبق الى قلبه مما قد يستطيع رده عنه مع قربته من غلبته عليه من ميله الى بعضهن اكثر من غيرهن كما علم حصينا الخزاعي ان يدعوه الله ان يغفر له ما أخطأ وما تعمد، مع ان الخطأ غير مأخوذ به لما خاف عليه ان يكون لقربه مما تعمد، وكفى مما يلزمه في العدل بين نسائه ما في كتاب الله من قوله تعالى (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) الآية وروى مرفوعا من كانت له زوجتان قال مع احدهما على الاخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل أو قال ساقط .

في ما احل له من النساء

روى عن عائشة وام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى احل له من النساء ما شاء بقوله تعالى (ترجى من تشاء منهم وتؤوى اليك من تشاء). ان الله تعالى قصره على ازواجه اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة وحرم عليه ان يزوج سواهن ثم اباح بقوله تعالى (تؤوى اليك من تشاء) ليشكر له قصر نفسه عليهن اختيارا الى أن مات بعد أن كان واجبا عليه بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) الآية وبطل قول من قال ان المحرمات ذوات المحارم لذكرها عقيب المحلات له من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته وان له ان يزوج سواهن من شاء لانه يرد قول عائشة

وام سلمة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له من النساء ما شاء
 اذ لا يصح ان يحل له ذوات المحارم، وكذلك بطل قول من قال ان المحرمات
 عليه اليهوديات والنصرانيات استدلالا بنعت المحلات له بالهجرة والايمان
 لانه لو حل الكتابيات له لعدن أمهات المؤمنين، وقيل المحرمات عليه بالآية
 المذكورة من ليس منهن من ذوات رحمه استدلالا بقوله (وبنات عمك
 وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) وهو فاسد لانه لو كان كذلك
 لم يكن من ازواجه من يخرج عن هذه الصفة وقد خرج عنها زينب وجويرة
 وميمونة لانهن غير قرشيات وليس لهن منه صلى الله عليه وسلم ارحام من قبل
 امهاته، وصفية لانها ليست من قریش ولا من العرب وانما هي من أهل
 الكتاب، وعن عطاء قال شهدت جنازة ميمونة مع ابن عباس فقال هذه
 زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزعموها وارفقوا بها فانه كان
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وكان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة
 والى لا يقسم لها صفية، الحق ان المرأة التي لم يقسم لها سودة لاصفية يدل
 عليه ما روى عن ابن عباس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
 تسع نسوة يقسم لهن الاسودة فانها وهبت يومها وليتها لعائشة، وكان
 ذلك بطيب نفسها اذ كان من سنته العدل بين نساؤه وتحذيره أمته خلاف ذلك.

في العزل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من كراهيته عزل الماء عن محله في
 العشرة الا شياء التي كان يكرها على ما جاء في حديث ابن مسعود، وفيما
 روت عائشة عن جذامة قالت ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم العزل
 فقال ذلك الوأد الخفي - جذامة بالذال المعجمة وقيل بالمهملة، وروى عن ابي
 سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله
 ان عندي جارية وانا اعزل عنها وانا اكره ان نحمل وأشتى ما يشتى الرجال
 وان اليهود يقولون هي المؤودة الصغرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذبت

كذبت يهود لو أن الله أراد أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه .

- وذكره من طرق في بعضها لما أصبنا سبي خير سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال ليس من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله عز وجل أن يخلق شيئا لم يمنعه شيء ، يحتمل أن يكون المذكور في رواية جذامة على ما كان عليه من الاقتداء بشرائع من قبلنا ما لم يحدث لذلك ناسخ . ولعله قد كاشفهم عن ذلك كشفا هو في كتابهم فكذبوا كما فعلوا في آية الرجم ثم أعله الله تعالى بكذبهم فأعلم بذلك أمته وأباح العزل على ما في حديث أبي سعيد ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله أن يخلق شيئا لم يمنعه شيء . يعني أن الله تعالى بلطيف قدرته إذا شاء خلق الولد يوصل إلى الرحم من النطفة مع العزل ما يكون منه ولد ، وإن لم يشأ لم يكن ولدا وإن وصل الماء . ١٠
- كله إلى الرحم فالولد مخلوق بالقدره عززل أولم يعزل ، وذهب قوم إلى أن في النطفة روحا فكان العزل اتلافا للروح فجعله أدا ولكن الله تعالى قد أوضح الوقت الذي يكون فيه الحياة في المخلوق من النطفة بقوله (ثم أنشأناه خلقا آخر فبارك الله أحسن البراقين) فقبل ذلك مائة فيها روح لأنه ميت كسائر الأشياء التي لا حياة لها يؤيده أنه لما اختلف الصحابة فيه فقال عمر قد ١٥
- اختلفتم واتم أهل بدر الاختيار فكيف بالناس بعدكم فتأجى رجلان فقال ما هذه المناجاة ؟ فقال إن اليهود ترعم أنها المؤودة الصغرى فقال على أنها لا تكون مؤودة حتى تمر بالثارات السبع في (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) الآية فحجب عمر من قوله وقال جزاك الله خيرا ، وروى هذا عن ابن عباس أيضا .

في أتيان دبر النساء

روى عن ابن عمر أن رجلا أتى امرأة في دبرها فوجد من ذلك في نفسه وجدا شديدا فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم) وعن أبي سعيد أن رجلا أصاب امرأة في دبرها فانكر الناس ذلك عليه

فانزل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم) الآية استدل قوم بهذا على الاباحة ولكن تأملنا ما روى عن جابر بن عبد الله ان اليهود قالوا من أتى امرأة في فرجها من دبرها خرج الولد أحول فانزل الله (نساؤكم حرث لكم) وعنه ان اليهود قالت اذا نكح الرجل امرأة محببة خرج ولدها أحول فانزل الى قوله (ان شئتم) ان شئت محببة وان شئت غير محببة اذا كان ذلك في صام واحد، وروى عنه ان اليهود قالوا للمسلمين من أتى امرأته وهي مدبرة جاء ولده أحول فانزل الله (نساؤكم حرث لكم) فأتوا حرثكم اني شئتم (مقبلة ومدبرة) ما كان في الفرج . فكان في هذه الآثار توقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان ما في هذه الآية مما اطلق للناس هو الفرج لا غير، وصار الوطء في الدبر محظورا، وقيل في سبب نزولها غير ما ذكر على ما روى عن ابن عباس انه قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكيت، قال وما اهلكك؟ قال حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شيئا فاحس الله اليه هذه الآية (ان شئتم) اقبل وأدبر واتق الدبر والحبيضة .

وعن ابن عباس ان ناسا من حمير أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يسئلونه عن النساء فانزل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم) فأتوا حرثكم اني شئتم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها مقبلة ومدبرة اذا كان في الفرج وعن ابن عباس انه حمل الآية على خلاف ما ذكرنا على ما روى زائدة قال سألت ابن عباس عن العزل فقال قد اكثرتم فان كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيئا فهو كما قال وان لم يكن قال فيه فانا أقول (نساؤكم حرث لكم) الآية فان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا أي ذلك شئتم فعلمت فلا بأس .

وقيل لنافع قد كثرت القول عنك انك تقول عن ابن عمر انه أفتى ان تؤتى النساء في ادبارهن فقال نافع كذبوا على ولكن ابن عمر عرض المصحف وانا عنده حتى بلغ (نساؤكم حرث لكم) الآية فقال يا نافع هل تعلم منها شيئا قلت لا، قال انا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء

الأَنصار أَرَدْنَا مِنْهُنَّ مِثْلَ الَّذِي كُنَّا نَرِيدُ فَإِذَا هُنَّ قَدْ كَرِهْنَ ذَلِكَ وَاعْظَمْنَهُ
فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (نَسَؤْكُمْ حَرْثَ لَكُمْ) الْآيَةَ وَمَا رَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ يَسَارٍ سَأَلَ
ابْنَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَا بَأْسَ ، لَا يَكْدُ يَصْحُحُ لِأَنَّهُ رَوَى أَنَّ سَعِيدًا قَالَ لِابْنِ عُمَرَ
مَا تَقُولُ فِي الْجَوَارِي أَيْ حَمِضَ لَهْنٍ؟ قَالَ وَمَا التَّحْمِيزُ؟ فَذَكَرَ الدُّبَرَ فَقَالَ وَهَلْ
يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ يَحْدِثُهُ بِحَدِيثٍ
نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا بِاتِّبَانِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ ، فَقَالَ سَالِمٌ كَذَبَ
الْعَبْدُ أَوْ أَخْطَأَ إِنَّمَا قَالَ لَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَتْ فَرْجُهُنَّ مِنْ أَدْبَارِهِنَّ وَرَوَى مَرْفُوعًا
مَنْ أَتَى امْرَأَةً حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَلَهَتْهَا فَقَدْ كَفَرًا بِمَا أَنزَلَ عَلَى عَهْدِ ، وَرَوَى
لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ وَطِئَ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هِيَ الْوَأْطَةُ الصَّغْرَى يَعْنِي وَطْءَ
النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (نَسَؤْكُمْ حَرْثَ لَكُمْ) فَوَجَدْنَا
الْحَرْثَ يَطْلُبُ بِهِ النَّسْلَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَأْطَةِ فِي الْفَرْجِ فَالَّذِي أَيْبَحُ فِيهَا
هُوَ مَا يَكُونُ عَنْهُ النَّسْلُ لَا غَيْرَ .

فِي تَأْدِيبِ الزَّوْجَةِ

وَرَوَى عَنْ عَاصِمِ بْنِ لُقَيْطٍ بْنِ صَبْرَةَ قَالَ تَدَمَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي فَذَكَرَ صَاحِبِي بِذَاءَةِ امْرَأَتِهِ وَطَوَّلَ لَهَا فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقْهَا فَقَالَ إِنَّهَا ذَاتُ صَحْبَةٍ وَوَلَدٌ ، فَقَالَ قُلْ لَهَا فَإِنْ
يَكُنْ فِيهَا خَيْرٌ فَسَتَقْبِلُ وَلَا تَضْرِبُ ظَمِيمَتَكَ ضَرْبَكَ امْتِكِ ، يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ
يَضْرِبُهَا ضَرْبًا دُونَ ذَلِكَ لِأَنَّ الضَّرْبَ مَبَاحٌ بِالْآيَةِ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا
اسْتَأْذَنَ نَوَاسِرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضَرْبِ نِسَائِهِمْ فَاذْنَبَ لَهُمْ فَسَمِعَ صَوْتًا
قَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا أَذْنَتْ لِلرِّجَالِ فِي النِّسَاءِ فَقَالَ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا
خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ، وَعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ امْرَأَتَهُ فِي بَعْضِ الْيَالِي فَحَامَ الْأَشْعَثُ
وَكَانَ ضَيْفُهُ فَخَجَزَ بَيْنَهُمَا فَرَجَعَ ثُمَّ قَالَ يَا أَشْعَثُ احْظُ عَنِّي شَيْئًا سَمِعْتَهُ مِنْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسئل رجلا فيما يضرب امرأته ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم الهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فعلم ان الضرب المنهى هو الضرب المبرح لا غير .

في وطء المسببة المشركة

روى عن اياس بن سلمة عن ابيه قال امر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر فغزونا فزارة فلما دنونا من الماء امرنا ابو بكر فعرسنا فصل بنا الغداة ثم امر فشننا الفارة فوردنا الماء فقتلنا من قتلنا به ثم انصرف عني من الناس فيهم النساء والذراري قد كادوا أن يسبقونا الى الجبل فطردت بسهم بينهم وبين الجبل وعدوت فوقفوا حتى حلت بينهم وبين الجبل وجئت بهم اسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها نسع من ادم معها بنت لها من احسن العرب فسقتهم الى ابي بكر فنقلني ابو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوبا حتى قدمت المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا سلمة هب لي المرأة فقلت يا نبي الله لقد اعجبني وما كشفت لها ثوبا فسكت عني حتى كان من الغد لقيني فقال لي يا سلمة هب لي المرأة لله ابوك فقلت والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله قال فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فدى بها اسرى من المسلمين كانوا في ايدي المشركين . في قوله لقد اعجبني وما كشفت لها ثوبا ما يدل على ان وطأها كان حيث يخل له لانه لم ينكر عليه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن منها اسلام بدليل رد النبي صلى الله عليه وسلم اياها للمشركين في المفاداة يؤيده احاديث ابي سعيد في سبايا او طاس لما ساءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال لا عليكم ان لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة .

وقيل كان في غزوة بني المصطلق قبل او طاس بسنتين في ست من الهجرة وكان هذا قبل نزول تحريم المشركات بقوله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ، وكن حلالا للمؤمنين مع ما هن عليه من عبادة الاوثان وانما

حر من عليهم عام الحديبية حين جاءت ام كلثوم ابنة عتبة بن ابي معيط مع نسوة مؤمنات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) ، حتى بلغ (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) .

فطلق عمر امرأتين مشركتين كانتا له فتزوج احدهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية . فبقاء صهر على المشركتين حتى انزل التحريم دليل على حل نكاح الوثنيات يومئذ فكما كان تزويجهن حلالا كان وطؤهن بالملك ايضا حلالا الى ان حرم وطء المسيبات منهن ثم انزل الله تعالى ما احل من الكافرات وهو قوله (اليوم احل لكم الطبيات وطعام الذين اتوا الكتاب) الآية وبقي ما عداهن على التحريم .

ومنه ما روى عن ابي سعيد الخدري قال اصبنا يوم اوطاس سبيا وطفن ازواج فكرهنا ان تقع عليهن فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فزلت (والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايما نكم) فاستحللناهن اختلفت الصحابة في المراد بهذه المحصنات فروى عن علي انه المشركاث اذا سبين حللن به .

وقال ابن مسعود المشركاث والمسلمات ، فتأول على رضى الله عنه ١٥ في المستثنى من المحصنات انهن المسيبات المملوكات بالسبي ، وتأول ابن مسعود انهن المملوكات بالسبي وبما سواه ومن اجله كان يقول بيع الامة طلاتها تابعة جماعة من الصحابة . وعن ابن عباس في تأويل هذه الآية قال لا يحل لمسلم ان يتزوج فوق اربع فان فعل نهى عليه حرام مثل اخته وامه ، فالمحصنات على تأويله هذا هن الاربع اللاتي يحللن للرجل دون من سواهن وعنه انه قال ٢٠ (المحصنات من النساء) هن ذوات الازواج .

فاحتمل ان يكون موافقا لعل وان يكون موافقا لابن مسعود ومعنى الحديث ان النساء اللاتي زلت فيهن هذه الآية هن اللاتي سبين دون ازواجهن فاما المسيبات مع ازواجهن فانهن عندنا لابن السبي كذلك كان يقول

ابو حنيفة واصحابه وانما التفريق بتباين الداد وتباين الداد لبالسبي لانهم لو خرجوا اليها بما ان كانوا على نكاحهم ولو خرجوا بدمه مراغمين لاهلهم متمسكين باديانهم كانوا على نكاحهم وان ملكناهم بوقوع ايدينا عليهم بذلك ولو جاءنا احد هما كذلك وخلف صاحبه في دار الحرب انقطع النكاح الذي بينهما بذلك فالسبي لما اولأ حدهما في الحكم كذلك ولا عدة عليهن اذا سبين دون ازواجهن فوكت الفرقة بينهما وبين ازواجهن وانما على ما لكان استبرأ من علي ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في السبايا من قوله لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير حامل حتى تحيض .

وفيهن ذوات الازواج وغيرهن وتلقته العلماء بالقبول اتفاقا وما روى في حديث ابي سعيد هذا من رواية ابي علقمة الهاشمي عنه انه قال مكان قاستحلناهن اي هن لكم حلال اذا مضت عددهن يحتمل ان يكون من قول بعض رواة فكان ما اجمع عليه العلماء اولى من ذلك .

في نكاح العبد بغير اذن سيده

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله ايما عبد تزوج بغير اذن مواليه فهو عاهر ، سمي عاهرا بالترجيع لانه سبب للدخول الذي به يصير زانيا وان كان لا يحد للشبهة ولهذا تجب العدة ويثبت النسب ، وهذا كما روى انه سمي الاشياء التي يوصل بها الى الزنا بالزنا فقال العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني ، وفي بعض الآثار ويصدق ذلك الفرج او يكذبه ، ونحوه ما روى ايما امرأة استعطرت ومرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية ، والله اعلم .

في كراهة التزوج على فاطمة

عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بني هشام بن المغيرة استاذنوا في ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب

فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد على بن ابي طالب ان يطلق ابنتي
وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني يربيني مارا بها ويؤذيني ما آذاها ، وروى
عنه ان عليا خطب بنت ابي جهل فأتت فاطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وان عليا خطب ابنة ابي جهل فقال
صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسؤها وذكر ابا العاصي ه
ابن الربيع فاحسن عليه الثناء وقال لا يجمع بين بنت نبي الله وبين ابنة عدو الله .
وفي حديث آخر ثم ذكر صهر امن بن عبد شمس فأتى عليه في مصاهرته
اياهم قال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي واني لست احرم حلالا ولا احل حراما
ولكن والله لا يجمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله مكان واحد ابدا ، فاحتمل ان
يكون على رضى الله عنه ظن عدم تأثر خاطر الرسول صلى الله عليه وسلم
من ذلك فلما تبين له كراهيته اضرب عنه وترك مرضاة نفسه لمرضاة الرسول
صلى الله عليه وسلم فحمد عليه اكثر من ابي العاصي لانه ترك ما مالت اليه نفسه
ايثارا وابو العاصي ترك ذلك دون ان تميل اليه نفسه فكان حاله في ذلك دون
حال علي وانما لم يذكر عثمان مكان ابي العاصي لانه كان نظيرا لعل للكل واحد
منهما من السوابق التي ليست لابي العاصي فذكره ليستوفي بذلك الحجة وهذا ه
من اعلى مراتب الحكمة فيما خطب به مما اراد اسماع على اياه ثم لما ترك على ما هم به
كان كأن لم يكن منه في ذلك شيء بل ازداد في رتبته وتمسكه برسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي ايثاره اياه على نفسه وكيف يظن به غير ذلك وقد تقدم
وعداقه عز وجل فيه بما انزله في كتابه (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا
الى صراط الحميد) من ادخاله الجنة مع من ذكر معه بقوله (ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) الآية وهو عمالا يلحقه نسخ اذ هو لا يلحق
الاخبار بل الاحكام التي تحول من تحليل الى تحريم وضده ثم كان منه صلى الله
عليه وسلم في غدير خم من قواه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وذكر من فضائله

كثيرا والله اعلم .

في الكحل للمتوفى عنها زوجها

روى عن ام سلمة ان امرأة توفى عنها زوجها ورمدت وخشوا على عينيها فاستأذنى النبي صلى الله عليه وسلم في الكحل وذكروا انهم يخشون على عينيها فقال له قد كانت احدا كن تمكث في شربيتها في احلاسها او في احلاسها في شربيتها فاذا كان حول مركب فرمت بيعة ، فلا اربعة اشهر وعشرا .

وفى ما روى عنها ان ابنة النحام توفى عنها زوجها فأتت امها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي تشتكى عينيها فاذا كحلها فاني اخشى ان تنفك عينيها ، قال وان انفكات قد كانت احدا كن تمكث بعد وفاة زوجها حولا ثم ترمى من خلفها بيعة . ففيه منع المعتدة من التكحيل مع خوف التلف وقد اباحه جميع اهل العلم للضرورة وفي اتفاقهم دليل على نسخ هذا الحكم اذ لا يخفاء في عدم الخفاء على جميعهم ولا شك في عدم مخالفتهم الحديث الثابت فدل على انهم اطاعوا على ناسخ بسببه تركوه الى ما هو اولى منه ووجدنا في الآثار ما يدل على شيء من ذلك وهو ما روى عن ام حكيم ابنة اسيد عن امها ان زوجها توفى وكانت تشتكى عينيها فتكحل بكحل الجلاء فارسلت مولاة لها الى ام سلمة فسألتها عن كحل الجلاء فقالت لا تكحل الامن امر لا بد منه فتكحل بالليل وتمسحه بالنهار ثم قالت عند ذلك ام سلمة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى ابو سلمة وقد جعلت على عيني صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة قلت يا رسول الله انما هو صبر ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتزعيه بانهار ولا تمتشطى بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب ، قلت باي شيء امتشط يا رسول الله قال بالسدر تفسلين به رأسك (١) ففيه تجوز من ام سلمة تكحيلها عند الضرورة وهي قد سمعت ما يخاف ذلك فاحتمل ان يكون اذنها الا وقد علمت بنسخه من قبله صلى الله عليه وسلم لانها ما مونة على

(١) هكذا في الاصل وفي سنن النسائي وتلفين به رأسك .

ما قالت كما كانت ما مونة على ما روت .

كتاب الطلاق

فيه احد عشر حديثا

في طلاق حفصة

- روى عن عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة .
ثم راجعها وعن ابن عمر قال دخل عمر على حفصة اختي وهي تبكي فقال ما
بيبك لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك أما انه قد كان طلقك مرة ثم
راجعك من اجل . وروى عن عقبه بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلق حفصة فأناه جبريل فقال راجعها فانها صوامة قوامه وعن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة فأناه جبريل فقال يا عهد طلقت
حفصة وهي صوامة قوامه وهي زوجتك في الدنيا والآخرة . لا يقال انها
زوجته في الدنيا والآخرة فكيف يظن انه طلقها والحال ان الله تعالى لما
خير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي منهن واخترن الله ورسوله على
الدنيا شكرهن على ذلك وحبه عليهن وحسنه عليه وجعل لمن ان يمين بعد
موته كما كن يمين في حياته لانهن محبوسات عليه ، لا نأقول ما كان طلاقها
طلاقا بائنا قاطعا للوصلة ولهذا راجعها ولو لم يراجعها كان حكم الزوجية من
الحرمة على الغير ووجوب نفقتها وكونها ام المؤمنين باقيا لا يخرجهما الطلاق
عن الزوجية كما لا يخرجهما موتها عن ذلك .

في طلاق الحامل وحيضها

- روى عن ابن عمر قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابن عمر طلق
امراة وهي حائض قال فليراجعها فاذا طهرت طلقها وهي طاهرة او حامل .
استدل بهذا على ان الحامل لا تحيض لان الاذن بالطلاق وهي طاهرة او حامل
دل على ان الحامل لا تحيض ، قيل هذا فاسد لانه لو كان كذلك لاستغنى بذكر

الطهر عنه فيكون قوله او حامل فضلة لا فائدة فيه ، فلتأبى له فائدة وهو ان الطاهرة لا تطلق الا ان تكون غير عادمة في ذلك الطهر والحامل تطلق وان جومعت في ذلك الحمل للامن من الاعلاق بهذا الجماع حالة الحمل بخلاف ما اذا لم تكن حاملا فلها تبين حكم الطاهر الغير الحامل والتي لها حمل ذكرها جميعا في الحديث فيكون معناه فاذا طهرت طلقها وهي طاهرة قبل ان يمسه او حامل مسها فيه او لم يمسه ، ومن الدليل على ان الحامل لا تحيض قوله صلى الله عليه وسلم لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض ، يعني فيعلم بالحيض انها غير حامل فلو كانت الحامل تحيض لم يعلم بحيض الحامل انها غير حامل ولاستوى في ذلك الحيض والطهر ، وما روى عن عائشة ان الحامل تحيض ، روى عنها خلافة بانها لا تحيض ، وهو الاصح من جهة النقل والاولى ما دل عليه من السنة والقياس وروى ذلك عن عطاء والحسن البصري وهو قول ابي حنيفة وصاحبيه .

في قوله الحقى باهلك

عن عائشة رضي الله عنها ان ابنة الجون لما ادخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قالت اعوذ بالله منك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عدت بماذا الحقى باهلك قال الا وزاعى فترى ان هذا القول تطليقة لانها كرهت مكانه وطلبت فراقه فاراد به صلى الله عليه وسلم الطلاق ، وفي حديث كعب لما امر باعتزال امرأته قال له اطلقها ؟ قال لا ولكن اعتزلها فقال لها الحقى باهلك . ولم تصر به طالقا لانه ما اراده ، وروى ان ابا اسيد اتاه بها وانزلها في موضع فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى حتى انتهى اليها فأتى واهوى ليقبلها فقالت اعوذ بالله منك فقال لها لقد عدت بماذا وامرني ان اردّها الى اهلها . وفي بعض الآثار فقال يا ابا اسيد اكسها رازقيتين وألقها باهلها . وانما اجاز لابي اسيد حملها من عند اهلها . والى اهلها وليس من محارمها لانه صلى الله عليه وسلم

لما تزوجها صارت ام المؤمنين وهو منهم فعادت بذلك محرماً (١) والرازق يتان
 يحتمل ان يكون تمتعاً منه لها فان الطلقة قبل الدخول لما المتعة سمي لها صداق
 ام لا روى ذلك عن علي بن ابي طالب ويحتمل ان يكون تفضلاً منه عليها لا تمتعاً .
 ومنه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة
 من بني غفار فتزوجها فلما ادخلت عليه رأى ما بها وكان في كشحها يياض تكثرها
 ومتعها وقال الحقي باهلك فلحققت باهلها وروى انه اعطاها الصداق .
 فيه ان الخلوة الصحيحة كالدخول في ايجاب تكيل الصداق لانه
 ترك مسيسها باختياره فقام مقام النجاسة منه لها واليه ذهب جماعة من وجوه
 الصحابة والخلفاء منهم عمرو بن عبد الله بن اوفى انه قال قضى
 الخلفاء الراشدون المهديون انه من اغلق باباً وارضى ستره فقد وجب المهر
 ووجبت العدة ويروى عن زيد بن ثابت ما يدل انه كان هذا مذهبه .
 فان قيل انما قضى زيد لدعواها المسيس قلنا مجرد دعواها ليس بحجة
 لو لم تكن الخلوة موجبة ولا يعلم مخالف من الصحابة الا ما روى عن ابن عباس
 من قوله اذا انكح الرجل ففوض اليه فطلق قبل ان يمسي فليس لها الا نصف
 الصداق .

وهو محتمل للتأويل وهو مذهب اكثر فقهاء الامصار منهم ابو حنيفة
 ومالك والاوزاعي والليث بن سعد والثوري ومتبعوهم فان قيل هذا مخالف
 لقوله تعالى (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
 فنصف ما فرضتم) قيل الذين ذهبوا الى تكيل الصداق اعلم بتأويل القرآن
 وفي خلافهم تجهيل لهم ونعوذ بالله من ذلك مع ان في اللغة يجوز تسمية من
 يمكنه ايقاع المسيس باسم المسيس وان لم يمسي كما سمي ابن ابراهيم اما المحقق
 واما اسمعيل ذبيحا وان لم يذبح .

في متعة الطلاق

روى عن ابي الزبير المكي انه سأل عبد الحميد بن عبد الله بن ابي عمرو

ابن حفص عن طلاق جده ابي عمرو وفاطمة بنت تيس قال له عبد الحميد طلقها البتة ثم خرج الى اليمن فوكل عياش بن ابي ربيعة فادس الى عياش ببعض النفقة فسخطتها فقال لها عياش مالك من نفقة ولا سكني فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأليه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما قال فقال لها ليس لك نفقة ولا سكني ولكن متاع بالمعروف اخرجني عنهم فقالت اخرج الى بيت ام شريك؟ فقال لها ان بيتها يوطأ انتقل الى بيت عبد الله بن ام مكتوم الاعمى .

قوله ولكن متاع بالمعروف يحتمل ان يكون على الايجاب وعلى الندب وكذا ما في القرآن من متاع الطلاق يحتمل الايجاب والندب ١٠ مدخولا بها او غير مدخول بها كما روى عن علي وهذا مثل قوله تعالى (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) الآية، ويحتمل ان يكون على الايجاب لبعضهن كما روى عن ابن عمر أنه كان يقول لكل مطلقة متعة الا التي تطلق ولم يدخل بها وقد فرض لها صداق لحسبها نصف ما فرض لها .

والنظر يوجب عدم ايجاب المتعة للدخول بها لان الواجب بدلا ١٥ من الموضع يجب بالعقد لا بما سوى ذلك فاذا لم تجب المتعة بالعقد الذي لا طلاق بعده فأحرى ان لا تجب بالطلاق بعده واما المطلقات قبل الدخول فن اهل العلم من رأى لمن المتاع واختلفوا في مقدارها فقال ابو حنيفة والثوري مقدارها نصف صداق مثلها من نسائها وهو قول حماد بن ابي سليمان ومنهم من لم يوجب لمن المتاع ولكن ندب لمن وهو قول مالك والاولى ايجابها لان التزويج لا وقع بلا تسمية صداق اوجب لها صداق مثلها كما اوجب ملك بضعها فلما طلق قبل الدخول سقط نصف الواجب عليه وبقي النصف كما كان عليه قبل ذلك ٢٠ من تزومها اياه واخذه به كما اذا سمى لها صداقا ثم طلقها قبل دخوله بها زال عنه النصف وبقي النصف .

في ارتداد الزوجة

- روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فتيلة اخت الاشعث وقيل بنته فارتدت مع قومها ولم يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها فبرأه الله منها بالارتداد فلم يضرب عليها الحجاب ولم يخبرها كما خير سائر نسائه وروى ان عكرمة بن ابى جهل تزوجها بعد النبي صلى الله عليه وسلم فازاد ابوبكر ان يقتله لانها كانت عنده من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحجبها ولم يقسم لها ولم يدخل بها وارتدت مع اخيها عن الاسلام وبرئت من الله ورسوله فلم يزل به حتى تركه .
- فانخرجها عمر من الزوجية بردها اذ كانت لا تصلح معها ان تكون للمسلمين اما ، وروى عن عمر انه وان اخرجها من ازواج النبي لكنه فرق بينها وبين زوجها وضربه فقالت له اتق الله يا عمر في ان كنت منهن فاعطني مثل ما تعطين قال اما هنالك فلا قالت فدعني انكح قال ولا نعمة عين ولا اطمع في ذلك احدا .

- فانخرجها بار تداها من الزوجات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وماحجبها ولاخيرها فلم يخالف ابابكر في امر عكرمة الا في القتل خاصة لا فيما سواه لان في ذلك شبهة دخلت عليه فعذره بها ورفع عنه القتل من اجلها وفي هذا معنى من العلم لطيف وهو ان تلك المرأة كانت لها حقوق وعليها حقوق فبردها اسقطت حقوقها من كونها محجوبة ومنفقا عليها فبطلت حقوقها فيما حاجت به عمر وبقيت الحقوق التي كانت عليها من ترك الزوج بغيره كالناشئة يبطل حقها من النفقة ولا يبطل عنها حق زوجها وان كانت الناشئة بترك نشوزها يرجع حقها وهذه بالاسلام ما رجع حقها اليها لانها لو لم تكن اسلمت ما طلبها عكرمة ومع هذا ما استحققت ما كان تستحق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من حجبهن والافتاق عليهن وذلك لأنها لما ارتدت كانت ممن منعه الله دخول

الجنة ولم تصلح اما للمسلمين وحقوق الامومة لا ترجع بعد زوالها فلا تستحق في اموالهم نفقة كما تستحقها سائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بامومتهم والناشزة اذا عادت غير ناشزة استحققت النفقة بالعصمة ، والمعنى في منع الناس من تزوج ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ابقاؤهن زوجات له في الآخرة ، يؤيده ان ام ابي الدرداء قالت لابي الدرداء عند الموت انك خطبتني الى ابوي في الدنيا فانكحاك واني اخطبك الى نفسك في الآخرة قال فلا تنكحي بعدي فخطبها معاوية فاخبرته بالذي كان فقال عليك بالصيام .

في الطلاق في الاغلاق

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق ولا عتاق في الاغلاق احسن ما قيل فيه ان الاغلاق هو الاطباق على الشيء فاحتمل بذلك عندنا ان يكون المراد به الاجبار الذي يغلط على المعتق وعلى المطلق حتى يكون منه العتاق والطلاق عن غير اختيار منه لهما ولا يكون في العتاق مثابا ولا في الطلاق آثما ان اوقعه على صفة البدعة .

فان قيل فينبغي ان لا يقع طلاق المكره قيل او فعناه بحديث احسن منه في الاسناد واعرف رجالا واكشف معنى وهو ما روى عن حذيفة انه قال ما معنى ان اشهد بدرا الا اني خرجت انا وابي فاخذنا كفارا قريش فقالوا انكم تريدون مجد اقلنا ما يزيد الا المدينة فاخذوا منا عهدا لله وميثاقه اننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه فقال انصرفا ففعلنا لم يعهدهم ونستعين بالله تعالى عليهم فكان فيه اعتبار اليمين مع الاكراه كما في الطواعية .

في الحلف بطلاق من يتزوج

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله لا طلاق الا من بعد نكاح ولا عتاق الا من بعد ملك ، اختلف في تأويله قال ابن شهاب انما هو ان يذكر

الرجل المرأة فيقال له تزوجتها فيقول هي طالق البتة فهذا ليس بشيء واما من قال ان تزوجت فلانة فهي طالق البتة فانما يطلقها حين يتزوجها او قال هي حرة ان اشتريتها فانما اعتقها حين اشترها و اليه ذهب مالك ومن قال بقوله وجعله الشافعي في حكم طلاقه لمن لم يتزوج او عتقه لمن لم يملك وذكر الاختلاف في ذلك عن الصحابة والتابعين ولما اختلفوا تأملنا ما توجبه الاصول المتفق عليها فوجدنا الرجل يقول كل ولد تلده مملوكي هذه فهو حر فتحمل بعد ذلك با ولاد ثم تلدهم فيعتقون عليه وقد كان وقت التعليق غير مالك لهم لانهم غير مخلوقين فروعي فيهم وقت الوقوع الى وقت القول فكان نظيره في القياس ان لا يراعى الوقت الذي علق فيه بقوله فلانة طالق ان تزوجتها وراعى وقت وقوعه ولا معنى لمراعاة ملك امها لان المعلق الولد لا الام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استشاره في صدقته مما حصل له من سهام خيبر احبس الاصل وسبل الثمرة فكان فيه ما دل على جواز العقود في الاشياء الحوادث التي لا يملكها عائد وها وقت كلامهم فثله ما يعقده الرجل على ما يملكه في المستقبل من المالك وعلى ما يتزوجه من النساء ومثله ايضا ما اجمعوا عليه من تجويز التوكيل ممن تجب عليه كفارة ظهارا ويمن بابتياح رقية يعتقها عنه فيفعل الوكيل ما امر به يجوز عنه من الرقية التي كانت عليه وقد كان التوكيل منه قبل ان يملكها فلم يضره ذلك فروعي وقت العتاق لا وقت التوكيل ومثله ما اجمعوا عليه في تجويز الوصية بثالث ماله فيكون ذلك عاملا في ثلث ما كان مالا وما سيملكه الى وقت الموت ولم يقتصر على ما كان يملكه يوم الوصية وتأملنا في قوله صلى الله عليه وسلم لا نذر لابن آدم فيما لا يملك كما قال لاطلاق الامن بعد نكاح ولا عتق الامن بعد ملك ثم وجدنا قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الى قوله (ما اخطوا الله ما وعده) الآية فكأن ما كان ان يفعلوا منهم بقولهم لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ما قد اوجبه عليهم اذا آتاهم ما وعده فيه اذا آتاهم اياه وكان ذلك بخلاف من قولهم فيما

الرجل ان تزوجت فلانة فهي طالق يكون حكمه خلاف ما اذا قال هي طالق
لا يملكون فمثل ذلك قول ولم يقل ان تزوجتها فيلزمه اذا علق ولا يلزمه
اذا انفجر .

في طلاق العبد

روى عن عمر بن معتب ان ابا حسن مولى بنى نوفل اخبره انه استفتى
ابن عباس في رجل مملوك كانت تحته مملوكة فطلقها تطليقتين فبانت منه ثم انها
اعتقا بعد ذلك هل يصلح للرجل ان يخطبها فقال ابن عباس نعم وقضى بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا لا يصح الاحتجاج به لان الراوى عن
لا يؤخذ مثل هذا عنه مع ان متنه مستحيل لان طلاق ذلك المملوك زوجته في
١٠ رتقها لا يخلوا ما ان يكون واقعا فقد حرمت عليه حرمة غليظة واما ان يكون
غير واقع لان طلاق المملوك ليس بشيء عند ابن عباس الا باذن سيده محتجا بقوله
تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) لكن لا معنى لارتجاعها
زوجته حينئذ فلا سبيل لقبول هذا الحديث عنه لفساده في اسناده ومتنه وقد
روى عن الراوى ان مولى بنى نوفل اخبره انه استفتى ابن عباس في مملوك
كانت تحته مملوكة وطلقها تطليقة فبانت ثم انها اعتقا بعد ذلك هل يصلح للرجل
١٥ ان يخطبها فقال ابن عباس صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك
ولم يرد على هذا شيئا ، وهذا مما يدل على اضطراب هذا الحديث بحيث لا يحتاج به
واما قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) انما هو فيما عدا الطلاق
من الاموال المحولة للاحرار لا في الابضاع لان تزويج سيده اياه يباح له
٢٠ فزوج زوجته ويكون مالكا له قادرا عليه دون مولاه فلما كان البضع له كان
تحريره اليه دون مولاه واختلفت الصحابة سوى ابن عباس في طلاقه فجعله عمر
وعلى بن ابي طالب على حكم النساء المطلقات كالعدة وجعله عثمان وزيد على حكم الرجال
المطلقين وقال ابن عمر ايهما رقت قص الطلاق برقه والعدة بعد ذلك على النساء
ولم يتابعه احد على قوله ثم قول عمرو بن ابي اريخ لان الحر ابيح له تزويج اربع
وجمل

وجعل له اثنا عشر طلاقاً فيهن والملوك له ثنتين فطلاقه اياها ست تطليقات ثم ولكن هذا التعليل ينكسر في الحر يتزوج الامة لانه يلزمه على طرده ان يكون طلاقه ثلاثاً وليس مذهب عمر وعلي هذا وانما يأتي هذا قولاً رابعاً في المسئلة سوى قول ابن عباس ان ايهما كان حراً اكل الطلاق عكس قول ابن عمر ان ايهما كان رقيقاً نقص الطلاق برقه .

- قال الطحاوي ، ولقد كلمت ابا جعفر محمد بن العباس في هذا الباب وتقلدت عليه قول عثمان وزيد فيه فقلت له أليس الطلاق قد وجدته يكون من الرجل والعدة تكون من المرأة فعقول في ذلك ان كل ما يكون من كل واحد منهما مرجوع منه الى حكمه فقال لي كتاب الله يدفع ما قلت يعني قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان ١٠ تمسوهن فالحكم عليهن من عدة) فاعلمنا الله تعالى ان العدة للرجال وللنساء واذا كانت للرجال وكانت على حكم النساء لانها تكون منهن كان الطلاق الذي يكون منهم في النساء لا على حكمهم فهذه علة صحيحة .

في مقدار مدة الحمل

- روى عن ابي ذر أنه قال لان احلف عشرا ان ابن صياد هو الدجال ١٥ احب الى من ان احلف يمينا واحدة انه ليس هو وذلك لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني الى ام ابن صياد فقال سلها كم حملت به فسلتها فقال حملت به اثني عشر شهرا فأتيتها فاخبرته ثم اردت اني اسألها عن صياحه حين وقع فأتيتها فسلتها فقالت صياح الصبي ابن شهر بن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد خبات لك خبيثا فقال ٢٠ خبات لي عظم شاة عفراء والدخان فاراد ان يقول الدخان فلم يستطع فقال الدخ الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسا فلن تسبق القدر ، فيه ان الحمل يكون اكثر من تسعة اشهر اذ لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ما اخبر به ابوذر عن ام ابن صياد انها حملت به اثني عشر شهرا وقفها الامصار

اختلفوا في اكثر مدته فقالت طائفة انه سستان منهم ابو حنيفة والثوري وسائر اصحاب ابى حنيفة وبعضهم انه اربع سنين وهو مذهب كثير من فقهاء الحجاز وبه يقول الشافعي وعند طائفة منهم انه يتجاوز الى اكثر من اربع منهم مالك ابن انس واواى الاقوال هو القول الاول لانه لم يخرج عن قوله تعالى (حملة) وفصاله ثلاثون شهرا) والقولان الآخران ترجعا عن الآية لان الله تعالى اخبر عن الثلاثين شهرا مدة الحمل والرضاع فلا يجوز أن يصرجا عنها ولا احدهما يبين ذلك ما روى عن ابن عباس انه قال اذا وضعت تسعة اشهر كفاه من الرضاع احد وعشرون شهرا واذا وضعت لسبعة كفاه ثلاث وعشرون شهرا لو اذا وضعت ستة كفاه حولان كاملان لان الله تعالى قال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) .

ولا يقال فاذا كان الحمل عامين لا يكفي الرضاع ستة اشهر لانه يجعل انه اذا لطف له الغذاء يستغنى به عن الرضاع ويحتمل ان الله تعالى قد اوجب بهذه الآية ان الفصال يرجع الى ستة اشهر ثم زاد في مدته الى تمام الحولين بقوله وفصاله في عامين .

وبقوله (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة) ان نقص من الحولين شيء يكون الحمل اكثر من ستة اشهر وانما قلنا في حديث ابى ذر ان فيه حجة على من نفى ان يكون الحمل اكثر من تسعة اشهر ولم يقل ان ابن صياد مخصوص ليكون للعالمين آية لما ذكر فيه انه للدجال لانه لم يبق انه الدجال الذي حذر الانبياء عليهم السلام منه امهم لوجوده في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم والدجال لا يدخله () وقتله صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا واحد من بنى آدم في خلقه وفي مدة حملة ولو كان الدجال لم يتكرر أن يكون دجالا ويكون بعده دجالون وان تفاضلوا فيما يكونون عليه في ذلك وتباينوا فيه ولكنه قيل انه الدجال الذي انذر كل نبي امته منه

وقد قامت الحجة بخلاف ذلك والله تعالى اعلم .

في مقام المتوفى عنها زوجها

- روى عن الفريفة ابنة مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انه اتاها نبي زوجها نرج في طلب اعلاج له فادرهم بطرف القدوم فقتلوه فقالت فبئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انه اتا في نبي .
- زوجي وانا في دار من دور الانصار شاسعة عن دور اهلي وانا اكره القعدة فيها وانه لم يتركني في سكني ولا مال يملكه ولا نفقة تنفق علي فان رأيت ان الحق باحق فيكون امرنا جميعا فانه اجمع في شائي واحب الي قال ان شئت فالحقى باهلك فخرجت مستبشرة بذلك حتى اذا كنت في الحجرة اوفى المسجد دعاني او دعيت له فقال كيف زعمت فردت عليه الحديث من اوله فقال امكني في البيت الذي جاءك فيه نبي زوجك حتى يبلغ الكتاب اجله فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فارسل اليها عثمان فساها فاخبرته فقضى به .
- يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم اباح النقلة لها من الدار التي نبي فيها زوجها لذكرها انه لم يخلف مالا ولا سكني ويحتمل ان يكون ذلك لانه لا نفقة لها من مال خلفه ولا مسكن لها في منزله لانه على تقدير انه كان له مال او مسكن فموتته نرج .
- الى ملك الورثة ويحتمل ان يكون امره اياها بالملك حتى يبلغ الكتاب اجله بعد ما اباح النقلة لان جبريل عليه السلام كان حاضرا جوابه فاعلمه بما امرها ثانيا اذا كانت اعلمته انها دار لم يرعجها منها اهل زوجها وان كان لهم ازعاجها لانها ملكهم دون ملك الميت ولكن كان من حقهم تخصيصها احتياطاً من ان يلحقه ولد منها وقال بهذا غير واحد منهم الشافعي مع ان مذاهبيم ان المتوفى عنها زوجها لا نفقة لها ولا سكني في عدتها فقالوا لا ولياء زوجها تخصيصها في عدتها حيلة ان يلحق الزوج ولد تأتي به ليس منه فامرهم صلى الله عليه وسلم اذ كانوا لم يخرجوها من المنزل ورضوه لها ان ترجع اليه حتى يبلغ الكتاب اجله كما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من حقوقهم التي لهم ان يطلبوها وهذا نظير

ما كان من جبريل في حديث ابي قتادة في رجل سأل الله ان تلت في سبيل الله صابرا محتسبا أتكفر الله عني خطاي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فله ادبر ناداه الحديث ، وما ذكره عن الشافعي من حقوق اولياء الميت في زوجته قول حسن وسيأتي في باب الرزق والاجل ذكر العلة في مقدار هذه العدة ان شاء الله تعالى .

كتاب الرضاع

روى عن الحجاج انه قال قلت يا رسول الله ما يذهب عني مذمة الرضاع قال الفرة العبد او الامة لما كانت الرضعة كلام في وجوب الحق عليه وحق الاب وهو دون حق الام لا يجرى الا ان يحد مملوكا فيشتريه فيعتقه والرضعة لما كانت حرة لا يقدر على عتقها امر أن يعوضها من ذلك بمن يقدر على عتقه فيكون فداء لها من النار ولم تجعل تلك النسمة كغيرها من النسم وجعلت من غرضها أي ارضعها فقد روى عن ابي عمرو انه قال لا يقبل في الدية عبد اسود ولا امة سوداء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين غرة عبدا وامة فلولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ذلك لقال في الجنين عبدا وامة وفيما ذكرناه ما قد دل على ان الرضاع ان قدر على عتاق من ارضعه من الرق كان جازيا له وذهب عنه مذمة الرضاع به .

في الرضاع المحرم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصاة من الرضاع ولا المصتان ، مداره على عروة بن الزبير فن رواه من رواه عنه عن عائشة ومنهم من رواه عنه عن عبد الله بن الزبير عن ابيه ولما كان الامر على هذا ووجدنا عروة قد خالف ذلك فقال مثل ما قال سعيد بن المسيب ما كان في الحولين واب ان كان قطرة واحدة فهو يحرم وما كان بعد الحولين فهو طعام يأكله فلم انه مع شدة تمسكه بالحديث وكمال ورعه لم يترك ما روى عن عائشة

- الى خلافه الا وقد ثبت نسخ ذلك عنده ويحتمل ان يكون نسخه عنده ما روى عن عائشة قالت كان فيما اُزل من القرآن ثم سقط لا يحرم من الرضاع الا عشر رضعات ثم نزل بعد او خمس رضعات ثبتت عنده سقوط ذلك من الاحكام بسقوطه من القرآن فان قيل، فقد روى عن غير عائشة وابن الزبير ما يوافق روايتهما وهو حديث ام الفضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تحرم الا ملاحظة ولا الا ملاجتان قلنا ان من علم شيئا اولى ممن قصر عنه فما وقف عليه عروة مما اوجب نسخ هذا الحديث حجة على روايته،
- فان قيل فقد روى عن عائشة ان الخمس رضعات، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن، فالجواب ان هذا مراءاه عبد الله بن ابي بكر وقد خالفه في ذلك القاسم ويحيى وهما اولى بالحفظ منه واستوى معهما فكيف وهما اعلى مرتبة في العلم والحفظ مع انه محال لانه يلزم ان يكون بقي من القرآن ما لم يجمعه الراشدون المهديون ولوجاز ذلك لاحتمل أن يكون ما اثبتوه فيه منسوخا وما قصروا عنه ناسخا فيرتفع فرض العمل به ونعوذ بالله من هذا القول وقائليه مع ان جلة الصحابة على التحريم بقليل الرضاع وكثيره منهم على بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وروى ان ابن عمر سئل عن ١٥ المصة والمصتين فقال لا تصلح، فقيل له ان ابن الزبير لا يرى بها بأسا فقال يقول الله تعالى (واخوانكم من الرضاعة) قضاء الله احق من قضاء ابن الزبير، ثم فقهاء الامصار جميعا على هذا القول من اهل المدينة واهل الكوفة الا قليلا منهم، وروى عن عقبة بن الحارث قال تزوجت بنت ابي اهاب فنجاءت امة سوداء فزعمت انها ارضعتني واياها فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض ٢٠ عني، ثم سألته فاعرض عني، ثم سألته فاعرض عني، ثم قال كيف بك وقد قيل ذلك ونها في عنها، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الكشف عن كمية اعداد الرضاع دليل على استواء القليل والكثير في الحرمة اذ لو كان المصة والمصتان لا تحرم لما نهاه حتى يعلم ان ذلك الرضاع يقع به التحريم ام لا.

في وطء المراضعة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله لا تقتلوا اولادكم سرا فان
 القليل يدرك الفارس فيدثره عن ظهر فرسه ، حذرأتمته اشفاقا على اولادهم
 من غير تحریم على ما كانت العرب تقولہ وان لم تنزل عليه في ذلك امر مايدل
 عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشرا
 • الصفرة وتغيير الشيب والتختم بالذهب وجر الازار والتبرج بالزينة لغیر محلها
 والضرب بالكتاب وعزل الماء عن محله وفساد الصبي غير محرمة وعقد
 التائم والرق الا المعوذات فقوله فساد الصبي يريد به القيل وهو ان يجمع
 امرأته وهي ترضع، وعن ابن عباس مرفوعا نهى عن الاغتسال ثم قال انه لو
 ضرب احد الضر فارس والروم ، فالنهي تنزيه كالشرب قائما لما خاف من
 ١٠ ضرره على شاربه ، يؤيده ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد هممت ان
 انهي عن القيلة حتى ذكرت الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر اولادهم
 فاطلق لامته ما كان حذرهم اياه لما وقف على ان ذلك لا يضر وقد كان بقيت
 بقية منه في قلوب العرب ، روى عن عطية بن جبیر عن ابيه قال مات ذو قرابة
 لي وترك له ابنا فارضعته امرأتی فحلفت ان لا اقربها حتى يظطم الصبي فلما
 ١٥ مضت لي اربعة اشهر قيل لي قد بانت امرأتك فسألت عليا فقال ان كنت
 حلفت على تضره فقد بانت منك والا فهي امرأتك واليه ذهب مالك بن انس
 سئل عن ترك امرأته وهي ترضع حتى تظطم فأبى ذلك عليه وطلبت منه وطئه
 اياها فقال لا اري لها في ذلك حجة ولا يقضى عليه بالوطء كانت فيه يمين اولاً ،
 ٢٠ وخالف ذلك جماعة منهم ابو حنيفة واصحابه فجعلوا مولى ان حلف ان لا يقربها
 حتى تظطم اذا كان بينه وبين تمام الحولين اربعة اشهر فصاعد الان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يحرم الجماع في الرضاع وانما كرهه اشفاقا ثم اطلقه وزعم
 الليث بن سعد أن قوما يقولون النبل هو جماع الحامل لاجماع الموضع والحق

- خلافه لان العرب قد ذكرته في افعالهم هنا ففخرت به نساؤها والحرب تقول . ما حملته امه وضعا ولا ارضعته ضيلا ولا وضعت تيتا ولا اباتته ميقاتا ومنهم من يقول ما حملته امه تضعا يعني ما حملته على حيض ولا ارضعت غيلا يعنون ان وطئت وهي ترضع ولا وضعت تيتا يعني ان يخرج رجلاه قبل يديه في الولادة يقال منه مؤتن للراة التي ولدتها كذلك وللولد مؤتن قوله ولا اباتته ميقاتا يريدون شدة البكاء وقد روى في اباحة وطء الرضيع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اعزل عن امرأتي ، فقال لم ؟ قال شققا على الولد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان كذلك فلا ما كان ضارا فارس والروم ، قوله انه ليدرك الفارس فيدثره يقول يهدمه ويطحطحه بعد ما صار رجلا قد ركب الخيل .

في الايلاء

- روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من استلجج يميني على اهله فهو أعظم اثما ، يعني أعظم اثما من سواه من الخالفين او اعظم اثما من حشته فاكتفى صلى الله عليه وسلم لعلمه انهم قد فهموا ذلك عنه مما خاطبهم به لانهم قوم عرب خاطبهم بالاسانهم كمثل ما جاء في القرآن (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) (ولوان قرأنا سيرت به الجبال) واكتفى بذلك عن الجواب لفهمه من فحوى الكلام لان من حلف على زوجته ان لا يقربها فقد منعها من حقها فهو في استلجاجة في ذلك وتماديه عليه آثم ، فيجب عليه الرجوع عن يمينه بالنهي عليها قال تعالى (فان فاؤ فان الله غفور رحيم) ذكر الرحمة والغفران لرجوع القائي عن منعه الحق الذي هو عليه ولم يذكر ذلك في عزم الطلاق لانه في عزمه متباد في استلجاجة في منع الحق الذي عليه ويقرب من هذا ما روى مرفوعا قال من حلف على قطيعة رحم او معصية فحنث فذلك كفارة يريد أن حشته كفارة من الذنب وعليه كفارة اليمين وكذلك معنى الحديث ان الواجب

عليه ان يكفر عن يمينه ولا يستلج في التهادي على الامتناع والله اعلم

في الحضانة

عن علي بن ابي طالب قال لما اصيب حمزة نرج زيد بن حارثة حتى
ا قدم ابنة حمزة وقال انا احق بها تكون عندي تجشمت السفرو هي ابنة ابي،
وقال علي انا احق بها فانها ابنة عمي وعندي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال جعفر بن ابي طالب انا احق بها في مثل قرابتك وعندي خالتها والحالة
والدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقضى بينكم في ذلك وفي غيره
قال علي لتخوفت ان يكون قد نزل فينا قرآن ارفعنا اصواتنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما انت يا زيد فولاى ومولاها فقال رضيت رسول الله
واما انت يا علي فصفي واميني وانت منى وانا منك واما انت يا جعفر فاشبهت
خلقى وخالقى وانت من شجرتى اتى انا منها وقد قضيت بالجارية تكون مع خالتها
قالوا رضينا يا رسول الله .

ظن بعض الناس ان اهل العلم تركوا هذا الحديث الصحيح في قولهم
ان الحاضنة اذا كان لها زوج غير ذى محرم من المحضون لم تكن لها حضانة وايس
كذلك بل استعملوه من حيث لم يشعر لان المحضون اذا لم تكن له من النساء
مستحقة تعود الحضانة الى العصبات فلما عادت حضانة ابنة حمزة الى عصبتها
وجعفر منهم كانت خالتها احق بها لان الحضانة ان لم تكن لها رجعت الى زوجها
فصارت الحالة في هذه الحالة بمنزلة من كان زوجها محرما من المحضون فكانت
احق بها منه .

ومنه ما روى عن ابي هريرة انه اتى في غلام بين ابوين فقال شهدت
النبي صلى الله عليه وسلم اتى بغلام بين ابوين فقال يا غلام هذه امك وهذا ابوك
فاختار، احتج به من قال بالتخير وهو مذهب اهل الحجاز الا ان في الحديث زيادة
في غير هذه الرواية قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

- ان زوجي يريد أن يحول بيني وبين ابني وكان قد طلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهما عليه فقال الرجل من يحول بيني وبين ابني فخير رسول الله صلى الله عليه وسلم الفلام بين ابيه وامه فاختر امه فذهبت به ، ففيه انه لم يخير ذلك الفلام حتى دعا ابويه الى الاسهام عليه قبل ذلك فالتخير بلا دعاء ترك لهذا الحديث كالقول بعدم التخير اصلا ومن قال بعدم التخير اكثر الكوفيين ٥ واحتجوا بحديث ابنة حمزة حيث لم يخير بين عصبتها لتختار ايهم شاءت ؟ وروى ان رجلا اسلم ولم تسلم امرأته فاخصما في ولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لما ان شعثا خير تمامه فاجلس الاب ناحية والام ناحية ثم خير الفلام فانطلق نحو امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهدم فرجع الفلام الى ابيه ، ففيه ان تخيير النبي صلى الله عليه وسلم انما كان بعد اختيار ابويه ان يخير بينهما ١٠ فوجب بتصحيح ما ذكرنا ان لا يخرج عن شيء منه ولا يتركه وان يكون المستعمل في مثل هذا دعاء الابوين الى الاسهام فان اجابا اسهم بينهما وان ابيا ثم سالا ان يخير الصبي بينهما فيختار احدهما فيكون احق به من الآخر وان لم يكن منهما اختيار وجب ان يرجع الى ما في حديث ابنة حمزة فيستعمل فيه ويقضى لمن يراه الحاكم فيه اولى ، وروى عن ابي بكر انه قضى في مثله بين عمر بن الخطاب وبين ام عاصم التي كان طلقها في ولدها فجعله لها بغير تخيير بينهما فيه الا انه يحتمل ان يكون اريد به التخير في حال مستأنفة وهو ما روى ان عمر خاصم امرأته التي طلق الى ابي بكر في ولدها فقال ابو بكر هي احق به ما لم تتزوج او يشب الصبي وقال هي احق واعطف والطف وارأف وارحم ، وقوله او يشب الصبي لا يريد به حالا يغير فيها ولكن يريد به حالا يخرج بها من الحضنة ٢٠ ويستغنى عنها فيكون لابيها دون امه وروى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليصين قوماسفع من النار عقوبة بذنوب عملوها ، الحديث ، وسيجيء بهامة في باب جواز نسبة الرجل الى الموضع انه من اهله باستيطانه اياه .

كتاب اللعان

فيه سبعة احاديث

روى عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر
 ارأيت لو وجدت مع ام رومان رجلا ما كنت صانعا به؟ قال كنت صانعا به
 • ثم ا قال فانت يا عمر قال كنت قاتله قال فانت يا سهيل بن بيضاء قال كنت
 اقول ابو قاتل لعن الله الا بعد ولعن البعدى ولعن اول الثلاثة اخبر بهذا فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم تأولت القرآن يا ابن بيضاء (والذي يرمون ازواجهم)
 الآية اما قول ابي بكر فانه مكشوف المعنى واما قول عمر كنت قاتله وترك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الانكار عليه والزجر له والمنع منه يدل على اطلاقه
 ١٠ اياه له ولم نعلم احدا من اهل الفتوى قال به فينبغي ان يكون هذا منسوخا
 اذ لا يتهمون على تركه والعمل بضده ان ثبت اجماعهم على خلافه ، وقد قال
 محمد بن سيرين في متعة الحج نهى عنها ابو بكر وعمر وعثمان وهم شهدوها وهم
 نهوا عنها فليس في رأيهم ما يرد ولا في نصيحتهم ما يهجم ، وان لم يكن اجماعا
 وكان من اهل العلم من قال به يجب اخذه ولا يوسع القول بغيره ، وفي قول
 ١٠ سهيل موضعان من الفقه .

احدهما اباحة لعن العصاة ويكون مخصوصا من عموم نهى الامة
 عن اللعن والثاني سكوتهم عن اظهار ما اطلع عليه من زوجته وترك اللعان
 معها فلا يكون قاذفا للحصنة عند الناس وان كان في الباطن بخلافها فان الله
 تعبد عباده بالظواهر واجرى الاحكام عليها وتولى السرائر ولان المقصود
 ٢٠ من اللعان الفرقة وهو قادر عليها بطلاقه اياها من غير شيء يلحقه فحمده صلى الله
 عليه وسلم واعلم بالموضع الذي اخذه منه .

ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله الولد للفراش
 • للعاهر الحجر ، ذهبت طائفة الى ان الولد المواد على فراش الرجل اذا انفاه

لا يتنى

لا يتنفي منه بلعان ولا عيا سواء وروى عن الشعبي انه قال خالفني ابراهيم
 وابن معقل وموسى في ولد الملاعنة فقالوا ان لحقه به فقلت الحق به بعد اربع
 شهادات باقه انه لمن الصادقين ثم دبر بالخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
 فكتبوا فيه الى المدينة فكتبوا ان يلحق بامه. ولا حجة لمن ذهب اليه بما في هذا
 الحديث لانه يحتمل ان يكون المراد به المدعين لاولاد اماء غيرهم كما كانوا
 يدعونهم فلما جازاهية حتى دخل الاسلام عليهم وهم على ذلك كما كان من عتبة في
 ابن امة زمعة ما كان حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول المذكور
 في هذا الاثر فاما نفي اولاد الزوجات فليس من ذلك في شيء لان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قد قضى في ذلك بالملاعنة والالحاق بامه دون الموالد على فراشه
 روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعن بين
 رجل وامرأته وفرق بينهما والحق الولد بالمرأة وان كان مالك انفرد بزيادة
 هذا الحرف من بين اصحاب نافع فهو امام حافظ ثبت في روايته يقبل ما زاد
 كما يقبل ما انفرد به وروى عن واثلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرز
 المرأة ثلاث موارث عتيقها ولقيطها والولد الذي لا عنت عليه وفيه توريثها
 اياه يعود نسبه اليها وانتفاؤه ممن لاعتته به فوق ما كانت ترث منه لو لم يلاعن
 به وفيه ما يدل على التوارث بالارحام اذا لم تكن لليت عصبة وكانت امه ذات
 سهم فورثت ما بقي من ميراثه بذلك .

ومنه عن ابن مسعود قال قام رجل في مسجد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليلة الجمعة فقال ارايت ان وجد رجل مع امرأته رجلا فان هو قتله
 قتلتموه وان هو تكلم جلدتموه وان سكت سكت على غيظ شديد اللهم احكم
 فانزلت آية اللعان قال عبد الله فابتلى به وكان رجلا من الانصار جاء الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلا عن امرأته فلما اخذت المرأة لتلعن قال لها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلما ادبرت قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمها ان
 نجى به اسود جمدا ، كان اهل العلم يختلفون في الرجل ينفي حمل امرأته فكان

بعضهم يقول يلاع عن بينه وبينها عليه كما يلاع عن بينه وبينها عليه لو كان مولودا قبل ذلك فنفاه وهو قول مالك والشافعي وقال به ابو يوسف مرة وبعضهم يقول لا يلاع بينهما عليه لانه يحتمل ان لا يكون حملا ولا فرق بين ان يولد بعده بمدة ستة اشهر او اقل وهو مذهب ابي حنيفة وقال محمد وهو قول ابي يوسف المشهور عنه ان ولدت لمدة اقل من ستة اشهر يلاع عن محتجا بما روى عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم لا عن بالحمل ، وهو حديث اصله حديث ابن مسعود المقدم وليس فيه ذكر الملاعة بحمل وانما فيه ذكر الملاعة فقط ويجوز أن يكون ملاعة بالقذف لا بالحمل ، فان قيل قوله لعلمها ان تجيء به اسود جعدا ، يدل على ان الملاعة بالحمل ، قلنا لو كان اللعان بذلك الولد لما اختلف الحكم فيه جاء اسود او خلافه اذ كان اللعان قد نفاه وليس بعد الشبه منه يحقق انه ليس منه ولا قرب الشبه به يحقق انه منه وفيه نظر اذ لا تأثير للشبه في حقوق النسب ولا في سقوطه كان اللعان بالقذف او بالحمل .

ومنه ، ما روى عن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لي عهد يا هبلى منذ عرفنا النخل فوجدت مع امرأتى اظنه حملا وزوجها مصفر حمش سبط الشعر والذي رميت به الى السواد جعد قطط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بين ثم لا عن بينهما فجاءت به شبه الذي رميت به ، لا دليل فيه ايضا على ان اللعان كان بذلك الولد او بالقذف دونه وكذلك ما روى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عن بين العجلا في وزوجته وكانت حبلى فقال زوجها والله ما قربتها منذ عرفنا النخل ، والعفر أن تسقى بعد أن تترك من السقى بعد الاربعة شهرين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بين فزعوا ان زوج المرأة كان حمش الذراعين والساقين اصهب الشعر وكان الذي رميت به ابن السجاء فجاءت بسلام اسود رجل جعد قطط عبل الذراعين خذل الساقين ، قال القاسم قال ابن شداد بن الهادي يا ابن عباس هي التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت راجعا امرأة بغير بينة لرجمتها ،

- فقال ابن عباس لا ولكن تلك امرأة كانت قد أعلنت في الاسلام ، ليس فيه ايضا ذكر الملاعة بحمل ولا غيره فهو كما قبله من الاحاديث ، ومنه ، عن ابن عباس ذكر التلا عن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم بن عدى في ذلك قولاً ثم انصرف فاتاه رجل من قومه يشكو اليه انه وجد مع امرأة رجلاً فقال عاصم ما ابتليت بهذا الا بقولي فذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ فاخبره بالذي وجد عليه امرأة وكان ذلك الرجل مصفراً قليل اللحم سبط الشعر وكان الذي ادعى عليه انه وجد عند اهله آدم كثير اللحم خدلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بين فوضعت شبها بالرجل الذي ذكر زوجها انه وجد عند هاهنا فلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال رجل لابن عباس في المجلس هي التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠ لورجعت احداً بغيرينة لرجعت هذه ، فقال ابن عباس لا تلك امرأة كانت تظهر السوء في الاسلام ، فيه ملاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذينك الزوجين بعد وضع الحمل فانتهى بذلك ان تكون فيه حجة لمن يوجب اللعان بالحمل وكان القول في الحمل اذا نفي ان لا اعان به حتى يوضع لما يعلم انه كان محمولاً به حين نفي ثم يكون اللعان به بعد ذلك كما قال ابو يوسف ومحمد . ١٥

- ومنه ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلاً من الانصار من بني زريق قذف امرأته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد ذلك اربع مرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلت آية الملاعة فقال اين السائل ؟ انه قد نزل من الله امر عظيم فابى الرجل الا ان يلاعنها وابت هي الا ان تدراً عن نفسها العذاب فتلاعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هي تجيء به اصفر ٢٠ احيمش مسبول العظام فهو للآل عن واما تجيء به اسود كالجمل الاورق فهو انيعة فجاهت به اسود كالجمل الاورق فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله اعصبة امه فقال لولا الايمان التي مضت لكان لي فيه كذا وكذا فهذا الحديث كالذي مضى قبله ليس فيه انه كان اللعان بالقذف او بالحمل وفيه جعل المولود

لعصبة امه وهى قرينة اللعان بالولد فلهذا اختلف فيه عبد الله بن عمر وابن عباس فقال احدهما كان قبل وضع امه اياه وقال الآخر كان بعد وضعها اياه وهذا اولى القولين. واحتج من اثبت اللعان بنفى الحمل قبل وضعه بقوله تعالى (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضمن حملهن) فكما تستحق المبانة النفقة لان يفتدى به ولده في بطنها كذلك تستحق ان تلاعنه اياه قبل وضعها اذ انفاه. وجوابه ان وجوب النفقة للمبانة ليس لاغتذاء الولد بل للاعتداد ولهذا تجب عند بعض وان لم تكن حاملا وكان ينفى ان تسقط النفقة اذا كان الحمل موسرا بان ورث مالا من مخ له مات وامه حامل به آذ لا تجب نفقة على والد في ابن له موسر وانما المراد بقوله حتى يضمن حملهن بيان نهاية الاتفاق لا غير ويدل عليه قوله فانفقوا عليهن دون فانفقوا على ما هن به حوامل. واحتج ايضا بالسنة الثابتة في قضائه صلى الله عليه وسلم في دية شبه العمد بالخلفات التي في بطونها اولادها فلو كان الحمل غير مدركا لصح القضاء بذلك ولا حجة في ذلك لان الحكم بناؤه على الظاهر ويحتمل ان لا يكون كذلك لكنه اذا كن حوامل كما ظهر منهن مضى ذلك وان تبين خلافه يجب ردهن والمطالبة بحوامل وكذلك بنات آدم لا يمكن تحقيق الأمر فيهن الا بنقلة الظن وقد يخطئ، يؤيده لو حلف ان كانت امرأته حاملا فعنده حي وكان الظاهر حملها ثم مات ابو العبد قبل ان تضع لا يحكم له بميراثه اتفاقا اذ قد لا يكون حمل فلا يعتق فلا يرث وفيما ذكرنا ما ينفي ان تبقى للحتج حجة فيما ذكر ونحالفه لا يقول بوجوب النفقة للمبانة الاسبب العدة مطلقا ولا يقول بوجوب الخلفات في دية شبه العمد فقد ظاهمه فيما احتج به عليه من ذلك فلا يلزمه ما ازمه عليه والصحيح في مسئلة نفى الحمل ما روى عن محمد بن وافقه عليه ابو يوسف. وقيل الفرق عند من لا يرى ملاعنة الحامل قبل وضعه ويوجب النفقة قبل وضعه بسبب الحمل ان اللعان اذا مضى لا يقدر على رده والاتفاق يقدر على استرجاعه، وروى عن مالك انه لا يحكم

للإبانة بالنفقة حتى تضع حملها ثم يحكم بنفقة ما مضى . وهو على قياس الملاعنة في أنها لا تكون إلا بعد وضعه إلا أنه مخالف لظاهر قوله تعالى (وان كن اولات حمل فأنفقوا عليهن) الآية .

ومنه ما روى عن سهل الساعدي ان عويمر العجلاني جاء الى عاصم ابن عدى فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله أتقتلونه به؟ سل يا عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاء عاصم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة وعابها فقال عويمر والله لا آتين النبي صلى الله عليه وسلم بخاء وقد انزل الله تعالى خلاف قول عاصم فقال صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيكم قرآنا فدعاها فتقدما فتلاعنا ثم قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها ففارقها وما امر بفراقها بخرت سنة في الثلاثين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به احمر قصيرا مثل وحررة فلا أراه الا وقد كذب عليها وان جاءت به اسحم اعين ذا اليتين فلا احسبه الا قد صدق عليها بخاءت به على الامر المكروه، قوله ان جاءت به كذا فكذا وان جاءت به كذا فكذا يدل على انه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم تحقيق لاثبات نسب بشبهه ولا لنفيه بضده من الشبه وان ذلك انما كان على ما يقع في القلوب في مثل هذا المعنى وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث التي ذكرناها ان جاءت به كذا فهو لفلان وان جاءت به كذا فهو لفلان يعارضه حديث سهل هذا وهو اولى لان فيه زيادة حفظها سهل وقصر واعنها وفي ذلك ما يدل على انه لم يكن فيه اثبات نسب ولا نفيه .

ومنه ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عن بين اخوى بنى العجلان ثم قال : الله يعلم ان احدا كما كاذب لاسبيل لك عليها فقال مهرى الذي دفعته اليها فقال صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا عليها فهو بما استحللت من فرجها وان كنت كاذبا عليها فهو ابعد لك منه . قال الشافعي في قوله لاسبيل لك عليها دليل على انه لا يجوز له ان يزوجها

ابدا وهي مختلف فيها فقال مثل قوله مالك وابو يوسف وقال ابو حنيفة ومحمد انه لا يتر وجهها ما كان مقيما على قوله ومتى رجع عنه واكذب نفسه فهد لذلك جازله ان يتر وجهها ولا حجة في قوله لا سبيل لك عليها لانه انما قاله جوابا له في طلبه منها المهر الذي دفعه اليها .

قال الطحاوي وكان سعيد بن جبير الذي عليه مدار الحديث يقول
 اذا لعن الرجل امرأته وفرق بينهما ثم اكذب نفسه ردت اليه امرأته ما كانت
 في العدة، ومذهب الشافعي ان تأويل الراوى هو المعتبر كما استدلل في الفرقة
 بعد البيع على مراد النبي صلى الله عليه وسلم بتأويل ابن عمر بانه كان يفعله وجعل
 قول ابن عمر فيما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد، ان
 ذلك في الاموال حجة له في ذلك حتى لا يكون حجة عنده الا في الاموال خاصة،
 وفيه نظر لان الشافعي قاله في الصحابة وقد احتج بعض من ذهب الى ان
 المتلاعنين لا يجتمعان ابدا بقول الزهري، عقيب وسعيد بن جبير (١) تابعي روايته
 عن سهل حضور ملاعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الزوجين فضبت السنة
 انهما اذا تلاعا فارق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا، ولا حجة فيه اذ يجوز أنه اراد
 مادام الملاعن على قذفه ولم يكذب نفسه يدل عليه انه قد روى عنه ان المتلاعنين
 لا يتراجعان ابدا الا ان يكذب نفسه فيجلد الحد ويظهر براءتها فلا جناح
 عليهما ان يتراجعا وقاله قبله سعيد بن المسيب روى عنه انه قال ان الملاعن اذا
 اكذب نفسه ردت امرأته يريد بتر ويح جديد وهو قول ابراهيم ان ضرب
 بعد ذلك يعنى الملاعن فهو خاطب من الخطاب يتر وجهها ان شاء وشاءت،
 وما روى عن عمرو ابن مسعود ان المتلاعنين لا يجتمعان ابدا محمول على ما اذا
 كان باقيا على دعواه ولم يرجع وهذا القول اولى لان العلة الموجبة لللعان
 الموجب للفرقة ثبوت الزوج على مقاله بدليل انه لو رجع عنه قبل اللعان فهد
 لم تكن فرقة فلذلك اذا رجع بعد اللعان زال حكم اللعان الموجب للفرقة بزوال
 العلة ووسعهما الاجتماع .

كتاب البيوع

وفيه ثلاثة ثلاثون حديثا

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحلال بين والحرام بين
 وبينهما أمور مشتهيات ، في بعض الروايات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى
 الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
 يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها إلا وإن لكل ملك حمى إلا وإن حمى الله
 محارمه ، لما جعل الله تعالى بعض الشرائع في كتابه وعلى لسان رسوله بينة
 لم يختلف أهل العلم فيها وبعضها متشابهة اختلف فيها كان الورع ترك التشابه
 فن التشابه في الكتاب قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
 من الخيط الأسود من الفجر) ، وقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
 جزاء بما كسبا) وما أشبه ذلك مما اختلف أهل العلم فيه كالجمع بين الاختين بملك
 اليمين . وفي السنة قوله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، وافطر
 الحاجم والمحجوم ولا ينبغي للحكام فيما هذا سبيله من الأحكام التوقف عن
 الحكم فيه بل المفترض امضاء ما رأوه بعد الاجتهاد فإن اصاب فله اجران وإن
 اخطأ فله اجر واحد ويزجع المحكوم لهم فيها إلى المعنى الذي كانوا عليه قبل
 الحكم من التورع عن الدخول فيها والاقدام عليها مثال ذلك قول الرجل
 لامرأته افت على حرام فقات طائفة هي ثلاث تطليقات ومنهم من قال إنها يمين
 وهو مول وقيل انه ظهار وقيل انها تطليقة بائنة الا اذا عني ثلاثا وقيل انها
 رجعية الا اذا نوى ثلاثا فن يل بمثل هذا من يرى الحرمة بقول من هذه
 الاقوال ثم خوصهم إلى حاكم لا يرى حرمتها عليه ويرى بقاءها عليه ففرض له
 بذلك فقيه اختلاف فمنهم من يقول له استعمال ذلك وترك رأيه وهو قول عهد
 ابن الحسن ومنهم من يقول يأخذ برأيه ويترك ذلك الحكم اذا كان الحكم
 له لا عليه وهو قول أبي يوسف أيضا وهو أولى القولين بالحق .

في التجار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فليل يارسول الله اليس الله قد اهل البيع و حرم الربا؟ قال بلى ولكنهم يخلفون ويأثمون ويخلفون فيكذبون، اطلاق القول بانهم فجار لما كان الغالب عليهم ذلك فلم يكن العموم مراداً والعرب قد تطلق على الجماعة مدحاً او ذماً والمراد به بعضهم قال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) وقال (وكذب به قومك) وخاطبهم صلى الله عليه وسلم على لغتهم يدل عليه ما روى عن قيس بن ابي غرزة: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالسوق نبيع ونحن نسمى السامسة فسأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم احسن مما سمينا به انفسنا فقال يا معشر التجار يخاطب ببيعكم حلف ولغو فشوبوه بصدقة او بشيء من صدقة. وبين المقصود بالفجار من التجار في حديث رفاعه بن رافع قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النقيع فقال يا معشر التجار احثي اشراؤا له (١) فقال ان التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وصدق وبر.

في المكيال والميزان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اوزن ووزن اهل مكة والمكيال مكيال اهل المدينة ومكة ارض متجرايس فيها زرع ولا ثمر تباع الامتعة فيها بالاثمان الا ترى الى قول ابراهيم بواد غير ذى زرع بخلاف المدينة فانها دار نخل وزرع فكانت جل تجاراتهم في المكيال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الامصار كلها اتباعاً لهذين المصرين فيما يحتاجون اليه من الكيل والوزن ولما كانت السنة منعت من اسلام الموزون في الموزون والمكيل في المكيل واجازت عكسهما ومنعت من بيع الموزون بالموزون الامثلاً بمثل كان الاصل

(١) في القاموس - اشراؤا اليه - مدّ عنقه لينظر -

في الموزون ما كان يوزن حيثئذ بمكة وفي المكيل ما كان يكال حيثئذ بالمدينة لا يتغير عن ذلك بمغير ومن هذا اخذ ابو حنيفة ان ما لزمه اسم مختوم او اسم قفيز او مكوك او مد او صاع فهو كيلي تجري فيه احكام الكيل في جميع ما وصفنا وما لزمه اسم الرطل والوقية فهو وزني كذلك .

في اقتضاء النقدين

عن ابن عمر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجرة حفصة فقلت يا رسول الله رويك استلك اني ابيع الابل بالنقيع فايبيع بالدينارين وآخذ الدراهم وابع بالدرهم وآخذ الدينارين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ذلك من صرف يومكما واقرتما وليس بينكما شيء فلا بأس به، وقال بعض الرواة لا بأس اذا اخذت بسمريومك . قوله بصرف يومكما او بسمريومكما ١٠ ليس بشرط في صحة البيع يعني المصارفة وانما امر بها لمضم صاحبها في ذلك اذ لا خلاف ان البيع يجوز بسمريومها وباكثر وباقل فالامر ندب لا وجوب .

في ما يدخل فيه الربا

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خير فجاهه بتمر جنيب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل تمر خير هكذا؟ فقال لا ١٥ والله يا رسول الله انا لئن أخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوه فلا تفعل بيع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا، وقال في الميزان مثل ذلك ففيه رد رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الميزان في دخول الربا في الاشياء الموزونة كدخولها في الاكيل ولم يقصد في ذلك الى ما كول ومشروب دون ما سواها مما لا يؤكل ٢٠ ولا يشرب فكان ظاهر ذلك يوجب صحة قول من قال لا يجوز بيع الحديد بالحديد الامثلا بمثل وزنا بوزن لانها موزونة كالذهب والفضة في دخول الربا اياها وكالمكيلات من التمر والحنطة والشعير في دخول الربا

ياها كما يقوله ابو حنيفة واصحابه بخلاف من قال ان ذلك يقتصر على المطعوم
 وهم اهل المدينة محتجين بقول سعيد بن المسيب لاربا الالف ذهب او فضة او نيا
 يكال وبوزن مما يؤكل او يشرب ومخالفه ترك قواه معتمدا على قول عمار بن
 ياسر لان قوله اعلى من قول سعيد وهو قوله العبد خير من العبدین والامة
 خير من الامتين والبعير خير من البعيرين والثور خير من الثورين ، فاكان
 ٥ يدا بيد فلا بأس به انما الربا في النسيء الا فيما كيل او وزن ولما كان اوكد الاشياء
 في دخول الربا عليها الذهب والفضة وايضا بما كواين وليس بمشرويين عقلا بذلك
 ان العلة التي بها دخول الربا هي الوزن فيها يوزن والكيل فيما يكال مطعوما
 ما كان او لم يكن ، ومنه ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل
 ١٠ فمن زاد او ازداد فهو ربا الا ما اختلف الوانه ، يعني انواعه من الاجناس
 المختلفة لأنه لا خلاف ان الاسود من التمر وغيره منه جنس واحد لا يباع
 باللون الآخر منه الا مماثلة دل عليه قول ابن عمر ما اختلفت الوانه من الطعام
 فلا بأس به يدا بيد التمر بالبر والزبيب بالشعير ، وكرهه نسيئة وعلى ذلك كلام
 ١٥ الناس جاء فلان بالوان من الطعام يعني بانواع منه وكلنا فلان بالوان من
 الكلام اي بانواع منه .

في بيع الرطب بالتمر

روى عن مالك بن انس واسامة بن زيد عن عبد الله بن يزيد مولى
 الاسود بن سفيان ان زيدا ابا عياش اخبره انه سأل سعدا عن السلت بالبيضاء
 ٢٠ فقال سعد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عن الرطب بالتمر فقال
 أينقص الرطب اذا جف ؟ فقالوا نعم قال نعم اذا وكرهه ، لم يختلف على مالك
 في هذا الحديث الا ما قاله احد الرواة عنه في ابي عياش انه مولى سعد بن ابي
 وقاص واما اسامة بن زيد فاختلف عنه فروى عنه عن عبد الله بن يزيد عن ابي

- سلمة بن عبد الرحمن عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه اسامة عن عبد الله بن يزيد عن ابي عياش الزرقى عن سعد وهذا محال لان ابا عياش الزرقى من جلة الاصحاب لم يدركه عبد الله بن يزيد وانما يروى عن ابي سلمة وامثاله وقد روى ايضا عن عبد الله بن يزيد عن زيد مولى عياش عن سعد بن مالك وزيد مولى عياش هذا لا يعرف وقد روى ايضا عن عبد الله بن يزيد عن زيد بن ابي عياش عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الرطب بالتمر نسيئة، وقد روى ايضا عن مولى لبنى مخزوم انه سأل سعد بن ابي وقاص عن الرجل يسلف الرجل الرطب بالتمر الى اجل فقال سعد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا، فبان فساد هذا الحديث في اسناده وامتدته وانه لاحجة على من خالفه من ابي حنيفة ومن تابعه على خلافه فيه وكان ١٠ اقياس ايضا بوجبه لان السنة قد اجازت بيع الرطب بالرطب مثلاً بمثل ولم ينظر الى حالة الحفاف فكذلك الرطب بالتمر لا ينظر الى حالة الحفاف من النقصان عن الثمر المبيع به واجازت السنة بيع التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير مثلاً بمثل وهذه الاشياء مما تتغير بالحفاف والنقصان ايضا فلم ينظر الى ذلك وينظر الى احوالها التي تكون عليها يوم البيع فثله الرطب بالتمر مع ان في فساد ١٥ الاصل الذي يتعلق به من ذهب اليه ما يقطع حجته به ولكننا وكدناه بما ذكرنا من القياس .

في بيع قلادة فيها ذهب

- عن فضالة بن عبيد قال اشتريت يوم خيبر قلادة فيها ذهب وخرز ٢٠ بامني عشر ديناراً ففصلتها فاذا الذهب اكثر من اثني عشر ديناراً فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تباع حتى تفصل، مجمل النهي عدم العلم بمقدار الذهب التي فيها قبل التفصيل فلو كان معلوماً قبل التفصيل بشئ ان يجوز، وفي الحديث ما يدل عليه وهو أن القلادة كانت من المغانم وهي انما تقسم بين اهلها على ما يجوز عليه لاعلى ما لا يجوز، والحديث مضطرب فيه، فروى

عن فضالة قال اصبحت يوم خيبر قلادة فيها ذهب وخرز فاودت ان ابيعها فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال افصل بعضها من بعض ثم بعها
كيف شئت .

وروى عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر بقلادة فيها

- ٥ خرز معلقة بذهب ابتاعها رجل بسبع او تسع فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك له فقال لاحق تميز ما بينهما فقال انما اردت الحجارة فقال لاحق تميز ما
بينهما فرده ، وروى عنه انه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر
بقلادة فيها ذهب وخرز وهي من المغانم تباع فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالذهب الذي في القلادة فنزع وحده ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالذهب بالذهب وزنا بوزن وهذا الحديث ليس مما قبله من الاحاديث
في شيء لان اتي قبله في بعضها امر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تباع حتى تفصل
وفي بعضها انه رد البيع بعد وقوعه مع ما في جميعها من الدليل على جواز القسمة
التي حكمها حكم البيع من غير تفصيل والذي في هذا الحديث تفصيل من غير بيع
تقدم فيها واعلام بان الذهب وزنا بوزن وقد روى عن حنشل انه قال كنا مع
فضالة في غزوة فصارت لي ولاصحابي قلادة فيها ذهب وورق وجوهر فاردت
١٥ ان اشتريها فقام فضالة فقال انزع ذهبها فاجعله في الكفة واجعل ذهبها في الكفة
ثم لا تأخذن الا مثلاً بمثل ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأخذن الا مثلاً بمثل ، فذكر عن فضالة
ما هو مذكور فيما قبله من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولما وقع فيه
اضطراب كان المعنى المقصود منه هو ما اختلف فيه العلماء من بيع الذهب
٢٠ وغيره في صفقة واحدة فقال طائفة منهم ان كان ذلك الذهب الثمن اكثر من
الذهب الذي في القلادة صح البيع وكان الذهب بمثله والزائد بمقابلة الخرز
والورق وان كان الذهب الثمن مثل ما في القلادة او اقل او لا يدري ما وزنه
فالبيع فاسد وهو ما ذهب اليه حنيفة واصحابه ، وطائفة منهم يقول لا يجوز ذلك

- البيع أصلاً لأن الذهب الثمن يكون مقسوماً على الذهب والخرز اللذين في القلادة على قدر قيمتهما فيكون الذهب المبيع في تلك الصفقة مبيعاً بما أصابه على قسمة الثمن من الذهب المتباع به فلا يجوز، ومن يقول به الشافعي وجعل أهل هذا القول الذهب والشيء المبيع معه كالأعرضين اللذين من غير الذهب إذا بيعا بذهب صفقة واحدة أنه يكون كل واحد منهما مبيعاً بما أصابه من القسمة على قيمته وعلى قيمة الشيء المبيع معه، وكان الآخرون يذهبون إلى أن القسمة على القيم لا تستعمل في هذا وإنما تستعمل في غير الذهب المبيعة بالذهب وفي غير الفضة المبيعة بالفضة في غير الأشياء المكيلات المبيعات باجتماعها وفي غير الأشياء الموزونات المبيعات بأمثالها فيستعملون في ذلك الأمثال المستعملة فيها ولا يستعملون في ذلك القيم التي ذكرنا محتجين في ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مما دلهم على ذلك من تحريم التفاضل في بيع الذهب بالذهب والورق بالورق والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح ونخرج الآثار بذلك بأسانيدها، ففي هذه الآثار إباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيع الذهب بالذهب مثلاً بثل وقد يكون الذهب يتفاضل فيكون ديناراً إن أحدهما أعلى من الآخر يباعان بدينارين مستويين فظاهر آثار النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرنا تطلق ذلك لأن ذلك لو كان مما يختلف لاختلاف الدينارين ليس ذلك للناس حتى يعلموا أنه أراد بما أطلق غيرهما ولا سبيل لأحد أن يأتي إلى ما أحله رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم واحد فيستعمل فيه تفريق الأحكام وضرب الأمثال وكذلك التمر فقد أباح بعضه ببعض مثلاً بمثل يدأيد ولم يخاف في ذلك بين تمرين متفاضلين يباع بتمر مساوٍ وقد وجدنا التمر في نفسه موجوداً فيه الاختلاف والتباين حتى تكون فيه التمرة العالية في مقدارها وتكون فيه التمرة المقصرة عن ذلك فإذا بيع التمر بمثله من التمر وكان هذا موجوداً فيه ولا تمنع منه السنة لتباينه في نفسه ولا اختلافه في قيمته كان ذلك لا يراعى بقسمة الثمن عليه إذا بيع بجنسه وكان البيع فيه جائزاً دل ذلك

انه قد خولف في ذلك بين الاشياء المكيلات وبين الاشياء الموزونات
 المبيعات بما مثلها فلم تستعمل فيها القيم واستعمل فيها التساوى فيما هي عليه من
 كيل او وزن فاجيز مع ذلك وابطل اذا كان خلاف ذلك وقد روى
 عن ابن عباس قال بيع التمر في رؤس النخل اذا كان فيه غيره دراهم
 او دنانير لا بأس به ، ووجه ذلك انه جعل التمر المبيع في رؤس النخل مبيعا
 بمثله من التمر الذي بيع به ولوراعى في ذلك استعمال قسمة الثمن على القيم
 لما جوز هذا البيع وفي تجوزها اياه ما قد دل على انه لم يستعمل قسمة الثمن على
 القيم كما يستعملها في بيع العرضين اللذين بخلاف ذلك واذا كان كذلك فيما ذكرنا
 كان مثله في الذهبين المتفاضلين المبيعين بذهب مسا ولا يراعى فيه قسمة الثمن
 على القيم ولكن يراعى فيه التساوى في الوزن لا ما سواه .

لا يقال ما ذكر عن ابن عباس مستحيل لانه يجوز التفاضل بين الفضتين
 يد ابيد محتجا بما روى عن اسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الربا
 في النسيئة ، لانا نقول ان ابن عباس قد نزع عن ذلك الى قول غيره روى
 عن عطاء عن ابي سعيد قال قلت لابن عباس ارأيت الذي تقول الدينار ان
 بالدينار والدرهم بالدرهم اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما فقال ابن عباس انت سمعت
 هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت نعم قال انى لم اسمع هذا انما اخبرني
 اسامة قال ابو سعيد نزع عنه ابن عباس .

فان قلت كيف ساغ لابن عباس ترك ما حدثه اسامة وموضعه من
 الاسلام موضعه الى ما حدثه غيره مما يجوز أن يكون ما حدثه اسامة ناسخا له ،
 قالت الربا الذي حرمه القرآن وجاء فيه الوعيد عليه هو الربا في النسيئة وهو
 ما كانوا يتاعون من الآجال في الاموال بالاموال وكان ذلك ربا النسيئة في
 المكيلات والموزونات فوقف ابن عباس على ان الذي حدثه ابو سعيد كان
 في ربا غير ربا النسيئة بل في الربا الفضل فصار اليه وترك ما كان عليه قبل ذلك .

في الربا مع اهل الحرب

- روى عن انس بن مالك ان الحجاج بن علاط السلمي قال يا رسول الله ان لي بمكة اهلا وما لا و قد اردت اتيانهم فان اذنت لي ان اقول فيك فعلت فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما شاء فلما قدم مكة قال لامرأته ان اصحاب عهد قد استبيحوا وانما جئت لآخذ مالي فاشتري من غنائمهم وفشا ذلك في اهل مكة فبلغ ذلك العباس يعني ابن عبد المطلب بعرفة فاختنى من كان فيها من المسلمين واطهر المشركون الفرخ بذلك فكان العباس لا يمر بمجلس من مجالسهم الا قالوا يا ابا الفضل لا يسؤك الله قال فبعث غلاما له الى الحجاج بن علاط فقال وبلك وما الذي جئت به فالذى وعد الله ورسوله خير مما جئت به فقال الحجاج لغلامه اقرأ على ابي الفضل السلام وقل له ليخجل بي في بعض بيوته فان الخبر ما يسره فلما اتاه الغلام فاخبره به قام اليه فقبل ما بين عينيه واعتقه ثم اتاه الحجاج وقال له ان الله عز وجل تدفع لرسوله خيبر وجرت فيها سهام المسلمين واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه واني استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقول فيه ما شئت وان لي بمكة ما لا آخذه فاذن لي ان اقول فيه ما شئت فاكتبتم على ثلاثا ثم قل ما بدالك ثم اتى الحجاج اهله فاخذ ما له ثم انشمر الى المدينة قال ثم ان العباس اتى منزل الحجاج الى امرأته فكان العباس يمر بمجالس قريش فيقولون له يا ابا الفضل لا يسوءك الله فيقول لا يسؤني الله قد فتح الله على رسوله خيبر وجرت فيها سهام المسلمين واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه اخبرني الحجاج بذلك وسألتني ان اكتبتم عليه ثلاثا حتى يأخذ ما له عند اهله قال ثم اتى امرأته فقال لها ان كان لك الى زوجك حاجة فالحق به واخبرها بالذي اخبره به الحجاج بفتح خيبر فقالت امرأته اظنك صادق قال فرجع ما كان بالمسلمين من كآبة على المشركين وظهر من كان اختنى من المسلمين من المواضع التي كانوا فيها ، ففقه ان العباس كان مسلما يؤمئذ لا قراره بالرسالة فيه للنبي صلى الله عليه

وسلم وكان الربا يومئذ حراما بدليل حديث فضالة الذي تقدم مخبر مع
بقاء العباس بمكة الى الفتح يعمل بالربا بدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في خطبة يوم عرفة في حجة الوداع وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه
ربا العباس بن عبد المطلب فعلم ان الربا بين المسلمين والمشركون في دار الحرب
جائز على ما يقوله ابو خنيفة والثوري وابراهيم النخعي قبلهما لان قوله
صلى الله عليه وسلم ربا الجاهلية موضوع دليل على انه كان قائما الى ان ذهبت
الجاهلية بفتح مكة وقوله واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب قد دل
على ان ربا كان قائما الى ذلك الوقت اعني وقت فتح مكة لانه لا يوضع الا
ما كان قائما لاما قد كان سقط وقد كان اسلم قبل ذلك على ما دل عليه حديث
الحجاج انه كان مسلما حين فتح خيبر في سنة سبع من الهجرة وفتح مكة في
السنة الثامنة منها وحجة الوداع في التاسعة منها وهذا استدلال صحيح لان
العباس اسلم قبل الفتح بمدة فلو كان الربا حراما عليه بمكة لامر بالرد الى
اربابها قال تعالى (وان تبتم فلكم رؤس اموالكم) الآية ويؤيده ما روى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قسم قسم في الجاهلية فهو على قسم الجاهلية
وكل قسم ادركه الاسلام فهو على قسم الاسلام لان فيه ما يوجب ان القسمة
بمكة ميراث لو وقعت تمضي على حكم الجاهلية وان كانت مخالفة لقسم
الاسلام فكذلك حكم الربا الذي كان بين المشركين والمسلمين جائزا عندهم
غير جائز عند المسلمين وما يدل على ان حكم الربا لم يتعد الى دار الحرب انه
لو تعدى اليها لوجب ان يكون موضوعا على كل حال كان اصله قبل تحريم
الربا او بعده كما يكون موضوعا في دار الاسلام كان اصله قبل تحريم الربا
او بعده لانه وان كان اصله قبل تحريم الربا بطل بتحريمه وان كان بعده
فهو باطل فلما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه وضعه يوم الفتح دل على انه
لم يكن موضوعا قبل وان التحريم لم يالحقه ولا تعدى اليه .

فان قيل قد اخذ الفداء من عباس يوم بدر فكيف كان مسلما قلنا

ان يوم بدر قبل يوم خيبر وانما اسلم بنده وما يدل عليه حديث انس عن
الحجاج بن علاط وحكى محمد بن اسحاق ان العباس اعتذر الى النبي صلى الله
عليه وسلم لما امره ان يفدى نفسه بانه كان مسلماً وانه انما خرج لقتاله مكرها
فقال صلى الله عليه وسلم اما ظاهر امرك فقد كان علينا فاقد نفسك ففدى نفسه
وبقى بعد ذلك بمكة فعلى هذا يكون مسلماً قبل بدر وعلى حديث الحجاج تقدم
اسلامه خيبر وكلا القولين اوجب اقامته بمكة وهى دار حرب مسلماً وله
بها ربا قائم وهو محرم بين المسلمين فى دار الهجرة

فى الوضیعة على تعجيل الحق

روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بانحراج بنى
النضير جاءه اناس منهم فقالوا يا نبي الله انك امرت باخراجنا ولنا على الناس
ديون لم تحل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعوا وتعجلوا ، بنو النضير هم
اشراف اليهود وكانوا يزلون المدينة ونساء الانصار فى الجاهلية اذا اردن
تهويد ابنا ثم يهودنهم فيهم كما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لا اكراه
فى الدين) قال كانت المرأة تحلف ابن عاشر لها ولد يهودنه فلما اجليت بنو
النضير اذا فيهم ناس من ابناء الانصار فقالت الانصار يا رسول الله ابناؤنا
فانزل الله (لا اكراه فى الدين) الآية يعنى فمن شاء لحق بهم ومن شاء دخل
فى الاسلام وهم خلاف يهود خيبر الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاملهم عليها بسطر ما يخرج نخلها وارضها واقاموا على ذلك حتى اجلاهم عمر .
فاختلف اهل العلم فى اطلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع
بعض الديون الآجلة وتعجيل بعضها فعند ابن عباس وزفر وأحد قولى الشافعى
جاز ذلك وكرهه بعضهم ، منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وهو مذهب ابى
حنيفة ومالك وابى يوسف ومحمد لأنه يجوز أن يكون ذلك قبل تحريم الربا
فلما حرم الربا حرمت اسبابه ثم الوضع ان كان بشرط التعجيل فواضح انه
كالربا المحرم اذ فى الجاهلية كان من عليه الدين العاجل يدفع الى رب الدين من

ماله على ان يؤخره الى اجل يذكرونه فمثل ذلك في المعنى وضع البعض للتعجيل
الباقى وان لم يكن التعجيل مشروطا ولكنه على وضع مرجوله التعجيل
فهو مكروه غير محكوم بابطاله كما يكره القرض الذي يجر منفعة ولا يحكم
باطاله .

في النهى عن الثنيا وبيع الغرر والحصا

وروى ابو الزبير وسعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة - قال احدها والمعاملة وقال
الآخر عن السنين - ونهى عن الثنيا قال ورخص في العرايا ، معنى النهى عن بيع
الثنيا يريد الثنيا المجهولة بدليل ما روى عن عطاء عن جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن بيع الثنيا حتى يعلم ، وروى عن ابى هريرة قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر وعن بيع الحصة ، بيع الحصة كان من بيع
الجاهلية التي يتعاقدونها فكان احدهم اذا اراد ملك ثوب صاحبه بعوض القى
عليه حصة او حجر افا استحقه بذلك عليه ولم يستطع رب الثوب منعه من ذلك
فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورد البيع الى اختيار المتبايعين عند
نزول قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل) فرد الامر الى
رضا اصحابها في بيعها وامساكها وان خلاه اكل المال بالباطل .

في بيع الطعام قبل قبضه

روى عن عبد الله بن عمر قال رأيت الناس يضربون على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اشتروا الطعام جزا افا ان يبيعوه حتى يؤدوه الى رحالهم .
٢٠ ما حاوله اليه من الاماكن رحال للذين حاولوه اليها يبين ذلك ما روى عنه انه قال
كما نتلقى الركبان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشتري منهم الطعام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوه حتى تستوفوه وتنقلوه ، وما روى
عنه انه قال كما نتلقى الركبان فنشتري منهم الطعام جزا افا فنحننا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يبيعه حتى يحولها من مكانه وينقله، وما روى عنه انه قال كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبعث عليهم من يمنعهم ان يبيعوه حيث اشتروه حتى يبلغوه حيث يبيعون الطعام، قد يحتمل ان يكون الموضع التي كانوا يحولونها إليها موطن لبيع الطعام، بين ذلك ما روى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث رجالا يمنعون أصحاب الطعام ان يبيعوه حيث يشترونه حتى ينقلوه الى مكان آخر، وما روى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تباع السلع حيث تشتري حتى يحوزها الذي اشتراها الى رحله وان كان ليبعث رجالا فيضربوننا على ذلك.

- وروى عن ابن عمر ما ظاهره خلاف هذا وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى طعاما فلا يبيعه حتى يستوفيه، أي حتى يستوفي كيله ان كان مكىلا او وزنه ان كان موزونا او عدده ان كان معدودا وهو في ذلك يحول له من موضع الى موضع مثل ما اشترى جزا ف اريد فيه تحويله من موضع الى موضع حتى يحل بيعه بعد ذلك فليس بخلاف لما تقدم، وقد روى عن عبد الله بن عمر أنه قال ابتعت زيتا بالسوق فقام الى رجل فأربحنى حتى رضيت فلما أخذت بيده لأضرب عليها أخذ بذراعى رجل من خلفي و أمسك يدي فالتفت فاذا زيد بن ثابت فقال لا تبعه حتى تحوزه الى بيتك فإن النبي صلى الله عليه وسلم نها ان يباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار الى رحلهم . وثبت بتصحيح هذه الآثار ان لا يباع ما ابتاع مجازفة حتى يحول من المكان الذي ابتاع فيه الى مكان سواه، وهكذا كان الشافعي يذهب إليه في هذا المعنى . وفيما ذكرنا من ذلك ما قد دل على ان ما لا يحتمل النقل من مكان الى مكان كالدور والا رضين يجوز بيعها بعد ابتياعها بغير قبض لها لانها لا يتهى فيها المعنى الذي يتهى في غيرها من النقل الذي يقوم مقام الكيل فيما يكال وهكذا كان مذهب ابي حنيفة في الدور والا رضين المتباعدة قبل قبضها من باعها،

ويحتمل ان يكون ابن عمر انما اراد ان يبيع الزيت قبل ان يحوزه بالربح الذي اربح فيه لانه تأول ان الزيت ليس من الطعام اذ حكمه حكم الائتدام به لا الأكل له وكان مذهبه اجازة بيع ما اشترى قبل قبضه من غير الطعام فلم يبيعه لذلك قبل قبضه اياه بأسا حتى حدثه زيد بن ثابت بما حدثه به فعلم انه كالطعام المأكول المشتري لا كالأشياء المبيعة سوى ذلك فأنهى الى ما حدثه زيد فيه .

ومنه ما روى عن ابي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام حتى يجرى فيه الصاعان فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان ، لم نجد في هذا سوى ان من ابتاع طعاما كيلا لم يحل له ذلك البيع حتى يكتب له على بائعه منه وقد كان البائع له منه اذا اشتراه قد اكتب له على من باعه منه قبل بيعه اياه هذا البيع الثاني فيكون البيع لا يحل لهذا المبتاع الثاني فيما ابتاعه من البائع الذي كان قد ابتاعه ايضا كيلا الا بعد ان يتقدمه الاكتيالان جميعا وذكر ذلك بالصاع الذي يكال به الطعام ونخرج الحديث على من باع طعاما كيلا قد ابتاعه كيلا لأنهم كانوا تجارا يشترون ويبيعون فيكون للمبتاع الاول اذا كاله على المبتاع الثاني ما كان بين الكيلين من الزيادة والنقصان وفي ذلك ما يدل على ان ما يجرى بين الناس مما يستعملون فيه الكيل قد يقع بينهم فيه الاختلاف فيزيد بعضهم فيه على بعض وينقص منه عما كان غيرهم يتجاوز فيه وان كان ذلك لا يمنع من استعماله اذ كان رأيا كما يستعمل الآراء في الحوادث من امور الدين مما لا توقف فيها ولا يمنع من ذلك وقوع الاختلاف بين اهلها وما قيل تشية الصاع في قوله حتى يجرى فيه الصاعان من باب التاكيد والمراد به انهى عن بيع الطعام المشتري كيلا قبل ان يستوفى بالكيل الذي يدل عليه جرى الصاع فيه مثله في قوله تعالى (القياني جهنم) وفي قول الحاجب ، يا حرسى اضربا عنقه ، تاويل فاسد لانه روى مفسرا بصاع البائع وصاع المشتري ، قواه فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان لانه اذا ابتاع الطعام فكاله قبل ان يبيعه كانت له زيادة الكيل ونقصانه ان باعه كيلا فاكثاله المبتاع عليه ولو اشترى

مكيلا كيلا فباعه قبل ان يكتب له لاسنوفاه الذي ابتاعه منه من البائع الاول ولم تكن له في ذلك زيادة ولا عليه فيه نقصان وهو المعنى المنهى عنه في الحديث.

في البيع والشرط

- عن جابر بن عبد الله قال أتى علي بن أبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا على بعير اعجف فأخذ بخطامه ويده عود فنخسه ودعا او قال دعا ونخسه وقال ٥
- اركب فركبته فكنت أحبسك على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسمع حديثه فأني علي فقال أتبعني جملك يا جابر؟ قلت نعم يا رسول الله ولي ظهره، قال ولك ظهره فاشتراه مني بخمسة اواق فلما قدمت المدينة أتيت فاعطاني الاواق وزادني، وذكر في بعضها قال فبعته منه باوقية واستثنيت حملانه حتى اقدم اهلي فلما قدمت أتيت بالبعير فأمر لي بالاوقية وقال انطلق ببعيرك، وفي بعضها ١٠
- فبعته اياه بسبع اواق او تسع اواق ولي ظهره حتى اقدم فلما قدمت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبعير فدفعته اليه فنقدني فلما خرجت اذا رسول الله قد دعاني من خلفي فقلت في نفسي اراد أن اقبله فلما دخلت عليه قال أظننت اني استقبلك؟ ثم قال لك البعير انطلق به، وفي بعضها كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وكنت على حمل ثقال يقول انما هو في آخر القوم فمر بي النبي صلى الله ١٥
- عليه وسلم فقال من هذا فقلت جابر فقال مالك؟ فقلت اني على حمل ثقال فقال معك تضيب؟ قلت نعم يا رسول الله، قال أعطني فأعطيته فضربه ونخسه وزجره فكان من ذلك المكان من اول القوم قال أتبعني؟ قلت هو لك يا رسول الله قال بل عنيه قد اخذته باربعة دنانير ولك ظهره حتى أتى المدينة.
- احتج بعض هذه الآثار على صحة البيع على مثل هذا الشرط، وقد روى ان النبي ٢٠
- صلى الله عليه وسلم قال فيه يا جابر تبغني تاصحك هذا اذا قد منا المدينة بدینار؟ والله يغفر لك، قلت يا رسول الله اذا قد منا المدينة فهو تاصحك قال فبعني بدینارين والله يغفر لك، فما زال يزیدني ويقول مع كل دينار والله يغفر لك حتى بلغ عشرين ديناراً فلما بلغنا المدينة جمعت بالناس فوضح اقوده الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قلت هذا ناصحك يا رسول الله فقال يا بلال أعطه عشرين ديناراً .
 وروى عنه أيضاً قال أقبلنا من مكة الى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكر الحديث الى قوله يعنى بجملك هذا ، قلت لا بل هو لك قال بل يعنيه قلت لا بل هو لك يا رسول الله قال بل يعنيه قلت فان لرجل على اوقية من ذهب فهو لك بها قال قد اخذته قال فتبلغ عليه الى المدينة فلما قدمت المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال أعطه اوقية من ذهب وزده فاعطاني اوقية من ذهب وزادني قيراطا قلت لا تفارقني زيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابد اقال فكان في كيس لي فاخذه اهل الشام يوم الحرة ، ففي هذين الحديثين غير ما في الاحاديث الاول لان في الاول منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلابر أتبعني ناصحك هذا اذا قدمنا المدينة .

وفي الثاني منها ابتاعه منه بلا شرط وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد البيع تبلغ عليه الى المدينة ، تفضلا منه عليه وليس رواهما بدون رواية الحديث الاول في المقدار في العلم ولا في الضبط واذا تكافأت الروايات في ذلك ارتفعت ولم يكن بعضها اولى من بعض وسقط في هذا الحديث الاحتجاج بجواز البيع بالشرط ووافق ما حكينا عن عمرو ابن مسعود وابن عمرو بن زبب امرأة ابن مسعود في النهي عن البيع بالشرط فيه ما ليس منه وقد وافق ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهي عن بيع وسلف وعن شرطين في بيعه فدل ذلك على ان هذه الاشياء التي ليست من البياعات اذا كانت فيها افسدتها .

٢٠ في الصفقة تجمع حلالا وحراما

روى عن سليمان بن ابي مسلم الخولاني قال سألت ابا المنهال عن الصراف فقال اشتريت انا وشريك لي شيئا يد ابيد وشيئا بنسيئة فذكرنا ذلك للبراء بن عازب فقال فعلته انا وشريكي زيد بن ارقم فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقال ما كان يد ابيد فخذوه وما كان بنسيئة فردوه .

هذا الحديث يحتاج به في مسألة فقهية مختلف فيها وهي ان الصفقة اذا

جمعت ما يجوز وما لا يجوز بيعه هل يجوز من ذلك ما يجوز ويبطل ما لا يجوز

او يبطلان جميعا ، ففي هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكشف سائليه

المذكورين فيه عن ذينك الشيئين اللذين سألاه عنهما فاجاز البيع في احدهما ولم

يجزه في الآخر هل كان شراؤها في صفقة واحدة او في صفقتين مختلفتين فعقلنا

بذلك ان الحكم في ذلك سواء وان الشراء يجوز فيما كان من ذلك يد ابيد

ويبطل فيما كان نسيئة ولا يعطى لكل واحد حكم الشيء الآخر المضموم معه

في الصفقة اذا و اترق الحكم في ذلك لسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف

وقع البيع حتى يكون جوابه على ما يخبرانه به من ذلك وهو مذهب ابي حنيفة ١٠

واصحابه وعبدالرحمن بن القاسم فيما اجاب اسد بن الفرات عن قول مالك

خلافا للشافعي فانه ابطلهما يبطلان احدهما (١) ولما نظرنا فيه رأينا البيع قد يقع

على شقص من دار تجب فيه الشفعة للشريك فيها وعلى ما سواه من عرض وعبد

ثم الشفعة تجب في الشقص بحصته من الثمن ولا تجب فيما سواه من العرض

المضموم اليه ويعود ما سواه بيعا بالخصة مع انه لا يجوز استئناف البيع عليه ١٥

بذلك فعقلنا ان كل واحد من العرض والشقص اللذين جمعتهما الصفقة مضمن

حكم نفسه لاحكم صاحبه وكذلك رأينا هم في العرضين اذا بيعا صفقة واحدة

بشمن واحد فهل كان في يد البائع قبل القبض ان البيع ينتقض في ذلك كصيرتين

احداها حنطة والاخرى شعير وقع البيع عليهما بكيل مشروط في كل واحدة

منهما ولو ضاعت احداها في يدا بائعها قبل القبض تضع بحصتها من الثمن ٢٠

وتبقى الاخرى مبيعة بحصتها من الثمن وهذا لا يجوز استئناف البيع وحده

كذلك عقلنا بذلك ان الصفقة اذا جمعت شيئين مختلفين ان لكل واحد منهما

(١) للشافعي قول آخر بالصحة في الصحيح والبطلان في الباطل وهو الراجح

في مذهبه - ح .

فيها حكمة او كانت مبيها وحده دون صاحبه فدل هذا على صحة ما ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه .

في الزيادة عند القضاء

روى عن طارق المحاربى قال لما ظهر الاسلام خرجنا فى ركب ومعنا طعينة لنا حتى نزلنا قريبا من المدينة فبينما نحن قعود اذا بنا رجل عليه ثوبان ابيضان فسلم ثم قال من اين اتى القوم ؟ قلنا من الربذة ، ومعنا جمل احمر فقال أبيعونى الجمل ؟ قلنا نعم ، قال فيكم ؟ قلنا بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذه ولم يستنقصنا شيئا قال قد اخذته فأخذ برأس الجمل حتى توارى بحيطان المدينة فتلاومنا فيما بيننا قلنا اعطيتم حملكم رجلا لا تعرفونه ، قالت الطعينة لا تلاوموا لقد رأيت وجه رجل ما كان ليخفركم ما رأيت شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشاء اتانا رجل فقال السلام عليكم انا رسول رسول الله اليكم وهو يأمركم ان تأكلوا حتى تشبعوا وان تكتسبوا حتى تستوفوا فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا حتى لاستوفينا .

وفى ما روى ان زيدا بن سعدة وكان من احبار اليهود اتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فحذ ثوبه عن منكبيه الايمن ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب اصحاب مطل واني بكم لعارف فاتتبه عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كذا احوج الى غير هذا منك ان تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى انطلق يا عمر الى حائط بنى فلان فأوفه حقه أماته قد بقى من اجله ثلاثة ايام فزده ثلاثين صاعا لتداريك عليه . قد قال قائل كيف يقبل هذا وقد روى عنه أنه ان يؤكل بالاشياء ، منها ان يؤكل بالقرآن كما روى عن عبد الرحمن ابن سهل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تحفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ، وما روى عن عبادة بن نسي عن عبادة بن الصامت قال كنت اعلم ناسا من اهل الصفة القرآن فاهدى الى رجل

رجل منهم فرسا على ان اقبلها في سبيل الله فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اردت ان يطوقك الله بها طوقا من نار فاقبلها، فاذا كان حراما ان يأكل بالقرآن كان حراما ان يأكل بما له لما فيه من شبهة الربا، قيل له يحتمل ان يكون ذلك قبل تحريم الربا ثم حرم الربا فحرمت اسبابه يدل عليه ما روى عن سعيد بن ابى بردة (١) قال بعثني ابي الى المدينة الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتعلم (٢) فقال مرحبا ببن اخي فقلت له انما مشيت معك لتعلمني شيئا فقال ما انا بعملك شيئا حتى تنطلق معي الى البيت، فانطلقت معه فقرب لي سويقا وتمرا فأكلمت ثم قال يا ابن اخي انك بارض الربا بها كثير غامض فاذا اسلفت رجلا من اهل الذمة وروا الى اجل فأتاك بها واتاك معها بحملة من قن او علف فلا تمسها فان ذلك من اعظم ابواب الربا. ١٠

وروى عن ابى بن كعب انه استسلف من عمر عشرة آلاف فأهدى له من ثمرة ارضه فردها فأتاه ابى فقال أترد على ثمرتي وقد علمت اني من اطيب اهل المدينة ثمرة؟ لا حاجة لنا فيما رد علينا هديتنا فاعطاه العشرة آلاف زاد بعض الرواة وقبل عمر الهدية لما رد عليه ابى المال.

وروى عن ابى بن كعب قال اذا اقترضت قرضا بقاءك صاحبك بقرضك يحمله ومعه هدية فخذ منه قرضك واردد عليه هديته، وعن انس قال اذا اقترضت رجلا قرضا فلا تركب دابته ولا تقبل هديته الا ان يكون قد جرت بينك وبينه مخالطة قبل. ومهاداة ابى لعمر من هذا لانه كان بينهما مخالطة وكان لعبد الله بن عمر صديق يسلفه وكان يهدي له لالا لاجل القرض بل كان له به مخالطة من قبل. وفيما ذكرنا عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تدل ٢٠

(١) سقط من هنا شيء فان الحديث في صحيح البخاري وغيره من رواية سعيد ابن ابى بردة عن ابيه (٢) سقط من هنا شيء ايضا وفي الصحيح ان ابى بردة لقي عبدا لله بن سلام فبدا لله بن سلام هو القائل « مرحبا ... ».

على ان الاشياء المأخوذة باسباب غير هاتر جمع الى ما اخذت باسبابه في كراهيتها حتى تكون كالمعقودة عليه وسيأتى بعد هذا ايضاحه .

في ما يهدى الى العال

عن ابي حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ابن اللثبية على صدقات بني سليم وانه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاسبه قال هذا لكم وهذه هدية اهديت الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له ألا جلست في بيت ابيك او املك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقاً ثم قام خطيباً فحمد الله وانى عليه ثم قال اما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل بما ولاني الله فيأتني فيقول هذا لكم وهذه هدية اهديت لي أفلا جلس في بيت ابيه وامه حتى تأتية هديته والذي نفسي بيده لا يأخذ احد منكم شيئاً بغير حقه الا لقي الله عز وجل يحمل بغيره رغاء او بقرة لها خوار او شاة تنغو ثم رفع يده حتى انى لا ينظر الى بياض ما تحت منكبيه ثم قال ألا هل بلغت ؟ مرتين ، قال ابو حميد بصرت عيناى وسمعت اذ نأى سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرجه من طرق كثيرة بمعنى واحد . فيه ما قد دل على ان الكسب بالولاية من الهدايا وما اشبهها واجب على الوالى ان يرده الى المال الذى ولى عليه واهدى له ما اهدى له لولا بته عليه وقد كان ابو يوسف ومحمد اختلافاً فكان ابو يوسف يقول ما اهدى اهل الحرب الى امام المسلمين كان له خاصة وقال محمد يرده الى فيه المسلمين ويخرج خمسة ويزد بقيقته الى المال الذى اهدى له من اجله وهذا اولى القولين نظراً الى الحديث ، وعن على انه كان يفعل ذلك فيما اهدى اليه وهو متول من امور المسلمين ما كان يتولاه .
وروى ان عظيماً من عظمائه بعث اليه بآثر ج كثير فبعث الى رجال فقوموه قالت ام كلثوم لقد رأيت بعض صبيانا اتاه فأخذ اترجة فذهب لينزعها منه فبسكى فاراد أن يأخذها فأبى فانزعها منه وتركه يبسكى حتى قومها ثم اعطاه

اياها وذلك لان مهديا قصد بها الوصول الى حلقه وجاء ان يقره بمكانه بخلاف ما اهدى ابي بن كعب لعمر فقبله منه لما رد الدين اليه بعد ان كان رده عليه قبل ذلك للدين الذي كان عليه ما اذا قصد الهدى ترك المطالبة من الهدى اليه بالدين الذي له عليه كان داخلا في ابواب الربا التي يقع فيها فاعلوها من حيث لا يعلمون وقد روى عن خالد بن مسعود قال اهدى رأس الجالوت ٥ الى ابي مسعود مائة الف درهم فلما جاء ابو مسعود قالت امرأته يا بردها على الكبد قال وما ذاك قالت رأس الجالوت اهدى لبناتي فقال ابو مسعود يا حرها على الكبد فذكر ذلك لعلی واخبره بما قالت امرأته فقال على فما قلت قال قلت يا حرها على الكبد قال اجل والله يا حرها على الكبد متى كان رأس الجالوت يهدى لبناتك احمليها فاجعلها في بيت مال المسلمين ، فهذا دليل على ان ١٠ هدايا الامراء مردودة الى بيت مال المسلمين .

في الزيادة على الثمن وغيره

روى ان جابر بن عبد الله باع من النبي صلى الله عليه وسلم جملة في بعض اسفاره فلما قدم المدينة امر بلالا ان يدفع اليه ثمنه ويزيده قيراطا فقال لا تفارقني زيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابد فكانت في كيس حتى اخذها ١٥ اهل الشام يوم الحرة فيه دليل على ان الزيادة التحقت باصل العقد وكان محالا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون ملك جابرا ما ملكه بمعنى لا يملكه به ويملكه بغيره كما يقول من يقول ان الزيادة في الثمن هبة من الذي يزيدها وهو زفر ومالك والشافعي لان الاشياء انما تملك من حيث ملكت لا بما سواها وقد روى سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قابل ايمانا رجل شارط امرأة ٢٠ فعشرتها ثلاث ليال فان احبا ان يتنا قصصنا قصا وان احبا ان يزدادا في الاجل زادا ، قال سلمة لا ادرى كانت لنا رخصة ام للناس عامة ، هذا في وقت كانت المتعة فيه حلالا فكانت الزيادة في مدتها لاحقة بها وكان لها حكمها فمثل ذلك البيع ايضا اذا وقع على شيء بعينه بثمن مسمى ثم زاد احد المتبايعين صاحبه نيا

ملكه اياه زيادة ان تلك الزيادة لاحقة به وداخلة في حكمه وقد روى عن
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعالمهم في الزيادات في البيعات
 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق هذا المعنى وروى ان اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وددنا لو ان عثمان وعبد الرحمن يتبايعا حتى
 ينظرا ايهما اعظم جدا في التجارة فاشترى عبد الرحمن من عثمان فرسا بارض له
 اخرى باربين الف درهم ان ادركتها الالفقة وهي سالمة ثم ان عبد الرحمن
 زاد عثمان ستة آلاف على انهما ان تبقى حية حتى يقبضها رسوله فوجدها
 رسول عبد الرحمن قد ماتت فخرج منها بالشرط الآخر وكان موت الفرس
 من مال عثمان ولوا مضى البيع على العقد الاول لكان موت الفرس من
 مال عبد الرحمن فدل ذلك على الحاق الزيادات بالعقود وكان ذلك بحضرة
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تمنوا ان يتبايعا ليقفوا على ايهما
 اعظم جدا في التجارة فلم ينكروا ما كان منهما في ذلك فدل على جوازه ومثله
 ما روى ان عمار بن ياسر خرج من القصر فاشترى ثوبا بدرهم فاستزاد صاحب
 القم خيلا فنازعه حتى اخذ هذا قطعة منه وهذا قطعة ثم احتمله على عاتقه حتى
 دخل القصر .

وكان عمار اميرا اذ لا يسكن القصر الا هو امير والامير لا يصلح له
 قبول الهدية فانما استزاده لان الزيادة تلحق بالمبيع فتكون بحصتها من الثمن كما
 لو وقع البيع عليه مع ما وقع عليه سواء وفي ذلك ما تدل على ما اخترناه وهذه
 الزيادات عندنا انما تلحق بالاصل بعد ان يكون الذي زيدت فيه في الحال التي
 لو استؤنف البيع فيه عليها جاز ، فاما لو وجد ما نزع كوت المبيع او عتق المشتري
 اياه ان كان عبدا او امة او خروجه من ملكه الى ملك سواه فان الزيادات فيه
 لا تلحق بذلك العقد الذي زيدت فيه ، وروى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه
 وسلم بعث ابا جهم بن حذيفة مصدقا فلاحاه رجل في صدقة فآخذه فضربه
 فشجه ابو جهم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا القود يا رسول الله فقال

النبي صلى الله عليه وسلم لكم كذا وكذا فلم يرضوا فقال لكم كذا وكذا فرفضوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خاطب العشية على الناس ونخبرهم برضاكم قال ارضيتم قالوا لا قال فهم بهم المهاجرون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكفوا عنهم ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم فزادهم فقال ارضيتم قالوا نعم قال فاني خاطب على الناس ونخبرهم برضاكم قالوا نعم فخطب الناس فقال ارضيتم قالوا نعم، فيه معنى لطيف من الفقه يجب ان يوقف عليه ويوقف به على ان الزيادة في هذا المعنى بخلاف الزيادة في المعنيين اللذين ذكرناها في الحديث الذي قبل هذا وذلك ان الزيادة فيها زيادة فيما يجوز تقصه واستئناف العقد فيه فجازت الزيادة في ذلك وكان الصلح على ابي جهم مما لا يجوز أن يتناقضه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين صالحهم عنه لان رجلا لوشح رجلا شعبة ١٠ او جنى عليه جناية فصالحه منها على شيء او صلح منها عنه على شيء ثم ارادعا قدا ذلك الصلح ان يتناقضا بينهما لم يكن لها ذلك وما هذا سبيله فان زيادة فيه غير لاحقة باصله ومختلف فيها لبعضهم قال انها باطلة وانها راجعة الى الذي زادها وهو ابو حنيفة وابو يوسف وبعضهم قال انها هبة من الذي زادها فان قبضها جاز وان منعه منها لم يجبر على تسليمها اليه وهو زفر ومجد وقول عن مالك ١٥ ونحن نعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدفع الى اولئك القوم ما لا يحل لهم اخذه لان شريعته تحريم الربا واطعامه فدل ذلك على طيبه وانه صار هبة منه كما قال من قاله وفعله صلى الله عليه وسلم الحجة على الناس جميعا وقيل يجبر على التسليم عند مالك كما هو مذهبه في الهبة .

في اختلاف المتبايعين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان اذا اختلعا وليس بينهما شاهد فالقول ما قال البائع او يترادان، قال الطحاوي: ذكرت هذا لاهم بن شعيب وقلت هل عندك فيه شيء يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال نعم فذكر من رواية عبد الرحمن بن الاشعث عن ابيه عن جده قال قال عبد الله سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اختلف المتبايعان وليست بينهما بينة فهو ما يقول رب السلعة او يتاركان، وقد ذكرت هذا الباب قبل هذا لاحد ابن ابي عمران وقلت له هل عندك فيه شيء يتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اما ان اجد منصوصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ولكن الحجة قد قامت به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمين على المدعى عليه لان المتبايعين اذا اختلفا في ثمن المبيع فقد ادعى كل واحد منهما بيعا بثمن غير البيع الذي ادعاه صاحبه بالثمن الذي ادعاه به فكانا بذلك متداعيين فوجب التحالف لينفي كل واحد منهما دعوى صاحبه ويكون المبيع بحاله بيد البائع بغير حجة قامت لاحدهما على صاحبه .

١٠ فان قيل قد اتفقا على ان المبيع ملك المتبايع وانما الاختلاف في الثمن فوجب ان يكون البيع له ويلزم المشتري ما اقر به ويحلف على ما ينكره كرجل ادعى على رجل ما لا فصدقه في بعضه وانكر البعض .

قلنا ليس الامر كما ذكر لان الاختلاف في الثمن موجب لاختلاف العقد الا ترى اذا ادعى على آخر الف درهم وخمسة فأنكر المدعى عليه فاقام شاهدا بالف وآخر بالف وخمسة يقضى بالف التي اتفق الشاهدان عليه ولو ادعى البيع بالف وخمسة فشهد احدهما بالف والآخر بالف وخمسة لا يقضى بشيء فعقلنا بذلك افتراق الحكم في المسئلتين كما ذكرنا فنحن بهذا عن طلب الاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدعين في الثمن المختلفين فيه وهو قول محمد بن الحسن وقد كان ابو حنيفة وابو يوسف يذهبان الى ما قال هذا القائل الذي احتجنا عليه وكانا يقولان اذا اختلفا في ثمن المبيع تحالفا وترادا اذا كان قائما واذا كان قائما فالقول قول المشتري لان الذي يوجبه القياس ان يكون القول قول المشتري ولكنه ترك في القائم لكان الحديث المروي وفي القائم لم يوجد نص فاجرى على القياس قال ابن ابي عمران ولو لم يكن نص كان القياس يوجب ما قد روى عنه صلى الله عليه وسلم واذا كان ذلك كذلك

وجب استعماله في الباقي والفائت لان الذي يوجب رده اذا كان باقيا هو الذي يوجب رد قيمته اذا كان فائتا وهذا استخراج لطيف ومعنى حسن والله اعلم .

في خيار المجلس

عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المتبايعين بالخيار في يومها ما لم يتفرقا الا ان يكون البيع خيارا قال نافع فكان عبد الله اذا اشترى شيئا يعجبه فارق صاحبه .

وفياروى عنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبايعان لايبيع بينهما حتى يتفرقا لايبيع الخيار .

- ١٠ هذا الحديث الثاني غير مخالف للحديث الاول لان معنى لايبيع بينهما حتى يتفرقا لايبيع بينهما لا خيار فيه يعني ان بينهما بيعا فيه الخيار حتى يتفرقا كما في الحديث الاول فاذا تفرقا قطع ذلك التفرق خيارها لايبيع الخيار يعني فان بيع الخيار مبقى لصاحبه بعد ذلك الى المدة المشترط له الخيار فيها وتنازع العلماء في تأويل التفرق فقالت طائفة هو قول البائع للبتاع قد بعتك وقول البتاع قد قبلت ذلك منك فيكون للبائع الرجوع عما قال قبل قبول البتاع ويكون للبتاع ١٥ القبول ما لم يفارق البائع بيده فان فارقه بيده لم يكن له القبول بعد ذلك قالوا ولو كان له الخيار بعد المفارقة بالبدن لكان له الخيار بعد المدة الطويلة ومن يذهب الى هذا ابو يوسف وعيسى بن ابان وقال محمد ان يقول البائع للبتاع قد بعتك وقول البتاع له قد قبلت منك يكونان متفرقين كقوله تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) .

٢٠

فاذا كان الزوجان متفرقين يقول الزوج طلفتك على كذا وقولها قبلت ذلك وان لم يتفرقا بالبدن وجب مثله في البيع وقالت طائفة الفرقة المقصودة هنا هي الفرقة بالابدان لانها قبل تعاقد البيع متساومان وليسا بمتبايعين وانما جعل لها الخيار بعد كونهما متبايعين الى ان يتفرقا ومن يذهب

اليه الشافعي ولا حاجة له في ذلك لان العرب قد تسمى الشيء باسم ما قرب منه
كما حكى المزني عنه في تأويل قوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) الآية ان العرب
تقول دخل فلان بلد كذا القربه منها ولقصد ه الى دخولها وان لم يكن في الحقيقة
دخلها واذا كان ذلك كذلك احتمل الحديث مثله والله اعلم ، وقد روى عن
عبد الله بن عمر أنه قال ما ادركت الصفقة حيا فهو من المبتاع ولا يكون منه
الامانة وقع ملكه بالصفقة عليه فيحتمل ان يكون التفرق الذي حكى نافع عنه
استعماله اياه انما كان يستعمله احتياطا من قول غيره لاحتمال الحديث له
مخافة ان يلحقه فيه من غيره خلاف ما يريد في بيعه كمثل الذي لحقه في البيع
الذي باعه بالبراءة من عيوبه لحكم عليه عثمان بخلاف ما كان يراه في ذلك
وروى ايضا نافع عن ابن عمر بن عمر بن عمر هذه الالفاظ من ذلك قوله كل بيعين
بالخيار ما لم يتفرقا او يكون بيع خيار وقوله كل بيعين لا بيع بينهما حتى
يتفرقا او يكون خيارا .

وقوله المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا الا ان يكون البيع كان عن خيار
فان كان البيع عن خيار فقد وجب البيع وقوله البيعان بالخيار ما لم يتفرقا او يقول
احدهما لصاحبه اختر ورجما قال او يكون بيع خيار .

وذلك كله سواء معناه معنى الحدِيثين المذكورين ولا غير ان فيه
او يقول احدهما لصاحبه اختر فانه يحتمل ان يكون ذلك على قول يقواه بعد البيع
فيكون قد اوجب به خيار لم يكن له قبله ويحتمل ان يكون على خيار يشترط ان
في البيع لاحدهما وهذا اولى لأنه يرجع الى ايجاب ما لم يكن للقول له قبل ذلك
ويؤيده رواية الليث عنه عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم اذا تبايع الرجلان
فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الآخر فان خير
احدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك
واحد منهما البيع فقد وجب البيع ، فدل هذا على ان معنى قوله او يخير احدهما
الآخر انما هو على تخيير يتعاقد متبايعان البيع عليه على ما في الحديث لاعلى ماسوى

ذلك مما قد حمله بعض الناس عليه وكيف يجوز أن يخير من له خيار بعقد البيع هذا
يعد في القلوب وإنما يكون التخيير لا يجاب، ألم يكن واجبا قبله على ما في رواية
الليث من تعاقدها البيع عليه وفي ذلك ما قد دل على أن البيع يجب بالتعاقد وأنه
لا خيار لاحدهما فيه بعد عقده إلا أن يكون وقع على أن لأحدهما خيارا إلى مدة
فيكون له الخيار إلى انقضاء تلك المدة وقد وجدنا الذي قال بالتفرق بالابدان
يقول إذا خير أحدهما صاحبه فالخيار الذي يجب له بذلك التخيير هو الذي كان
واجبا له قبله فيكون كلام النبي صلى الله عليه وسلم على هذا لا فائدة فيه وحاشا لله
أن يكون كذلك ولكنه عندنا على ما بينه الليث من انعقاد البيع عليه وإذا كان
الخيار المشروط في البيع لا يمنع من له الخيار أن يكون مالكا قبل انقطاع
خياره بعد الافتراق بالبدن كما قال قبل الافتراق بذلك كذلك أيضا وكان الخيار
المذكور في الحديث وجوبه وإن لم يشترط على خلاف ذلك وهو الخيار بين
العقد وبين القبول على ما ذكرناه عن قائله والنظر يوجب أن يكون تملك
الأموال بالبيع يترتب تمام البيع قبل الافتراق قياسا على تملك المنافع
بالأجارات وتمليك الأضياع بالنزوحات والمخالفات وروى عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتبايعان بالخيار
ما لم يتفرقا إلا أن يكون صفقة خيار فلا يحل له أن يفارق صاحبه خشية أن
يستقبله .

يعنى لا يحل للذي عليه الخيار أن يغيب عن الذي له الخيار خشية أن
يريد رده عليه بما وجب له من الخيار فلا يجده ويكون هذا التفرق خلاف
التفرق الأول المختلف في تأويله ويجوز في اللغة أن يقول ما فارقت فلانا منذ
كذا سنة وإن كان فارقه بيده في بعض المدة غير أنه لا زمة للملازمة المعقولة
من مثله وهذا يؤيد ما ذهب إليه أبو حنيفة ومحمد من عدم جواز الفسخ
بالخيار إلا بحضرة صاحبه وروى عن حكيم بن حزام عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المتبايعان بالخيار حتى يتفرقا أو ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما

وان كذبا وكتما عقلت بركة بيعهما ، قوله فان صدقا الى آخره يريد بعض الباطنة
لاكلهم اذ قد يتبايعان على العرض بالعرض فيكون على كل واحد منهما ان يبين
ما في عرضه ولا يكتتم شيئا من عيوبه وكذا يجب بيان ثمنه ان كان البيع مراوحة
وقد يبيع احدهما صاحبه عرضا بضمن الى اجل فلا يكون على المبتاع ان يبين شيئا
لان الثمن في ذمته وانما يكون ذلك على البائع ، قال القاضي وقد تكون
ذمة خربة لا تفي بالثمن عند الاجل فعليه ان يبين حال ذمته لحمله على العموم
اولى ، قلت ان مال الله غادورائح فمن اين يعلم عدم القدرة على الوفاء عند
الاجل .

قال الطحاوى روى عن جميل بن مرة عن ابي الوضئ قال نزلنا منزلا
١٠ فباع صاحب لنا من رجل فرسا فاقنا في منزلنا يوما وليتنا فلما كان الغد قام
الرجل يسرج فرسه فقال له صاحبه انك قد بعته فاختصما الى ابي برزة فقال
ان شئتما قضيت بينكما بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وما اراكما تفرقتما ، لا يصح
الاحتجاج في اثبات الخيار بعد عقد البيع بهذا ولا بقول ابي برزة وما اراكما
تفرقتما لانهما قد اقاما بعد البيع مدة يتحقق تفرقتما بدنه ولو الى حاجة الانسان
١٥ او الى صلاة مما لو وقع مثله في صرف تصارفاه قبل القبض ففسد الصرف
فكذلك لو كان الخيار واجبا بعد عقد البيع لقطعه هذه الاشياء فدل ان التفرق
عند ابي برزة لم يكن التفرق بالابدان وروى انهم اختصموا الى ابي برزة في
رجل باع جارية فنام معها البائع فلما اصبح قال لا ارضى فقال ابو برزة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وكان في خباء شعر .

فاختلف الحديث بالروايتين عن ابي برزة كما ذكرنا ولم تكن احداها
اولى من الاخرى فلم يكن لاحد ان يحتج باحدها الا احتج عليه بخلافه بالآخر
وليس في واحد منهما ما يوجب ان التفرق المذكور في الحديث هو التفرق
بالابدان وروى عن سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعان

بالتحيار ما لم يتفرقا ويأخذ كل واحد منهما ما رضى من البيع .

- قوله ويأخذ كل واحد منهما ما رضى من البيع يدل على ان التحيار الذى للتبايعين انما هو قبل انعقاد البيع في الحال الذى يكون لكل واحد منهما ان يأخذ ما رضى من البيع ويترك بعضه وذلك قبل عقد البيع فيكون البيع يتعقد بينه وبين صاحبه فيما يرضاه منه لانيما سواه اذ لا خلاف بين القائلين في هذا الباب .
- ١٠ بان الافتراق المذكور في الحديث هو بعد البيع بالابدان انه ليس للتبايع ان يأخذ ما رضى به وانما له ان يأخذ كله او يردعه ، وروى عن ابى الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال اشترى النبي صلى الله عليه وسلم من اعرابي قال حسبت ان ابا الزبير قال من عاصم بن صعصعة حمل قرظ او حمل خبط فلها وجب له قال له النبي صلى الله عليه وسلم اختر قال الاعرابي ان رأيت مثل اليوم قطيعا خير بانه ، ممن انت ؟ قال من قريش .

- في قوله اختر دليل على وجوب البيع قبل التخيير وقد يحتج به من قال بالتحيار حتى يتفرقا بدنا وقد ذكرنا وجهه واستدل لنا عليه بحديث الليث وانما خير النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاعرابي ليكون له ثواب من اقال نادما بيعته وروى ان ذلك كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة .
- ١٠ وروى عن ابن طائوس عن ابيه قال ابتاع النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة من اعرابي بعيرا او غيره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد البيع اختر فنظر الاعرابي اليه فقال لعمر الله ممن انت فلما كان الاسلام جعل النبي صلى الله عليه وسلم بعد البيع التحيار ، وهذا على الاختيار لا على الوجوب والله اعلم .

في بيع الثمار

عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع النجم رفعت الماهة عن اهل كل بلد ، المقصود رفع الماهة عن ثمار النخل والنجم هو النور يا واراد بقوله طلع طلوعه صبا كما يكون الفجر معه يؤيده ما روى عن

النبي صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة قال ما طلع النجم صباحاً قط ويقوم عاهة الارفعت عنهم او خفت وطلوعها في اليوم التاسع عشر من ايار .

في التجاوز في النقد

روى ان حذيفة وابن مسعود تذاكرا فقال احدهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حوسب رجل فلم يوجد له شيء من الخير فنظر في حسنته قيل ما عملت خيرا قال لا الا اني كنت اداين الناس فكنت آمر فتياي يسرون على الموسر وينظرون المعسر فقال الله عز وجل انا احق من يسر قال فادخل الجنة .

وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا كنت تعمل من الخير شيئا قال لا قالوا تذكر قال كنت اداين الناس فامر فتياي ان ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال الله تعالى فتجاوزوا عنه ، المراد بالتجاوز هو في النقد على ما روى حذيفة مرفوعا مات رجل فقيل له اذكر فاما ذكر وما ذكر قال كنت ابايع الناس فانظر المعسر وتجاوز في النقد والسكة فغفر له ففيه تجويز انفاق الزائف من الدراهم مع تبيان عيبه لا على ما سوى ذلك مما يستعمله بعض الناس مع تدليس عيبه .

في شراء الشيء بأقل من قيمته

روى عن عمر بن الخطاب قال حملت على فرس في سبيل الله فاضاعه الذي كان عنده فاردت ان ابتاعه منه وظننت انه بائعه برخص فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشتره وان اعطاكه بدراهم واحد فان العائد في صدقته كالكلب يعود في تيمته .

فيه ما يدل على انه لو لم يكن صدقة منه لحاز له ان يشتريه بالدراهم الذي نهاه عنه وهذا قول فقهاء الامصار من اهل الحجاز ومن اهل العراق

وغيرهم خلا لبعض المتأخرين فإنه ذهب الى ان ما وقع كذلك لم يكن بيعا، وكان معقولا ان من كان له تملك شيء بلا بدل كان له تملكه بقليل البدل .

في ثمن الكلب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من نهيه عن ثمن الكلب ، ومن

- قوله ثمن الكلب حرام ، ومن قوله ثلاث من السحت ثمن الكلب ومهر
البنى وحلوان الكاهن ، ومن قوله ثمن الكلب خبيث ، ومن نهيه عن ثمن
الكلب والسنور ، ومن قوله لا يحل ثمن الكلب ، يحتمل ان يكون التحريم
كتحريم الاشياء المحرمة بالشرع ويحتمل ان يكون تحريمه لاجل الدناءة
يدل عليه ما روى عن رفاعه بن رافع اورافع بن رفاعه انه جاء الى مجلس
الانصار فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وامرنا ان
نطعمه فاضحنا ، وروى مثله محبصة مرفوعا انه قال اعلفه فاضحك واطعمه رقيقك
فلو كان حراما لما اباح له ذلك لكنه نهاهم لما فيه من الدناءة وان كان في بعض
الآثار انه سحت على ما روى من السحت كسب الحجام .

ولذلك روى في كسب الحجام انه خبيث ، ولما نهى عن ثمن الكلب

- والسنور ولا خلاف ان ثمن السنور ليس بمحرام ولكنه ذى كان ثمن الكلب
المقرون معه في الحديث مثله واحتمل ان يكون النهى عن ثمن الكلب اذ كان
الامر فيه بقتل الكلاب على ما روى عن ابي رافع قال امرني النبي صلى الله عليه
وسلم بقتل الكلاب فخرجت اقتلها لا ارى كلبا الا قتلته حتى آتى موضع كذا
وسماه فاذا فيه كلب يدور ببیت فذهبت اقله فتاد الى انسان من جوف البيت
يا عبد الله ما تريد أن تصنع قلت اني اريد أن اقتل هذا الكلب قالت اني امرأة
بدار مضیعة وان هذا يطرد عنى السباع ويؤذنى بالجنائى فأتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاذا ذكر ذلك له فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له
فأمرني بقتله ثم اباح صلى الله عليه وسلم اثمان بعضها روى انه صلى الله عليه وسلم

نهى عن ثمن السنور والكلب الا كلب صيد.

وقال من اقتنى كلبا الا كلبا ضاريا بالصيد او كلب ماشية فانه ينقص من اجره كل يوم قيراطان ، وقال من اقتنى كلبا لا يفنى عنه في زرع ولا زرع ينقص من عمله كل يوم قيراطان ، وروى قيراط و رخص النبي صلى الله عليه وسلم في ترك قتل ما اباح منها روى عنه انه امر بقتل الكلاب ثم قال مالى وللكلاب ثم رخص في كلب الصيد وفي كلب آخرنسيه الراوى ، وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا صوته بامر قتل الكلاب قال فكانت الكلاب تقتل الا كلب صيد او ماشية .

ولما وقفنا على اختلاف احوال الكلاب في زمانه صلى الله عليه وسلم في حال كلها مقتولة وفي حال بعضها وجب ان يحمل ما روى من نهيه في اثمانها على الحالة التي ابيح قتل كلها فيها لا قتل بعضها مع انه روى استثناء ثمن كلب الصيد وفي معناه الكلاب التي يباح اتخاذها وقد اختلف اهل العلم فيه فطائفة ذهبت الى تحريم اثمان الكلاب كلها ومن ذهب الى ذلك مالك والشافعي وطائفة ذهبت الى تحريم اثمان ما لا يحل الانتفاع به منها واباحة اثمان غيرها وهو مذهب ابن حنيفة واصحابه وهو اولى القولين بالقياس لان الكلب اذا ذون في الانتفاع به كالخمار الا هلى في جواز الانتفاع به وتحريم اكل لحمه فوجب ان يكون مثله في جواز بيعه .

في العهدة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من اكتبته في العهدة التي اكتبها للعلاء بن خالد بن هوزة في بيعه اياه عبدا او امة ، بيع المسلم المسلم لاداء ولا غائلة ولا خيثة ، الاداء الامراض والفوائيل الاشياء التي يضال بها الملوكون مالكم كالاياق والسرقه ومنه قتل الغيلة وقوله صلى الله عليه وسلم قد همت ان انهي عن القيلة فسمي ما يطرأ على اولادهم من وطء امهاتهم غيلا لانه يا تيهم ذلك من

- حيث لا يعلمون وأما الخبثة فقبل الشيء المذموم وهو سبى أهل العهد الذين لا يحل استرقاقهم وقيل هي الأشياء الخبيثة من قوله تعالى (الخبثات للخبثين) وقوله (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا)، وكل مذموم خبيث وعلى العكس والاول اظهر لسكونها اكثر فائدة لان كل غائلة خبيثة وليس كل خبيثة غائلة وروى عن عقبة قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدة الرقيق ثلاثة ايام .
- وروى لا عهدة بعد اربع وليس بالقوى ثم العهدة مأخوذة من العهد وهي الاشياء المتقدمة فيها المطلوب ممن تقدم اليه فيها الوفاء بها منه قوله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) (ألم اعهد اليكم يا بنى آدم) (وكان عهد الله مستولاً)، فالاولى بما رويناهما الحمل على العقد المشروط في البياعات من الخيارات المشتريات فيها فتكون مدته ثلاثة ايام لا فوقها كما يقول ابو حنيفة .
- وزفر والشافعي وأما قول أهل المدينة بان العهدة موت المبيع وما ظهر في بدنه في ثلاثة ايام اوفى ستة فقد كان عطاء وطأؤ من ينكر ان ذلك وقال شريح عهدة المسلم لا داء ولا غائلة ولا شين ولما لم نجد في الحديث غير ما ذكرنا التمسنا حكمها من طريق النظر فوجدنا الرجل اذا باع العبد او البطارية وسلمها اليه فاراد أن يمنع البائع من ثمنها لم يكن له ذلك باجماع فكان ذلك دليلاً انه لم يبق له شيء مما يوجب البيع عليه اذ لو بقي شيء من خياراً ومن غيره لكان له منعه اياه وفي اجماعهم على عدم المنع دليل على انه لم يبق عليه حق بحكم البيع الذي تعاقدها من عهدة ولا غيرها .

كتاب الاجارات

وفيه ثلاثة احاديث

٢٠

روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن عسب التيس وكسب الحمام وقفيز الطحان ، معنى النهى عن قفيز الطحان على ما كان يفعله أهل الجهل من دفع القمح الى الطحان ليطحنه بقفيز من دقيقه الذي يطحنه

له فكان ذلك استعجارا بما ليس عند المستأجر لان دقيق قمحه ليس عنده وقت
العقد فدل ان الاستعجار لا يكون بما ليس عند المستأجر يوم يستأجر كبيع
ما ليس عنده يوم بيع والابتياح بما ليس عند المشتري بما ليس معناها معنى الاثمان
كالدراهم والدنانير والمكمل والموزون الذي قد يكون ديناً في الذمة
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت امتي خمس خصال في
رمضان لم يعطها احد قبلكم خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك ،
وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، ويزين الله عز وجل جنته كل يوم ويقول
يوشك عبادي الصالحون ان يلقوا عنهم المؤنة والاذى ويصيروا اليك وتصفد
مردة الشياطين فلا يصلون فيه الى ما يصلون في غيره ويغفر لهم في آخر ليلة ،
١٠ قيل يا رسول الله في ليلة القدر قال لا ولكن العالم انما يوفي اجره عند
انقضاء عمله .

وفيما روى ابو هريرة قال اعطوا الاجير اجره من قبل ان يحفر
عرقه ، وروى عنه انه قال ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه
خصمته ، رجل اعطى بي ثم غدر ورجل باع حراً وأكل ثمنه ورجل استأجر
اجيراً فاستوفى منه ولم يوفه اجره ، وروى عن علي انه قال امر في رسول الله صلى الله
١٥ عليه وسلم ان اقوم على بدنه وان اتصدق بجلالها وخطمها ولا يعطى الخزار منها
شيئاً ونحن نعطيهم من عندنا ، في هذه الآثار ما يوضح ان الاجير انما يعطى اجره
على عمله بعد فراغه منه وروى عن ابن مسعود قال كنت ارفع غنماً لعقبة بن ابي
معيط فمر في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا غلام هل من لبن ؟ فقلت
نعم ولكني مؤتمن فقال هل من شاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بشاة ففسح ضرعها
٢٠ فنزل لبن فخلبه في اناء فشرب وسقى ابا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص ثم
أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمي من هذا القول ففسح برأسى ثم قال
يرحمك الله فانك غلام معلم قال فأخذت عنه سبعين سورة ما ناز عنها بشر
يحتمل انه صلى الله عليه وسلم ظن ان انعم لابن مسعود بظاهر بدنه عليها
فسأله

فسأله ليشترى منه اللبن فلما أخبره أنه مؤتمن عليها سأله شاة لم يصحبها فحل ليريه
 في ذلك آية معجزة تقوم له بها الحجة عليه وعلى غيره وفي ذلك منفعة لصاحب
 الشاة بتلبين ضرعها فلم يكن له في اللبن حق لأن الله تعالى جعله في ضرعها
 حينئذ من غير ملك وتحم عليه لما لكها فلذلك شربه صلى الله عليه وسلم وسقاه
 أبا بكر وقوله أني مؤتمن صحيح اتفاقا لأنه أجير خاص والخلاف في الأجير
 المشترك فيجعله بعضهم آمينا وبعضهم ضميئا وقوله ما نازعنيها بشر يريد
 ما شاركني فيها بشر لأن المنازعة قد تكون على المشاركة ومن ذلك قول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما علم أن ناسا قرأوا وخلفه في الصلاة أني أقول ما لي أنازع
 القرآن أي اشارك في القرآن الذي أقرؤه في صلاتي وكانت تلك السبعون
 سورة لم يشاركه أحد في أخذها أيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وشركه في
 أخذ بقية القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شركه فيه وهذا معنى
 قوله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأ بأبا بن مسعود فيمن أمر أن يؤخذ
 القرآن عنهم وبالله التوفيق

خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تبارك وتعالى طبع كتاب المقتصر مرة ثانية يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٢ هـ

وذلك في العهد الميمون والأيام الذهبية لخلافة الملك مظفر الممالك نظام الملك سلطان العلوم أمير المسلمين النواب مير عثمان علي خان بهادر آصف جاه السابغ ملك الدولة الإسلامية الآصفية بمحيدرآباد الدكني ادام الله أيامه وخلده سلطنته واطال الله عمره وعمرولى عهده الاعظم النواب الدكتور اعظم جاه بهادر وابنه المعظم النواب الدكتور معظم جاه بهادر وحفظ الله حفيده المكرم النواب مكرم جاه بهادر .

وفي وزارة النواب صاحب المعالي الخافظ سراج محمد سعيد خان المعروف بالنواب جهتاري

وهذه الجمعية تحت رئاسة الاديب الجليل النواب الدكتور مهدي يارجنك بهادر وزير المعارف ونائب امير الجامعة العثمانية، ونياية الشهم النيور السيد عبدالعزيز وزير العدلية والشرعية، وتحت اعتماد الحسيب النسيب السيد محيى الدين عميد جمعية دائرة المعارف وذى المجد والكرم النواب ناظر يارجنك بهادر شريك العميد ومولانا المدقق السيد هاشم الندوى مدير الدائرة ومعين العميد ابقاهم الله تعالى لخدمة العلم والدين آمين .

واعنى بتصحيح هذا الكتاب من علماء الدائرة مولانا الشيخ محمد طه الندوى ومولانا السيد احمد الله الندوى ومولانا الشيخ محمد عادل القندوسى ومولانا السيد حسن جمال الليل المدنى ومولانا الشيخ احمد بن محمد اليافى وامعن النظر فيه الشيخ عبدالرحمن بن يحيى اليافى مصصح دائرة المعارف وفقنا الله تعالى لخدمة العلم والدين آمين .

فهرس الجزء الأول من المختصر

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
٤	كتاب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه ومعجزاته ووفاته وسنه	١٨	في الارواث
٥	ما جاء في خصائصه صلى الله عليه وسلم	١٩	في الاستحاضة
٧	ما جاء في معجزاته صلى الله عليه وسلم	٢١	في اتيان الحائض
١٠	في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢	في ترك الجمعة
١١	ما جاء في سنه صلى الله عليه وسلم	»	في وجوب غسل المرأة اذا احتلمت
١١	كتاب الوضوء	٢٣	كتاب الصلاة
»	في فضل الوضوء	»	في تفضيل المساجد
»	في غسل اليد ابتداء	٢٤	في فضل المكتوبة في المساجد
١٢	في اسباغ الوضوء	٢٥	في فضل النافلة في البيت
١٣	في الوضوء من النوم	»	في مسجد قباء
١٤	غسل الذكر من المذي	٢٨	في بناء المسجد
١٥	في المسح على الخفين	»	في مسجد الدار
١٦	في التيمم	٢٩	في الاذان
١٧	في العرق	»	في الأجرة على الاذان
»	سور الدواب والسباع	٣	في الصلاة خير من النوم
		٣١	في الصلاة في الرحا
		»	في امانة المؤذن
		٣٢	في التناقص على الاذان
		٣٣	في حضور الجماعة

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
٣٣	في التنفل قبل المغرب	٥٧	في المختص
٣٥	في وقت القيام الى الصلاة	٥٨	في مس الحصى
»	في وقت تكبير الامام	»	في التخنن والتسبيح
»	في التوجيه	٥٩	في وجوب الجواب على المصلي
٣٦	في دفع اليدين	»	المصلي
٣٨	في قراءة الفاتحة	»	في المرور بين يدي المصلي
٤٠	في مقدار القراءة فيها	٦٠	في وقت العشاء
٤١	في تطويل الاركان	٦١	في تسميتها العتمة
٤٢	في معرفة المقبول من الصلاة	٦٢	في الوتر
٤٣	في السجود	٦٣	في القنوت
»	في اقامة الصلح من الركوع	٦٤	في سنة الفجر
٤٤	فيما يقال في السجود	٦٥	في صلاة القاعد
٤٥	فيما يقال في الركوع	٦٦	في هيئة القعود
٤٦	في الركوع دون الصف	٦٧	فيمن نام عن حربه
٤٨	في جاسة الاستراحة	»	في الأوقات المكروهة
»	فيمن ركع او سجد قبل امامه	٦٩	فيمن نام عن صلاة
٥١	في ادراك ركعة منها	٧١	في التنفل بعد صلاة العصر
٥٢	في التشهد	٧٢	في الاشارة في الصلاة
٥٤	في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	٧٣	في اقامة ابى بكر
»	في النهي عن الاتقاء	٧٥	في اقامة الجالس
٥٦		٧٧	فيمن هوأحق بالامامة
		٧٩	في اقامة الصلي

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
٨٠	في قصر الصلاة	١٠٠	في حمل المصلي صغيرة
٨١	في اتمام عثمان	١٠١	في تشبيك الاصابع
٨٢	في سبب اتمام عائشة	١٠٢	في انتظار الامام من يحيى
٨٣	في سجدة التلاوة		بعد شروعه فيها
٨٤	في السجدة في الفصل	١٠٣	في البداءة بالعشاء قبل العشاء
٨٦	في فضل الجمعة	١٠٤	كتاب الجنائز
»	في الاحتباء يوم الجمعة	»	في توجيه المحتضر القبلة
٨٧	في التنفل بعد الجمعة	١٠٥	في التكفين
٨٨	في خطبة العيد	»	في الصلاة على المنافق
»	في تكبير الطريق الى المصلي	١٠٦	في الصلاة على المرحومة
٨٩	في اجتماع عيدين	١٠٧	في الصلاة على قاتل نفسه
٩١	في صلاة السكران	»	في الصلاة على النجاشي
٩٢	في ترك الصلوات	١٠٨	في الصلاة على القبر
٩٣	في الصلاة بغير طهارة	»	في الدعاء على الميت
٩٤	في ترك الجمعة	١٠٩	في ثواب المصلي عليها
٩٥	في فوت العصر	١١١	في عدد من يشفع في الميت
»	في التخلف عن الجماعة	»	في الصلاة على الشهيد
٩٧	في فضيلة الجماعة	١١٢	في الصلاة على حمزة
٩٨	في صون المساجد	١١٣	في اللحد والشق
»	فيمن نام حتى اصبح	»	في الحاد المرأة
٩٩	في الاراحة بالصلاة	١١٤	اقبار زينب ام المؤمنين
»	في الصلاة الوسطى	١١٥	في نكتة القبر

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
١١٦	في عذاب القبر	١٣٦	في مقدارها
١١٨	في سماع عذاب القبر	١٣٧	في الاكتفاء بنصف
»	في زيارة القبور	صاع من الحنطة	
١١٩	في عذاب الميت	١٣٨	كتاب الصيام
»	في ثناء الناس على الميت	»	في رؤية الهلال
١٢٠	في الاستغفار للشرك	٣٩	في شهادة الواحد به
١٢١	في الأطفال	١٤٠	في السحور
١٢٢	في اسلام الصغير	»	في بيان وقته
١٢٣	فيمن رضى باحراق نفسه	١٤١	في صوم الجنب
١٢٤	في عجب الذنب	»	في تناول الصائم البرد
١٢٤	كتاب الزكاة	١٤٢	في قضاء الصائم
»	في محرم السؤال	»	في الافطار متعمدا
١٢٦	في محرم الاخذ	١٤٣	في الصيام عن الميت
»	في من يحل له اخذها	»	في القدية
١٢٧	في اعطائها لمن لا تحل له	١٤٤	في صيامها بنحو اذن
»	في المعادن	زوجها	
١٢٩	في تحليف الموكي	١٤٥	في ستة من شوال
١٣٠	في السن المأخوذ في الصدقة	»	في عاشوراء
»	في ذكر العناق والعقال	١٤٧	في صيام العشر
١٣٢	في لا يفرق بين مجتمع	»	في « الصوم لي »
ولا يجمع بين مفترق		١٤٨	في اي الصيام افضل
١٣٥	في صدقة الفطر	١٥١	في « شهر اعيد لا ينقصان »

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
١٥٢	في صوم يوم عرفة	١٧٩	في من ادرك جمعا
١٥٢	كتاب الاعتكاف	١٨٠	في الجمار
»	في اعتكاف المرأة	١٨٢	في البيت بمنى
٥٣	في الاعتكاف فيما سوى	١٨٣	في الحلق والتقصير
	المساحد الثلاثة	١٨٤	في نقي الحرج عن قدم أو آخر
١٥٤	في الصوم للاعتكاف	١٨٥	في المحصر
١٥٥	كتاب ليلة القدر	١٨٧	في الهدايا
١٥٦	كتاب الحج	١٨٨	في البدنة عن سبعة
»	في رفع الصوت	١٨٩	في الفرق بين البقر والبدنة
١٧	في دخول الكعبة	»	في نهبة لحم الهدايا
»	في ما يرخص للحرم	١٩٠	في الحج عن الغير
١٠٨	في الثوب المعصفر	»	في حج الصرورة
»	في لبس الخفين	١٩٢	في حج الصغير
١٥٩	في صيد الحرم	»	في بعث ابي بكر ثم على
١٦١	في صيد البر		بسورة براءة
١٦٢	في العمرة في اشهر	١٩٤	في الحج الاكبر
	الحج	١٩٦	في حرم مكة المشرفة
١٧٤	في الطواف	١٩٨	في حشيش الحرم
»	في السعي	١٩٩	في حرم المدينة
١٧٦	في عرفة والمزدلفة	٢٠٢	في لاصرورة في الاسلام
١٧٧	في الافاضة من عرفات	٢٠٢	كتاب الجهاد
١٧٨	في الافاضة من جمع	»	في فضل الجهاد

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
٢٠٤	في الشهيد	٢٢٨	في قسم ما افاء الله عليه
٢٠٥	في الاشتغال بالحراث عن الجهاد	»	في الاستعانة بالمشركة
»	في الجهاد في الاربون	٢٣٠	في اسهام من لم يشهد الحرب
٢٠٦	في خير الاصحاب والسرايا والجيوش	٢٣٢	في مالامبيد من المغنم
»	في المسافرة باقرآن الى العدو	»	في الفنائم والاسرى
٢٠٨	في القتال في الأشهر الحرم	٢٣٨	في القلول
٢٠٩	في تولية الامراء	»	في السلب
٢١٠	في تخريب العامر	٢٤٣	في حكم من خرج الينا من عبيدهم
٢١٢	في قتل النساء والصغار	٢٤٤	في نقل رأس الكافر
»	في الفرار من الزحف	٢٤٥	في قتل كعب بن الاشرف
٢١٤	في حمل واحد على جيش	٢٤٦	في كتابه صلى الله عليه وسلم لاهل ايلة يبحرهم
٢١٥	في قتل الكافر بعد قول لااله الاالله	٢٤٧	في عطاء المحردين
٢١٨	في الوصية بالقبط	٢٤٨	في كسرى وقيصر
»	في فتح مكة وقتل من امر بقتله	٢٤٩	في المسابقة
٢٢٠	في قتل على أهل الاهواء	٢٥٠	في الجزية
٢٢٢	في الهجرة بعد الفتح	٢٥٤	في الجعائل
٢٢٤	في قدوم مسيلمة الكذاب	٢٥٥	كتاب النذور
٢٢٥	في تأمين رسل الكفار	والايمان	
٢٢٦	في قبول هدايا اهل الحرب	»	ما جاء في الاستثناء باليمين
		٢٥٧	في الادام

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
٢٥٨	في اليمين بغير الله تعالى	٢٧١	في الاشربة المحرمة
٢٦٠	في النذر	٢٨٠	كتاب النكاح
٢٦٣	كتاب الضحايا	»	في نكاح اليتيمة
»	في من يجب عليه الاضحية	٢٨٢	في انكاح الاولياء
٢٦٤	فيما يؤمر به من وجبت عليه	٢٨٦	في نكاح المحرم
٢٦٥	في ما يجوز تضحيته	٢٨٨	في الصداق والوفاء بالشرط
٢٦٥	كتاب الذبائح	٢٨٩	في مقدار الصداق
	والصيد	٢٩١	في المفوضة
٢٦٦	في ما قطع من الحي	٢٩٣	في نكاح الموهوبة
»	في الذكاة بغير الحديد	٢٩٥	في اجابة الدعوة
٢٦٧	في الذكاة بغير اذن المالك	٢٩٧	في ما يوجب ترك حضورها
»	في الضفدع	٢٩٨	في من لا يجوز الجمع بينهما
٢٦٨	في لحم الخيل وغيره	٢٩٩	في القسم بين الزوجات
٢٦٩	في جلد الميتة	»	في ما احل له من النساء
٢٧١	في أكل ما بات من الصيد	٣٠٠	في العزل
»	في الطاف	٣٠١	في اتيان دبر النساء
٢٧٢	في الفارة تقع في السمن	٣٠٣	في تأديب الزوجة
٢٧٤	في العتيرة	٣٠٤	في وطء المسبية المشتركة
٢٧٥	كتاب العقيقة	٣٠٦	في نكاح العبد بغير اذن سيده
٢٧٧	كتاب الاشربة	»	في كراهة التزوج على فاطمة
»	في الخمر وتخليها	٣٠٨	في الكحل للتوفي عنها زوجها

صفحة	ابواب	صفحة	ابواب
٣٠٩	كتاب الطلاق	٣٣٦	في بيع الرطب بالتمر
»	في طلاق حفصة	٣٣٧	في بيع قلادة فيها ذهب
»	في طلاق الحامل وحيضها	٣٤١	في الزبالة مع اهل الحرب
٣١٠	في قوله الحق باهلك	٣٤٣	في الوضعة على تعجيل الحق
٣١١	في متعة الطلاق	٣٤٤	في التمس عن الثنيا وبيع
٣١٣	في ارتداد الزوجة		الفرز والحصا
٣١٤	في الطلاق في الاغلاق	»	في بيع الطعام قبل قبضه
»	في الحلف بطلاق من يتزوج	٣٤٧	في البيع والشرط
٣١٦	في طلاق العبد	٣٤٨	في الصفقة تجمع حلالا وحراما
٣١٧	في مقدار مدة الحمل	٣٥٠	في الزيادة عند القضاء
٣١٩	في مقام المتوفى عنها زوجها	٣٥٢	في ما يهدى الى العمال
٣٢٠	كتاب الرضاع	٣٥٣	في الزيادة على الثمن وغيره
»	في الرضاع المحرم	٣٥٥	في اختلاف المتبايعين
٣٢٢	في وطء المرضعة	٣٥٧	في خيار المجلس
٣٢٣	في الابل	٣٦١	في بيع الثمار
٣٢٤	في الحضنة	٣٦٢	في التجاوز في النقد
٣٢٦	كتاب اللعان	»	في شراء الشيء بأقل من قيمته
٣٣٣	كتاب البيوع	٣٦٣	في ثمن الكلب
٣٣٤	في التجار	٣٦٤	في العهدة
»	في المكيال والميزان	٣٦٥	كتاب الاجارات
٣٣٥	في اقتضاء التقدين	٣٦٨	خاتمة الطبع
»	في ما يدخل فيه الربا		

استدراك ما وقع من الخطأ في طبع المختصر ج-١

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٥	النزل	النزل
٨	٢٠	تسييح	تسييح
١٠	١٣	منه	منه
١١	١	غير	غير
١٢	٦	نه	انه
١٤	٧	ذلك	ذلك
»	١٠	قوله السلام	قوله عليه السلام
١٥	٤	صل	صلى
»	٧	نفي	نفي
١٩	١٠	لاتهم	لأنهم
٢٠	١٣	المسئلة	المسئلة
٣٤	٩	قيل	قبل
٣٦	١٠	روى عن	روى على عن
٣٨	١٧	ناقصا في مدة حمله	ناقصا في خلقه او في مدة حمله
»	٢١	وتقنع	وقال وتقنع
٤٠	١٤	اخرى	اخرى
٤١	١٦	قبل	قيل
٤٣	١١	بديه	يديه
٤٨	٥	فليمس	فليمش
»	٨	روايته	رؤيته

استدراك ما وقع من الخطأ في طبع المختصر ج- ١

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢	٤	العبد	ان العبد
»	١٨	يجب	لا يجب
٥٧	١٧	بن	بن
٥٨	١١	فان	فان
٦١	١	نصف سبع ساعة	نصف ساعة ونصف
			سبع ساعة
٦٦	١٧	رضي عنها	رضي الله عنها
٧٤	٨	الكبير	فان فيهم الكبير
٧٥	٢٤	فصلا	فصلوا
٧٧	١٢	يركعون اتباعا لما روى	يركعون ويسجدون اتباعا لما روى
»	١٣	كفاعل والذي يروي	كفاعل المبدل منه
			من المبدل منه
»	١٥	عدم الجواز رسول الله	عدم الجواز والذي يروي عن رسول الله
٧٩	٢١	جاوز الختان	جاوز الختان
٨٠	١٩	رضي الله عنه	رضي الله عنه على ما روى
			طاوس عنه
٨٣	١	الاحاديث على	الاحاديث الاعلى
٨٨	١٦	ليها	اليها

استدراك ما وقع من الخطأ في طبع المقتصر ج -- ١

الصفحة السطر	الخطأ	الصواب
٨٩	٢٠ التمسك	التمسك
٩٤	١٢ لقد همت	لقد همت
»	١٥ »	»
١٠٦	٢٠ ما عزا يومين	ما عزا يومين
١٠٧	٢ سموة	سمرة
١١٠	١٤ القوة	لقوه
١١٣	١١ لأنه المختار	لأنه المختار للمختار
»	٢٠ ابلاصابة	الاصابة
١١٤	١ ابما كان	انما كان
١١٦	١ لتقذرهم	لتقذرهم
١١٩	٧ عذاب الميت	عظم الميت
١٢١	١٣ ين	بن
١٢٦	٥ عندى قال آخر	عندى آخر قال
١٢٩	١٥ الحيل	الحيل
١٣٦	٤ يرده	ويرده
١٥٣	١ صلى	ان يعتكف صلى
١٥٧	١٧ للحرم	للحرم
١٥٩	٢ ومن يجد	ومن لم يجد
١٧٢	٤ منه في قول	منه في الحج في قول
١٧٣	٢٤ روى	رثى

استدراك ما وقع من الخطأ في طبع المعتمر ج - ١

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٤	١١	فقد يكون	فقد يكون
١٨٤	٩	ونعلم	ولا نعلم
١٨٥	٥	ابن عباس	ابن عباس
١٨٩	٩	ففرق	ففرق
١٩٠	١١	تقضيه	تقضيه
١٩١	٢٠	جار	جار
١٩٣	٥	ولا يحجن	ولا يحجن
٢٠٢	٥	لجهله وهذا	لجهله ولهذا لم يحج وهذا
»	١٣	الص	الص
٢٠٨	٢٢	في عددهم	في عددهم وعددهم
٢١٦	٧	صبأنا	صبأنا صبأنا
٢١٩	٩	رآ في	رآ في
٢٢٣	١٣	ذكرنا	ذكرنا
٢٢٤	١٤	السابقين	السابقين
٢٢٧	٤	وعن ابن عباس ...	(١)
		منهم	
٢٣٣	٧	على من	على احضارك من
٢٤١	١٨	اخبرته فدعاه	اخبرته فخره فدعاه
٢٤٩	٢	اقه	انه

(١) مكرر

استدراك ما وقع من الخطأ في طبع المقتصر ج -- ١

الصفحة السطر الخطأ	الصواب
٢٥٠ ٦	النافذة
٢٥٤ ١٥	بحرين
» ٢٣	التنزه
٢٦٤ ١٦	سواء
» ١٧	»
٢٧٤ ٧	عاطظ
٢٧٥ ٨	العقبة
٢٧٦ ١٤	القرآن
٣٠٨ ٤	فاستأذلو
٣١٣ ٤	ولم يخبرها
٣١٦ ١	فيما لا يملكون فقتل ذلك قول الرجل
» ٢	لا يملكون فقتل ذلك قول ولم
» ٤	ولم
٣٢٣ »	تيننا
» ٤	»
٣٤١ ٣	قول
٣٤٧ ١٠	بمعيرك
٣٤٧ ١٩	بعينه
٣٥٠ ١٥	قال

استدراك ما وقع من الخطأ في طبع المقتصر ج-١

الصفحة السطر الخطأ	الصواب
٣٥٣ د	ابدأ
٣٦٢ ٣	التجاوز
٣٦٣ ١٩	جوف
٣٦٥ ١٠	فوقها

تمت الاغلاط